بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية
شعبة العقيدة

يعقوب عليه الصلاة والسلام
ويليه في التوراة دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم

بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب

علي بن محمد بن جاسر المهيدب

الرقم: ٤١٦٠١٠٢٢٤

إشراف الدكتور

الشفيع الماحي

١٤٢٣هـ

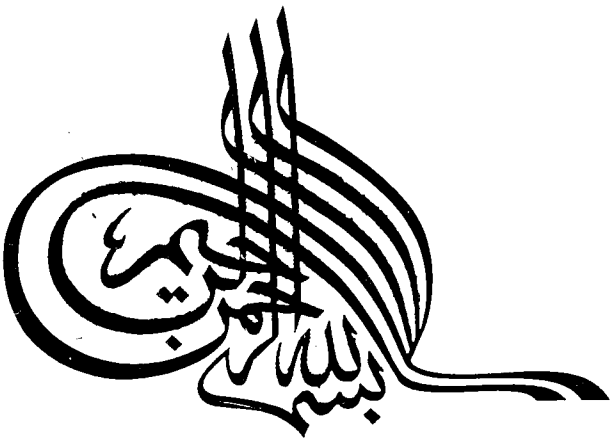
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الطاهرين **أما بعد:**

فإن مما يشد الانتباه ويحرك الحس والضمير، ما يجده المسلم من أهمية ظاهرة لعلم مقارنة الأديان، الذي أصله من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يقول الله عز وجل: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾(١) فمبدأ المقارنة بين الحق والباطل ظاهر في هذه الآية، وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(٢) وكثير من الآيات الدالة على ذلك. وأيضاً فإن لعلم مقارنة الأديان أهمية بالغة في بيان عصمة الكتب المقدسة من عدمها، يدل على ذلك أمور منها:

١-قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾(٣) فالله عز وجل يأمر نبيه بسؤال من اطلع على بعض الكتب التي قبله صلى الله عليه وسلم، ليعلم صدق ما جاء به محمد ﷺ من ربه.

٢- المتتبع لآيات الكتاب العزيز وخاصة المدني منها، يجد الحديث المتواصل والكثير عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وذكر أحداثهم واعتقاداتهم وغير ذلك، وهذا هو علم مقارنة الأديان لا سيما عند نقده وبيان الحق فيه.

---

(١)سورة الأنبياء آية ٢٢

(٢)سورة النحل آية ١٧

(٣)سورة يونس آية ٩٤

٣- ما فعله النبي ﷺ مع الصحابي الجليل عدي بن حاتم يوم ان كان نصرانيا[١] والمباهلة مع نصارى نجران[٢] وغيرهما من أحبار اليهود، في بيان الحق من الباطل ظاهر في دعوة محمد بن عبد الله ﷺ، وذكر الأدلة الموجودة عندهم والتأكيد لما فيها من حق هو نوع من مقارنة الأديان في إثبات الحق ورد الباطل.

٤- ما يفعله أعداء هذا الدين من المستشرقين في دراسة الإسلام ومن ثم نقده، فلا شك أننا بدراستنا لما في العهد القديم والجديد وبيان الحق فيهما والرد على ما فيهما من باطل نقوم بواجب من واجبات المسلمين لمكافحة هذا الغزو الفكري وبيان ضلاله.

فبهذه الأدلة وغيرها يتأكد لنا أهمية علم مقارنة الأديان، خاصة وأن له علاقة كبيرة بركنين من أركان الإيمان الستة، وهما الإيمان بالرسل والإيمان بالكتب، كما في حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه[٣] الذي فيه يحكي قصة جبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال ﷺ:(**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**) [٤]

وقول الله عز وجل:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى

---

(١)عدي بن حاتم الطائي اسلم سنة تسع كان نصرانيا شهد صفين مع علي توفي وعمره مائة وعشرون عاما انظر الاعلام للزركلي ٢٢٠/٤.

(٢) نجران مدينة من مدن المنطقة الجنوبية في المملكة العربية السعودية.

(٣) عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين توفي سنة ثلاثة وعشرون للهجرة انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٣٣/٧.

(٤) رواه البخاري ١٩/١-٢٠ كتاب الايمان باب سؤال جبريل (٣٧) وغيرها ومسلم في صحيحه ٣٦/١-٣٨ كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان وأبو داود في سننه ٢٢٣/٤-٢٢٤ كتاب السنة باب في القدر و الترمذي في سننه ٦/٥-٧ كتاب الإيمان باب ما جاء في وصف جبريل وابن ماجه في سننه ٢٤/١ المقدمة باب في الإيمان والإمام احمد في مسنده ٢٧/١،٥١،٤٣

ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿ (١).

وقال عز من قائل سبحانه: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٢)

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة، فمن خلال هذه الأهمية لعلم مقارنة الأديان ولأجل معرفة موقف اليهود من أنبياء الله ورسله، وكذلك موقفهم من الكتب المنزلة وكيف دخل التحريف على كلام الله عز وجل، وكذلك معرفة موقفهم خاصة بنبي الله يعقوب أبو الإسرائيليين عليه الصلاة والسلام وأبنائه، وما ورد عندهم من تحريف وتزييف في ذلك.

لأجل هذا كله وقع اختياري على:-

"يعقوب عليه الصلاة والسلام وبنوه في التوراة دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم"

ليكون البحث فيه استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير بالكلية، وكذلك بياناً لما طرأ على كتب أهل الكتاب مما يسمى اليوم- الكتاب المقدس- في قصة هذا النبي الكريم وأبنائه وبيان ما حصل منهم في تحريف التوراة من خلال هذا الدراسة، ثم أبين الحق الناصع الوارد في القرآن الكريم حول هذا النبي العظيم وأبنائه، كما قال تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٧

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥

(٣) سورة المائدة آية ١٤٨

أسباب اختيار الموضوع:

١-توضيح الصورة الحقيقية لليهود وموقفهم من التوراة.

٢- بيان موقف اليهود من أنبياء الله عموماً، وخاصة نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام وأبنائه.

٣- محاولة الاستزادة في المعرفة عن طبيعة اليهود وأخلاقهم من خلال مراجعة كتبهم وأحداثهم وسيرهم في القديم والحاضر.

٤- معرفة سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في التوراة والقرآن والمقارنة بينهما.

٥- التأكيد على مكانة هذا الدين والقرآن الحكيم وهيمنتهما على الأديان والكتب السابقة.

منهج البحث:

سيكون سير البحث حسب المنهج التالي:

١-إتباع المنهج الاستقرائي والتحليلي مع الاستشهاد بنصوص أسفار التوراة الخمسة:التكوين ، الخروج ، اللاويين ، العدد، التثنية، المتعلقة بيعقوب عليه الصلاة والسلام، وكذلك الآيات الواردة في القرآن الكريم حول يعقوب عليه الصلاة والسلام وأبنائه وتكون هي مادة الدراسة.

٢- المقارنة والنقد عقب كل مبحث مبيناً انحراف وضلال العهد القديم ومفتريات اليهود فيه، مع بيان صدق القرآن وفق المنهج العلمي.

٣- الاعتماد على المصادر الأصلية ما أمكن، في التفسير والحديث والعقيدة واللغة والتاريخ وغير ذلك.

٤- تقسيم الرسالة إلى أبواب يندرج تحتها فصول، ويندرج تحت الفصول مباحث، والمباحث تحتها مطالب.

نطاق البحث:

سيكون مجال البحث شخصية يعقوب عليه الصلاة والسلام وأبنائه من التوراة (العهد القديم) مقارنة بالقرآن الكريم، لمعالجة القضايا العقدية في سيرته وأبنائه.

تصور أبواب البحث:

- **المقدمة:** وفيها بيان لأهمية الموضوع وعلاقته بعلم مقارنة الأديان، وسبب اختيار الموضوع والمنهج المتبع في البحث، مع ذكر تصور عن أبواب البحث.
- **التمهيد:** وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بالتوراة (العهد القديم).

المطلب الثاني: التعريف بالقرآن الكريم.

المبحث الثاني: عصمة الأنبياء وفيه حكم استنقاصهم.

الباب الأول:

يعقوب عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن

وينقسم إلى فصلين:

- **الفصل الأول: سيرته منذ ولادته إلى رجوعه إلى أرض الكنعانيين (من التوراة والقرآن) ويشتمل على خمسة مباحث:**

المبحث الأول – اسمه وولادته ونشأته.

المبحث الثاني – سبب رحلته إلى العراق عند خاله لابان.

المبحث الثالث – بناؤه بيت المقدس.

المبحث الرابع – زواجه بـ ليا وراحيل وجاريتيهما وذكر أبنائه منهن.

المبحث الخامس– قصة رجوعه إلى أرض الكنعانيين ومافيها من أحداث.

الفصل الثاني:-

من رجوعه إلى أرض الكنعانيين إلى وفاته في مصر ثم دفنه في فلسطين.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول – استقراره في أرض الكنعانيين.

المبحث الثاني – ولادة بنيامين ووفاة راحيل زوجة يعقوب عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث- ذهابه إلى مصر في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع – وفاته في مصر مع ذكر وصيته ودفنه في فلسطين.

الباب الثاني:

نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن.

وينقسم إلى فصلين:

الفصل الأول: نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام من التوراة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام وما يناقضها من التوراة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إثبات نبوته من التوراة.

المطلب الثاني: ما يناقض نبوته عليه الصلاة والسلام من التوراة وفيه مسائل:

المسألة الأولى: دعوى وصفه بالشرك.

المسألة الثانية: دعوى وصفه بالزنى والدياثة.

المسألة الثالثة: دعوى وصفه بالسرقة.

المسألة الرابعة: دعوى وصفه بالكذب.

المسألة الخامسة: دعوى وصفه بالمكر والخديعة والغش.

المسألة السادسة: دعوى وصفه بالخوف والجبن.

المبحث الثاني: دعوة يعقوب عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد من التوراة.

المبحث الثالث: بشارة يعقوب عليه الصلاة والسلام بخاتم الأنبياء وتحقيق ذلك.

- **الفصل الثاني:**

نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام من القرآن وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: إثبات نبوته من القرآن وأقوال العلماء فيها.
- المبحث الثاني: دعوة يعقوب عليه الصلاة والسلام للتوحيد مع ذكر وصيته عند وفاته.
- المبحث الثالث: صفات النبي يعقوب عليه الصلاة والسلام من القرآن.
- **الباب الثالث:**

بنو يعقوب عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن

ويشمل على فصلين:

الفصل الأول: يوسف عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن وفيه مبحثان:-

المبحث الأول: قصة يوسف عليه الصلاة والسلام من التوراة والقرآن إجمالاً مع عقد المقارنة بينهما.

المبحث الثاني: نبوة يوسف عليه الصلاة والسلام ودعوته إلى التوحيد من التوراة والقرآن.

الفصل الثاني: أخوة يوسف عليه الصلاة والسلام من التوراة والقرآن وفيه مبحثان:-

المبحث الأول: ويشمل أسماءهم وعددهم وأنسابهم وسيرتهم.

المبحث الثاني: أخوة يوسف عليه الصلاة والسلام ودعوى الأسباط دراسة وتحقيق.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج في البحث.

الفهارس:-

١- فهرس الآيات القرآنية.
٢- فهرس الأحاديث والآثار.
٣- فهرس المصادر والمراجع.
٤- فهرس التراجم والأعلام
٥- فهرس المدن والأماكن.
٦- فهرس الطوائف والملل.
٧- فهرس الموضوعات.

وأخيراً، أحمد الله عز وجل أن أعانني لإتمام هذا البحث على مالدي من تقصير، وذلك لأن الموضوع جديد بالنسبة لي، ولكن لوجود العزيمة الجادة في القراءة والبحث في موضوع مقارنة الأديان، وتشجيع أساتذتي الكرام بالكلية منهم الدكتور/ محمد الفرت، والدكتور/ صابر طعيمة، والدكتور/ الشفيع الماحي، وغيرهم، أقدمت على هذا البحث لتكون لي بداية في الدخول إلى موضوع مقارنة الأديان ونقد الباطل وبيان الحق.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل لجامعة الملك سعود بالرياض ممثلة في كلية التربية قسم الدراسات الإسلامية، على ما تقدمه الجامعة من رعاية وخدمة وتسهيل لطلاب العلم والباحثين، كما أنني اشكر أستاذي فضيلة الدكتور/ الشفيع الماحي على تقبله للإشراف على هذه الرسالة، وقد استفدت منه كثيراً فجزاه الله خير الجزاء وأبلغه.

والشكر أيضاً إلى كل من أعانني بتوجيه أو إرشاد أو تصحيح، أو دلّني على معلومة صغيرة كانت أو كبيرة من أساتذتي الكرام أو زملائي الأفاضل وغيرهم، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

والله أسال أن يتجاوز عني ما وقعت فيه من زلل أو خطأ، وأسأله أن يوفقني لكل خير وأن يريني الحق حقاً ويرزقني اتباعه، ويريني الباطل باطلاً ويرزقني اجتنابه، وأن يكون هذا البحث معينا لي إلى مواصلة العلم والتطفل على مائدة العلماء، وأن يكون هذا العلم حجة لي لا حجة علي.

فما أصبت في هذا البحث من الحق فبتوفيق الله، وما أخطأت فيه فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله صلى الله عليه وسلم منه بريئان، وصلى وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه الكرام.

التمهيد

وفيه مبحثان

المبحث الأول:- تعريفات "وفيه مطلبان"

المطلب الأول:- التعريف بالقرآن الكريم

المطلب الثاني:- التعريف بالتوراة "العهد القديم"

المبحث الثاني:- عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفيه حكم استنقاصهم

المبحث الأول

تعريفات

وفيه مطلبان

المطلب الأول:- التعريف بالقرآن الكريم.

المطلب الثاني:- التعريف بالتوراة "العهد القديم".

المطلب الأول:- التعريف بالقرآن:-

- تعريف القرآن لغة:-

اختلف علماء العربية حول لفظ القرآن واشتقاقاته، غير ان الاختلاف هو من اختلاف التنوع وليس من اختلاف التضاد، فقال البعض: إن القاف والراء والحرف المعتل في اللغة أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، ومنه القرآن، كأنه سمي بذلك لجمع ما فيه من الأحكام والقصص فيه وكذلك جميع الايات في سورة.(١)

فهو من القرن والاقتران في احدى اشتقاقاته وهذا الذي ذهب إليه ابن فارس(٢) وابن منظور(٣) في لسان العرب(٤).

وذهب البعض الآخر إلى أن القرآن مأخوذ من مادة قرأ، وهي من القراءة والتلاوة، فقد ذكر الراغب الأصفهاني(٥):

(مادة قرأ القرآن في الأصل مصدر نحو كفران ورجحان، قال تعالى: "إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه"، قال ابن عباس: قرآنه أي تلاوته وقراءته). (٦)

فهو يرجع أصل مادة القرآن إلى القراءة والتلاوة. وقد ذكر ابن جرير الطبري(٧)

---

(١) أنظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٧٦/٥ – ٧٨.

(٢) أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي القزويني، النحوي الشهير، صاحب المصنفات القيمة، توفي سنة ٣٩٥هـ بالري، أنظر الاعلام للزركلي ١٩٣/١.

(٣) الإمام اللغوي الحجة محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي ولد بمصر سنة ٦٣٠هـ وتوفي بها سنة ٧١١هـ أنظر طبقات النحويين للفيروز آبادي. والاعلام للزركلي ١٠٨/٧

(٤) أنظر لسان العرب لابن منظور ٣٤٠/١٣

(٥) الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد بن فضل الراغب الأصفهاني، صاحب المؤلفات الشهيرة، توفي سنة نيف وخمسمائة للهجرة، أنظر طبقات النحويين للفيروز آبادي. والاعلام للزركلي ٢٥٥/٢

(٦) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٠٢.

(٧) الإمام المفسر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، من أبرز علماء التاريخ والتفسير والحديث، كان مولده بأول طبرستان، واليها ينسب، توفي سنة ٣١٠هـ أنظر الاعلام للزركلي ٦٩/٦.

-رحمه الله- بعد أن حكى عن ابن عباس[1] وقتادة[2] لكل منهما قول في أصل مصدره، بأن ابن عباس يجعل أصله من التلاوة والقراءة، وأما قتادة فيجعل أصله من جمع الشيء وضم بعضه إلى بعض أو من التأليف.

فقال في تفسيره: (ولكلا القولين أعني قول ابن عباس وقول قتادة اللذين حكيناهما وجه صحيح في كلام العرب) [3]

إلا أنه رحمه الله رجح قول ابن عباس عند تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[4] على أن معناها في هذا الموضع القراءة والتلاوة.

وذهب الفراء[5] إلى أن كلمة القرآن مشتقة من الفعل قرن، بمعنى دل على شيء أو أشار إليه ،أي بمعنى القرائن والقرينة، لأن آيات القرآن قرائن بعضها على بعض، ومشيرة بعضهما إلى بعض شبهاً وتناسقاً[6]، إذن فالقرآن في اللغة يدور حول معان، إما من القراءة وهي التلاوة، أو من القرن والاقتران وهو الجمع والاجتماع، أو من القرينة والقرائن وهو بمعنى الدلالة والإشارة، وجميع هذه المعاني صحيحة وكما قدمنا فليس هذا اختلاف تضاد وإنما هذا من اختلاف التنوع، لأنه يصح إطلاق كل من هذه المعاني على القرآن، والله أعلم.

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حبر هذه الامة ترجمان القران ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي سنة ٦٨هـ انظر الاعلام للزركلي ٤/٩٥.

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، ابو الخطاب، من علماء التفسير، توفي سنة ١٨هـ انظر الاعلام للزركلي ٥/١٨٩.

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١/٤٢-٤٢

(٤) سورة القيامة آية ١٧

(٥) أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي، النحوي، الكوفي المتوفى سنة ٢٠٧هـ انظر الاعلام للزركلي ٨/١٤٥.

(٦) انظرعلى سبيل المثال لسان العرب لابن منظور ١/١٢٨-١٣٣.

تعريف القرآن اصطلاحاً:

مرّ بنا أن الخلاف حول معنى لفظ القرآن لغة، وأن هذا الخلاف من قبيل اختلاف التنوع الذي لا يؤثر في الكلمة، وأما تعريف القرآن اصطلاحاً، فنجد فيه العديد من التعريفات متقاربة في المعنى، نكتفي بالاقوال التالية:-

قال الدكتور/ عبد المنعم النمر في تعريفه للقرآن من الناحية الاصطلاحية ما نصه: (كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المعجز للعرب ببلاغته، المنقول إلينا بالتواتر، حفظاً في الصدور وكتابة بين دفتي المصحف). (١)

وعرفه الأستاذ/ عفيف عبد الفتاح طبارة بقوله:-

(الوحي المنزل من عند الله على رسوله محمد بن عبد الله خاتم النبيين، المنقول عنهم نقلاً متواتراً نظماً ومعنى، وهو آخر الكتب السماوية نزولاً). (٢)

وقال الأستاذ/ محمد الصادق قمحاوي :-

(القرآن هو كلام الله القديم الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ باللفظ والمعنى للتعبد بتلاوته، وإعجاز الخلق عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه، قال أهل السنة: كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدا وإليه يعود، وهو مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مسموع بالآذان) (٣).

فهذه التعريفات كما هو واضح متقاربة في المعنى، وتدور في تعريفها للقرآن حول معان عدة هي:-

أ_ مصدر القرآن الكريم كونه كلام الله تعالى وليس بمخلوق.

ب_ طريقة نقلة إلى الرسول، وهو الوحي المنزل من السماء بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام.

ج_ محتويات القرآن "موضوعاته"، يبدأ من الفاتحة ويختم بالناس.

---

(١) علوم القران الكريم د/ عبد المنعم النمر ص ٥.

(٢) روح الدين الإسلامي للأستاذ/ عفيف عبد الفتاح طباره ص١٨

(٣) البرهان في تجويد القران لمحمد الصادق قمحاوي ص٤١

د_ قدسية القرآن ومكانته في العبادة، حيث أن مجرد تلاوته والنظر في آياتـــه عبـــادة محضة.

هـــ_ الاتصال: وذلك من مبلغه محمد ﷺ وصولاً إلينا بالتواتر من جيل إلى جيل، تنقله وتحفظه الأمم عن الأمم.

و_ التحدي والإعجاز: حيث أن الله تحدى الخليقة أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله[1].

هذه هي أهم المعاني التي يدور تعريف القرآن حولها، مما استنبطناه من كلام أهل العلم.

ولعل من أدق التعريفات الاصطلاحية للقرآن هو:.

"القران كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، المجموع بين دفتـــي المصحـــف، المفتتح بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس" [2]

(١) إن التحدي والإعجاز في القرآن الكريم ليعد من أهم سمات القرآن، أنظر في ذلك كلاماً نفيساً لابن خلدون في مقدمته ص ٨٨، والماوردي في إعلام النبوة ص ٤٤، والدكتور عبد المحسن عبد الراضي في كتابه نبي الإسلام وغيرها.

(٢) أنظر للاستزادة رسالة د. محمد بن سالم باز مول ، مناهل العرفان في علوم القران للزرقاني ١/١٥-٢٠ والإتقان في علوم القرآن ١/٦٧-٦٨ للسيوطي

المطلب الثاني التعريف بالتوراة "العهد القديم"

- **أولاً: التوراة في اللغة العربية:**

اختلف العلماء في تفسير معنى التوراة لغة عند العرب على أقوال: فمنهم من يقول أن لها معنى واشتقاقاً، ومنهم من يرى أنها أعجمية نقلت إلى العربية فليس لها اشتقاق ولا مصدر. ويمكننا هنا تقسيم اقوالهم حول معنى التوراة في اللغة العربية إلى ثلاث مباحث، من حيث الاشتقاق والوزن والقراءة.

فمن حيث الاشتقاق:

قال البعض: التوراة معناها الضياء والنور، من قول العرب وريت بك زنادي، ومعناه ظهر بك الخير لي، قال تعالى: ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾.[1] فالتوراة سميت بهذا الاسم لظهور الحق بها، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً ﴾[2] وهذا قول الفراء[3]، وهو الذي ذهب إليه الإمام الرازي[4] في تفسيره[5].وفي هذا القول نظر حول اشتقاق كلمة التوراة في اللغة العربية، ولعل الأقرب والله أعلم بأنها أعجمية، ليس لها اشتقاق في اللغة العربية، كما ذهب إلى ذلك صاحب الكشاف[6] حيث قال:(التوراة والإنجيل اسمان أعجميان، والاشتغال باشتقاقهما غير مفيد،

---

(١) سورة العاديات آية رقم ٢

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٤٨

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور ٣٨٦/١٥-٣٩١

(٤) محمد بن عمر بن الحسين ابن خطيب الري، المشهور بفخر الدين الرازي، صاحب التصانيف المشهورة توفي سنة ٦٠٦هـ في مدينة هراة، أنظر الأعلام للزركلي ٣١٣/٦.

(٥) أنظر التفسير الكبير للرازي ١٣١/٣-١٣٢

(٦) الإمام أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، المعتزلي، صاحب التصانيف المشهورة توفي سنة ٥٣٨هـ، أنظر الأعلام للزركلي ١٧٨/٧.

وقرأ الحسن[1] الإنجيل بفتح الهمزة، وهو دليل على العجمية، لأن أفعيل بفتح الهمزة معدوم في أوزان العرب).[2]

وزاد أبو السعود[3] بأن التصدي إلى ذلك أي الحديث مدى اشتقاق الكلمة، فيه نوع من التعسف، [4] ورأى الإمام الشافعي[5] أن هذا الاسم علم مخترع للدلالة على الكتاب الذي أنزل على موسى، أي أن الكلمة أعجمية وليست عربية الأصل، وهذا ما أميل إليه، وسوف يتضح من خلال بحثنا في معنى كلمة التوراة في اللغة العبرية.

أما من ناحية وزن الكلمة فان للعلماء فيه ثلاث اقوال:

القول الأول: أصل التوراة تورية تفعلة، بفتح التاء وسكون الواو وفتح الراء والياء، إلا أن الياء صارت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وهو قول الفراء.

القول الثاني: قال الفراء أيضاً ويجوز أن تكون تفعله على وزن توفية وتوصية، فيكون أصلها تورية، إلا أن الراء نقلت من الكسر إلى الفتح على لغة طيء، فإنهم يقولون في جارية جاراة، وفي ناصية ناصاة.

القول الثالث: أن أصلها ووراية على وزن فوعلة، ثم قلبت الواو الأولى تاء، وهذا قلب كثير في كلام العرب نحو تجاه وتخمة وتكلان، ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت توراة، وهذا قول الخليل[6] والبصريين.[7]

---

(١) الإمام أبو سعيد البصري، أحد كبار التابعين، ولد في خلافة عمر بن الخطاب، ومات في البصرة سنة ١١٠هـ.انظر الاعلام للزركلي ٢٢٦/٢

(٢) الكشاف للزمخشري ٣٦٣/١-٣٦٤

(٣) محمد بن محمد العمادي أبو السعود، المفسر المشهور، توفي سنة ٩٥١هـ أنظر الأعلام للزركلي ٥٩/٧.

(٤) أنظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم لأبي السعود ٤/٢.

(٥) محمد بن إدريس الشافعي،أبو عبد الله ولد سنة ١٥٠هـوتوفي سنة٢٠٤ هـ أنظر الاعلام للزركلي ٢٦/٦ .

(٦) الخليل بن احمد بن عمرو أبو عبد الرحمن البصري الفراهيدي الأزدي النحوي توفي سنة ١٧٠هـ أنظر الاعلام للزركلي ٣١٤/٢

(٧) انظر لسان العرب لابن منظور والتفسير الكبير للرازي١٣١/٣-

أما من حيث القراءة:

في التوراة قراءتان، الإمالة والتفخيم، فالتفخيم لأن الراء حرف يمنع الإمالة لما فيه من التكرير، واما الامالة فعلى قراءة ورش والله أعلم.[1]

(١) للإستزاده أنظر التفسير الكبير للرازي ٣/١٣١-١٣٢ وكذلك النشر في القراءات العشر لابن الجزري. ٢/٦٠ ومابعدها.

التوراة في اللغة العبرية

إن لفظة التوراة عند أهل الكتاب مستخدمة في الأصل العبري، وهي عبرية الأصل كما جاء في دائرة المعارف الكتابية البريطانية عن مادة توراة:

(وردت كلمة توراة في العبرية أكثر من ٢٢٠ مرة في العهد القديم وفي أغلب الحالات ترجمت إلى الناموس ولكنها وردت بضع مرات بلفظ "توراة" ٩:٣١, ١١, ١٢, ٢٤, ٢٦, يش ٨: ٣١ , ٣٤ – أنظر أيضا ٥:١٢ .....

وكلمة توراة اشتقت من الفعل العبري يرى، بمعنى يعلم ويرشد أو يري.

كما أنها تعني" وصية" أو "ناموس" انظر خر ٤٩:١٢ لا ٦ : ٢٥,١٤,٩ عدد ٥ : ٢٩ , ٣٠ , ٦: ١٣ ، ٢١ تث ١ : ٥ .....إلخ) [١] .

فهم يثبتون بذلك التوراة لفظ عبرانية وليست عربية الأصل، وهذا ما تؤيده الدراسات الحديثة للتوراة، سواء عند الباحثين المسلمين أو غيرهم فيقول الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي:

(والتوراة لفظ عبراني بمعنى التعليم والشريعة) [٢]

وهذا أيضاً ما تؤكده بعض الدراسات الغربية، مثل الدراسة التي قام بها البروفيسور الألماني /هويرت ايرزجل، أستاذ العهد القديم في كتابه "العهد القديم". [٣] حيث ذهب الى ان كلمة "التوراة" عبرية الأصل، وليست عربية، والله أعلم.

---

(١) دائرة المعارف الكتابية ٤٠٦/٢

(٢) في مقارنة الأديان بحوث ودراسات للشرقاوي ص ١٤

(٣) H. IRSIGLER DAS ALTES TESTAMENT S:11 GERMANY 1989 PAGE

التوراة في الاصطلام

التوراة في اصطلام علماء الإسلام:

يفرق علماء الإسلام بين ما يسمى الآن بالتوراة وهو مدار حديثنا، وبين ما يطلق عليه في النصوص الشرعية عند المسلمين بالتوراة، كما سيأتي بيان ذلك في حديثنا حول حقيقة التوراة.ومرادنا في بيان تعريف التوراة اصطلاحاً عند علماء الإسلام، هو هل لفظ التوراة يطلق على الأسفار الخمسة الاولى فقط، أم أنها تطلق على العهد القديم كله وبجميع أسفاره.

والحقيقة أن لفظ العهد القديم إنما يطلق على جميع الأسفار المقدسة عند اليهود، ويجمع العهد القديم كل ما يدعي اليهود أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى من عهد موسى عليه السلام، ويحتوي مجموع العهد القديم على تسعة وثلاثين سفراً بما فيها الأسفار الخمسة.

وأما لفظ التوراة فإنما يطلق على الأسفار الخمسة الأولى التي أنزلت على موسى عليه السلام ، وهي: سفر التكوين والخروج والعدد واللاويين والتثنية، وليس على العهد القديم بأكمله. فآيات القرآن تفيد أن التوراة كتاب الله الذي أنزله على موسى فيه وصاياه وأحكامه، فلا يمكن أن يطلق لفظ التوراة على جميع أسفار اليهود، فإن القرآن قد ذكر لموسى عليه السلام نوعان من الكتب التي نزلت عليه، فقد ذكر التوراة وصفاتها، كما أنه قد ذكر الألواح والصحف، فبينهما تمايز عند جمعهما في اللفظ لذا فإن التوراة لفظة لا تطلق إلا على الأسفار الخمسة، ومما يدل على ذلك حديث النبي ﷺ الذي يقول فيه:(إن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده ،آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده)[1] فالتوراة التي أنزلت على موسى وكتبها سبحانه بيده، لا يصح أن تطلق على جميع أسفار اليهود المقدسة،بل على الأسفار الخمسة فقط، فإننا نجد في غير هذه الأسفار الخمسة الحديث عن وفاة موسى، ولا يعقل إن يكون موسى عليه السلام قد

(١) رواه الدار قطني في الصفات ،كما ذكره صاحب كنز العمال برقم ١٥١٦٣.

تكلم عن وفاته فيالتوراة قبل أن يموت، فغير الأسفار الخمسة ليست من التوراة. يقول الإمام الشهرستاني[1] رحمه الله في حديثه عن اليهود:

(واليهود أمة موسى عليه السلام وكتابهم التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء، أعنى أن ما كان ينزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام ما كان يسمى كتاباً بل صحفاً، وقد ورد الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده) فأثبت لها اختصاصاً آخر سوى سائر الكتب، وقد اشتمل ذلك على أسفار، فيذكر مبتدأ الخلق في السفر الأول ثم يذكر الأحكام والحدود والأحوال والقصص والمواعظ والأذكار في سفر سفر.

وأنزل عليه أيضا الألواح على شبه مختصر ما في التوراة، تشتمل على الأقسام العلمية والعملية. قال الله تعالى: "وكتبنا له في الألواح من كل شئ موعظة"[2] إشارة إلى تمام القسم العلمي، "وتفصيلاً لكل شئ"[3] إشارة إلى تمام القسم العملي.

وكان موسى عليه السلام قد أوصى بأسفار التوراة والألواح إلى يوشع بن نون وصيه وفتاه والقائم بالأمر من بعده، ليفضي بها إلى أولاد هارون، لأن الأمر كان مشتركاً بينه وبين أخيه هارون عليهما السلام، إذ قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام في دعائه حين أوحى إليه: "وأشركه في أمري" [4] وكان هو الوصي، فلما مات هارون في حالة حياة موسى انتقلت الوصية إلى يوشع بن نون وديعة، ليوصلها إلى شبير وشبر ابني هارون قراراً، وذلك أن الوصية والإمامة بعضها مستقر وبعضها مستودع). [5]

وفي كلام الشهرستاني واضح في بيان أن التوراة لها اختصاص دون سائر الكتب، وهي الأسفار التي أنزلت على موسى عليه السلام حصراً،والتي كتبها الله سبحانه بيده. إلا أن

---

(١) محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشافعي المتكلم، ولد بشمال خراسان وتوفي سنة ٥٤٨هـ أنظر الاعلام للزركلي ٦/٢١٥.

(٢) سورة الأعراف اية ١٤٥

(٣)سورة الأعراف اية ١٤٥.

(٤) سورة طه اية ٣٢.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني، ص ٩٥

اليهود يطلقون التوراة على جميع الأسفار التي بأيديهم،ويرون قدسيتها جميعاً، وأنها وحي من الله.ولذا فإننا نرى بعض علماء المسلمين في ردهم على نصوص اليهود القدسية، يسمون جميع الأسفار التي عند اليهود بالتوراة ،ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيميه [1]، حيث يقول رحمه الله:

(إن المراد بالتوراة، جنس الكتب التي عند أهل الكتاب ما عدا الإنجيل، ولذلك لا يذكر القرآن أن محمداً ﷺ مذكور في كتاب موسى أو زبور داود مع أنه مذكور فيهما، ومع أنه أفردهما بالذكر في مواضع أخرى كقوله تعالى: "ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً "[2] "ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة"[3]

"وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين"[4] وذلك لكونهما مندرجين في لفظ التوراة ") [5].

كما ورد في صحيح البخاري أن عبد الله بن عمرو[6] رضي الله عنهما سئل عن بعض صفة النبي ﷺ في التوراة، فقال:(إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا تجزى بالسيئة السيئة ولكن تجزى بالسيئة الحسنة وتعفو وتغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، فأفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً بأن يقولوا لا اله إلا الله). [7]

---

(١) شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيميه، ولد في حران، وتوفي في دمشق سنة ٧٢٨هـ أنظر الأعلام للزركلي.

(٢) سورة الاسراء اية ٥٥ .

(٣) سورة هود اية ١٧ .

(٤) سورة الاحقاف اية١٢ .

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (٣/٢٨١ - ٢٨٢، ٣٢١ - ٣٢٢)

(٦) رواه البخاري في صحيحه٤/٤٤-٥كتاب التفسير ،صورة ٤٨،والبيوع ٥٠

(٧) عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي، أسلم قبل أبيه، وروى الكثير من الأحاديث، توفي سنة ٦٥هـ بالشام.أنظر الاعلام للزركلي ٤/١١١

ولا شك أن التوراة قد بشرت بمحمد عليه الصلاة والسلام ،وهذه البشارة بالنبي ﷺ مروية في سفر أشعياء[1]. وهو غير الأسفار الخمسة، فهل يعتبر هذا السفر من التوراة ؟ والجواب على ذلك، أن جميع الأسفار التي بأيدي اليهود قد لحقها التحريف والتبديل، فقد تكون هذه البشارة بالنبي ﷺ قد وردت في التوراة الأصلية، ثم نقلت إلى الأسفار الأخرى نتيجة التبديل والتحريف الذي لحق أسفار اليهود.

من هذا يتضح لنا أن علماء الإسلام يطلقون لفظ التوراة أساساً على الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، والمنسوبة لموسى عليه السلام على أنها وحي من الله تعالى.

وسواء صحت هذه الدعوى التي تنسب الأسفار الخمسة لموسى أو لم تصح،وهي بالقطع لا تصح، فإن لفظ التوراة إنما يعنى عند علماء الإسلام إلى الأسفار الخمسة فقط، وقد يطلق البعض لفظ التوراة على جميع العهد القديم من باب إطلاق الجزء على الكل، ومن باب التغليب لا من باب الحقيقة، والله سبحانه أعلم.

التوراة في اصطلاح غير المسلمين:

وقع الخلاف عند غير المسلمين حول معنى التوراة، فمنهم من قال أن التوراة لا تطلق إلا على الأسفار الخمسة التي تنسب إلى موسى عليه السلام، ومنهم من يرى أنها تطلق على جميع أسفار العهد القديم. فقد ذهب السامرية[2]والصدوقيون[3]من اليهود، إلى أن الأسفار الخمسة هي التي تسمى بالتوراة فقط[4]، وأما سفرا يوشع والقضاة فهما

---

(١) أنظر العهد القديم سفر أشعياء

(٢) السامرية طائفة من المتهودين،دخلوا اليهودية من غير بني إسرائيل كانوا يسكنون جبال بيت المقدس أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون دون نبوة من بعدهم. وقبلة السامرة إلى جبل يقال له عزيزيم في بيت المقدس ونابلس ولغتهم غير لغة اليهود العبرانية، أنظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.ص٥٦٨

(٣) وهي تسمية من الأضداد لأنهم مشهورون بالإنكار فهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار وينكرون التلمود،كما ينكرون الملائكة والمسيح المنتظر. أنظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. ص٥٦٨

(٤) أنظر التوراة السامرية طبع دار الأنصار القاهرة – مصر.

سفران تاريخيان، وقد جاء في دائرة المعارف الكتابية ما نصه:(وتستخدم الكلمة – أي التوراة – أصلاً للدلالة على أسفار موسى الخمسة).[1]

والفريق الآخر وعلى رأسهم أصحاب التلمود الذين يؤمنون به، يطلقون لفظ التوراة على العهد القديم بكامله،وهذا ما يرجحه المحدثون من الغربيين، الذين يعترفون بقداسة التلمود، فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس ما نصه:-

(وقد جاء الناموس من الله على يد موسى، ومع أن لفظة الناموس لوحدها تعني في بعض الأحيان العهد القديم كله "يو١٢ : ١,٣٤ كو ١٤: ٢١" فإنها ترمز إلى ناموس موسى في معظم الأحيان "يش ١: ٨ ونح ٨ : ١٤,٣,٢" وهي ليست شريعة موسى إلا بالاسم، لأنها من عند الله، ومن وضع الله، إنما سلمت إلى البشر عن طريق موسى في سيناء)[2].

فهذا النص يبين جواز إطلاق لفظ التوراة على الأسفار الخمسة، وعلى العهد القديم على حد سواء، وفي هذا إقرار بأن التوراة تشمل جميع العهد القديم، ولذلك فأهل الكتاب المتأخرون يعتبرون بأن التوراة هي جميع الأسفار، بل هي جميع العهد القديم، وهم يرون قدسيتها، وأنها من الله جميعاً.

(١) دائر المعارف الكتابية ٢ /٤٠٦

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٨

أسفار التوراة "العهد القديم"

للتوراة نسختان، نسخة اليهود عامة ومعهم طوائف النصارى، ونسخة أخرى هي نسخة السامرة أو السامرية من طوائف اليهود، وهاتان النسختان تختلفان في بيان عدد الأسفار التي يتكون منها العهد القديم، فالتي عند السامرية تتكون من سبعة أسفار هي"التكوين – الخروج– اللاويين– العدد – التثنية– يوشع– القضاة" إلا أنها تعتبر سفري "يوشع والقضاة" سفرين تاريخيين فقط، وعلى هذا تكون الأسفار عندهم الأسفار الخمسة فقط، وأما التي يعتبرها عامة اليهود وطوائف النصارى فهي مكونة من أربعة وعشرين سفراً طبقا للأصل العبراني، وتسعة وثلاثين سفراً طبقا للنسخة البروتستانتية[1] وثلاثة وأربعين سفراً طبقاً للنسخة الأرثوذكسية[2] وستة وأربعين سفراً طبقاً للنسخة الكاثوليكية[3]، وقد قسمها علماء الأديان إلى أربع مجموعات هي:

- المجموعة الأولى:

التوراة أو الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وتسمى "البنتاتيك" وهي كما يلي:

١- سفر التكوين، ويسمى سفر الخليقة أيضاً.

٢- سفر الخروج.

---

(١) فرقة من فرق النصرانية الكبرى "الأرثوذكس– الكاثوليك– البروتستانت" وقد ظهرت هذه الفرقة احتجاجاً على الكنسية الغربية الكاثوليكية باسم الإنجيل والفعل وهي مأخوذة من كلمة الاعتراض (protest) على كل أمر يخالف الكتاب حيث يعتقدون أن لكل قادر الحق في فهم الإنجيل فهم متساوون أمامه وقد ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي متأثرة بحركات الإصلاح على الكنسية، أنظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٥٢٠/٢ ومابعدها.

(٢) فرقة من فرق النصرانية وهي مذهب الطبيعيين المتأثرين بمذهب النساطرة، وقد اعتنقت أوربا هذا المذهب في مجمع رسمي سنة ٤٥١ م أنظر الموسوعة الميسرة للمذاهب والأديان المعاصرة٥٢٠/٢ ومابعدها..

(٣) وهو مذهب الكنائس الشرقية، وهي رد فعل على عقيدة النساطرة، إذ أعلنوا في مجمع عقد لهم بالأناضول سنة ٤٣١م الموافقة على عقيدة البابا كيرلس بطرس الإسكندرية والتي تقضي بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. أنظر الموسوعة الميسرة للمذاهب والأديان المعاصرة٥٢٠/٢ ومابعدها..

٣- سفر الأحبار، ويسمى سفر اللاويين أيضا.

٤- سفر العدد.

٥- سفر التثنية أو الاستثناء.

وبالنظر إلى مضمون هذه الأسفار الخمسة نرى أن **سفر التكوين** يقص كما هو واضح من اسمه قصة خلق العالم، وبناء السماء والأرض، ونشأة الإنسان الأول آدم وحواء، ثم قصة نوح والطوفان وأبناءه سام بن نوح وهو الذي ينتمي إليه الإسرائيليون، وقصة إبراهيم وابنيه عليهم السلام، وقصة يعقوب الملقب بإسرائيل وأبنائه الإثني عشر "أسباط بني إسرائيل"، ورحيلهم إلى مصر، حيث دعاهم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، كما يضم هذا السفر بعض الإشارات إلى قضايا جزئية متناثرة.

ويعرض **سفر الخروج** تاريخ بني إسرائيل في مصر، وقصة أعظم رسلهم موسى عليه السلام، ودعوته فرعون إلى توحيد الله، وخروجه مع بني إسرائيل من مصر قاصدين أرض فلسطين، وعصيانهم إياه وتمردهم عليه وعلى أخيه هارون، وفيه قصة عبورهم البحر وانفلاقه ويبسه لهم، وإغراق فرعون مصر فيه، والمن والسلوى، وتظليل الغمام، وتفجر المياه من الصخر لهم، وفيه وصف لتسليط رقابهم على موسى وعلى شريعة الله وتهديد الله لهم، ثم قصة التيه الذي قاسوه في أرض سيناء واستمر أربعين سنة، حرم الله عليهم فيها دخول الأرض المقدسة التي كانت مقصدهم وموعدهم من الله تعالى، كما يحتوي هذا السفر على متفرقات من أحكام شريعة موسى عليه السلام.

أما سفر التثنية فيحتوى على الأحكام المتعلقة بمسائل العبادة وأنماطها، خاصة ما يتعلق بأحكام المعاملات والحروب والاقتصاد... الخ.

وأما سفر اللاويين أو الأحبار - واللاويون: هم نسل (لاوي) أحد أبناء يعقوب، ومنهم موسى وهارون عليهما السلام، وقد كان اللاويون سدنة الهيكل والمشرفين على شؤون الذبح والقرابين، وأحبار الشريعة الموسوية وكهنتها، وعلى الجملة فقد أناطت بهم التوراة مهاماً دينية رفيعة، ومن ثم سمى السفر باسمهم، وذلك لأنهم قد رجعوا من تلقاء

أنفسهم إلى عبادة الرب بعد فتنة بنى إسرائيل بعبادة العجل، ونقش عهد الرب هذا، وقد كانت مكانة أبناء هارون أرفع من مكانة بقية أبناء لاوي.

وقد احتوى على الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادة والذبائح والقرابين وأساليب تقديمها، والمحرقات ودور الكهنة في أداء رسومها وأنماطها، وأحكام المذبح والمحرمات من الذبائح.... الخ.

وأما سفر العدد فقد شغل معظمه بإحصاءات لقبائل بنى إسرائيل ورؤسائهم وجيوشهم وأموالهم، وإحصاء ما يمكن إحصاؤه مما يتعلق بهم، واحتوى السفر على طائفة غير يسيرة من شؤون المعاملة والعبادة، وما يتعلق بها من أحكام.

هذه هي الأسفار الخمسة التي تسمى التوراة، وينسبها اليهود والنصارى إلى موسى عليه السلام، وهي تشكل المجموعة الأولى فحسب، من مجموعات العهد القديم.

- المجموعة الثانية :

الأسفار التاريخية وهي اثنا عشر سفراً كما يلي:

١-سفر يوشع بن نون.
٢-سفر القضاة.
٣- سفر راعوث.
٤- سفر صوئيل الأول.
٥- سفر صموئيل الثاني.
٦ - سفر الملوك الأول.
٧- سفر الملوك الثاني.
٨- سفر أخبار الأيام الأول.
٩- سفر أخبار الأيام الثاني.
١٠- سفر عزرا.
١١- سفر نحميا ويسمى السفر الثاني لعزرا.
١٢- سفر استير.

وموضوع هذه الأسفار عرض تاريخي لبني إسرائيل في فترة ما بعد موسى عليه السلام، وقصة حروبهم ودخولهم الأرض المقدسة واستقرارهم بها، كما إنها تقص تاريخ قضاتهم وملوكهم وأبرز أيامهم وحوادثهم، فهي قصة تاريخ بنى إسرائيل في هذه المرحلة، كما يظهر ذلك من عنوان المجموعة، ومن النظر في محتواها كذلك.

- المجموعة الثالثة:

الأسفار الشعرية أو أسفار الأناشيد، وعددها خمسة أسفار هي :

١- سفر أيوب.
٤- الجامعة من كلام سليمان.

٢- مزامير داود.
٣- أمثال سليمان.
٥- نشيد الإنشاد لسليمان.

وموضوع تلك الأسفار مواعظ وأناشيد بعضها ديني وبعضها غزلي فاحش، وهي مصوغة صياغة منظومة.

- المجموعة الرابعة :

أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفراً وهي:

١- سفر أشعياء	٨- سفر عاموس	١٥- سفر حجاي
٢- سفر أرمياء	٩ -سفر عوبديا	١٦- سفر زكريا
٣- سفر مراثي أرمياء	١٠- سفر يونان	١٧- سفر ملاخيا
٤- سفر حزقيال	١١- سفر ميخا	
٥- سفر دانيال	١٢- سفر ناحوم	
٦- سفر هوشع	١٣- سفر حبقوق	
٧- سفر يوئيل	١٤- سفر صفنيا	

وهذه المجموعة تشمل على بعض الأخبار من الأنبياء الملوك، وكذلك بعض الأحكام ونحوها.

تلك هي الأسفار التسعة والثلاثون التي تشكل ما يسمى بالعهد القديم طبقاً للأصل العبراني، وهي التي ارتضاها جمهور البروتستانت من النصارى.[1]

---

(١) للاستزادة أنظر العهد القديم وإظهار الحق ٩٩/١ وفي مقارنة الأديان للشرقاوي ص ١٤-١٥ والكتب المقدسة بين الصحة والتحريف د. يحيى محمد علي ربيع والفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه وأبحاث في الفكر اليهودي للدكتور/ حسن ظاظا واليهودية واليهود د. علي وافي.

حقيقة التوراة بين الواقع والمصطلح الشرعي الصحيح لها

عند النظر في حقيقة التوراة (العهد القديم)، لابد من وضع مجموعة من الأسس والمعايير المنهجية التي تتوقف عليها معرفة الكتب الإلهية التي أوحى بها الله تعالى إلى أنبيائه ورسله، بالدليل القاطع، والبرهان اليقيني، والحجة البالغة، تتمثل في المقدمات التالية:

١- ثبوت نبوة من تنسب إليه هذه الكتب.

٢- العلم القطعي بإملاء النبي أو كتابته تلك الكتب بناء على وحي الهي.

٣- اتصال السند المتواتر لهذه الكتب حتى وصولها إلينا.

٤- نقل متونها دون تغيير أو تبديل.

٥- صحة ترجمتها من لسان النبي المعين إلى اللغات الأخرى.

إن الدراسات الغربية من اليهود والنصارى حول الكتاب المقدس ونقده كثيرة لا حصر لها في بيان أوجه التحريف والتبديل والتناقضات فيه، مما لا يتفق مع العقل السليم، و كذلك هناك الكثير من الدراسات والرسائل من علماء الإسلام في نقد الكتاب المقدس بشقيه العهد القديم التوراة والعهد الجديد الأناجيل، إما إجمالاً أو مفردة في أحدها أو في أحد موضوعاتها وهذه الرسالة تعتبر مثال من امثلة بيان التحريف في التوراة كما سنتضح لاحقاً، وهذا ليس مجال بحثنا، وإنما أردنا الإشارة إلى الفرق بين التوراة المحرفة وبين ما يطلق عليه في النصوص الشرعية باسم التوراة، فقد جاء وصفها في القرآن الكريم بأحسن الأوصاف وأعلاها، وكذلك في السنة النبوية، فإن التوراة التي في النصوص الشرعية تعني أنها كتاب الله الذي كتبه بيده وأعطاه موسى عليه السلام، وأن ما فيها حق ونور قبل أن تحرف وتبدل.

ونحن في حديثنا في هذه الرسالة نتجه رأساً إلى ما هو موجود، أو ما يسمى بالعهد القديم "التوراة" والله المستعان.

المبحث الثاني

في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحكم استنقاصهم

تعريف العصمة لغةً:

العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ووضع وملازمة، والمعنى في ذلك كله واحد[1]. واعتصم بالله امتنع به، واعتصمت بالله إذا أقلعت بلطفه عن المعصية، فالعصمة في أصلها تعني الإمساك والمنع، يقول الفيروز آبادي[2] في مادة عصم:

(عصم يعصم : اكتب ومنع ووقى، والعصمة بالكسر المنع والقلادة، واعتصم بالله امتنع بلطفه عن المعصية).[3] فقد أضاف هنا أنه المنع بلطف الله عن المعصية أو الذنب.

وقال ابن منظور في لسان العرب:

(العصمة في كلام العرب المنع، وعصمة الله عبده أن يعصمه مما يؤذيه، واعتصم فلان بالله إذا امتنع به، والعصمة الحفظ، يقال: عصمته فاعتصم، واعتصمت بالله إذا أقلعت بلطفه عن المعصية).[4] فهنا زاد معنى آخر، وهو الحفظ من جميع المكروهات والمصائب ونحوها ومنها المعصية.

وقال الزجاج[5]:(أصل العصمة الحبل، وكل ما أمسك شيئا فقد عصمه).

---

(١) أنظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٣٣١-٣٣٤

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي،يكنى بأبي الطاهر،ولد بأرض فارس وتوفي سنة٨١٧هـ أنظر الأعلام للزركلي.

(٣) أنظر القاموس المحيط للفيروز آبادي. ص ١٤٦٩

(٤) لسان العرب لابن منظور ص ١٢/٤٠٣-٤٠٨

(٥) الإمام النحوي إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج توفي سنة ٣١١هـ أنظر طبقات النحويين للفيروز آبادي. (٦) معاني القران للزجاج ص ٢/١٩٢

من كل هذا يتضح ان معنى وهذا تأكيد العصمة في اللغة، هو الإمساك والمنع. فالعصمة إذن تعني المنع والحفظ، وهذا المعنى قريب جداً لتفسير العصمة اصطلاحاً كما سيأتي بيان ذلك.

العصمة في الاصطلام:

وردت أقوال كثيرة لأهل العلم في تحديد معنى عصمة الأنبياء اصطلاحاً، والراجح من بين هذه الأقوال هو:-

(حفظ الله الرسل مما ينفر من القول والفعل قبل النبوة، وعدم إقرارهم على شئ من ذلك، وحفظهم من الكذب والكتمان في التبليغ بعد النبوة، وكذا من الكبائر، وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر، وعدم إقرارهم عليها)[1]

وذلك لأن الأنبياء خيرة الله في خلقه وحجته على عباده والوسائل إليه، وأبواب رحمته وأسباب نعمته، فإنه سبحانه قد اصطفاهم من الخلق قولاً بالرسالة والنبوة، واصطفاهم في الخُلق فعلاً بكمال الفطرة ونقاء الجوهر وصفاء العنصر وطيب الأخلاق وكرم الأعراق، قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [2]

وقد اصطلح على تسمية هذا الكمال والاصطفاء الخلقي بالعصمة، وبناءً على هذا التعريف يمكننا القول بأن العصمة بهذا المعنى تنقسم إلى شقين:

الشق الأول "العصمة الأخلاقية":

وهي حفظ الله لأنبيائه ورسله من الوقوع في الذنوب والمعاصي وارتكاب المنكرات والمحرمات، أو ملكة له تمنعه من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة على ذلك. وتشتمل هذه العصمة الأخلاقية على جانبين:

---

(١) أنظر مفهوم العصمة ١ / ص ٣٥- ٤٥ وأنظر كذلك تفسير آيات أشكلت لابن تيميه ٢١٣/١- ت- عبدالعزيز الخليفة ، ط أولى ، ١٤١٧هـ مكتبة الرشد الرياض .

(٢) سورة الحج آية ٧٥.

١_ جانب الإثبات ٢_ جانب التنزيه

أولاً : *جانب الإثبات*: وفيه تثبت للأنبياء مجموعة من الصفات الأخلاقية الحميدة واللازمة لطبيعة مهمتهم ومنها:

١_الصدق:

فيستحيل الكذب على أنبياء الله، لأن ذلك نقص ينافي منصب النبوة، فلو جاز على النبي الكذب في شيء لجاز عليه الكذب في دعوى الرسالة، وهذا نقض لها من أساسها.

٢_الأمانة:

فينتفي عن أنبياء الله التلبس بالخيانة قبل النبوة وبعدها، وكذلك التلبس بالكبيرة والصغيرة التي فيها خساسة ودناءة.

٣_التبليغ:

فالنبي هو المنبئ عن الله، والحكمة من نبوته هو تبليغ رسالة الله للناس، والأنبياء لم يكتموا عن أممهم شيئا مما أمروا بتبليغه.

٤_الفطانة :

فهي صفة واجبة لأنبياء الله، فبها يعرف الرسول ما يلقى إليه من الوحي، لكي يبلغه بعد ذلك للناس، فيستحيل على أنبياء الله الغباوة، فهي تنافي منصبهم، فإنهم أرسلوا ليبلغوا الناس مصالح آخرتهم ودنياهم، والبلادة تنافي هذا المطلوب منهم.

وإلى جانب هذه الصفات قد أثبت البعض للأنبياء قوى وخصائص أخرى، وليس هذا مقام استقصائها وتتبعها ولكن هم اكمل الناس اخلاقاً اجمالاً.

ثانياً:*جانب التنزيه*:

وهو الذي يتعلق بكونهم قدوة البشر الحسنة، وأسوتهم الصالحة، وقادتهم الملهمة، فإن علو فطرة الرسول وصفاء نفسه وسمو روحه وصحة عقله، تقتضي بأن يكون أنموذجاً رفيعا بين قومه في أخلاقه ومعاملاته وأمانته وبعده عن ارتكاب القبائح التي تنفر منها العقول السليمة والطباع المستقيمة، فلو قدر وقوعهم في المعاصي وارتكابهم الموبقات واقترافهم الآثام لسقطت عنهم مؤهلات القيادة والقدوة، لذا فقد لزم امتناع المعاصي

عليهم وثبوت التنزيه عنها في حقهم، وقد اختلف موقف طوائف علماء الإسلام من تنزيه الأنبياء عن المعاصي باختلاف حجم المعصية "كبائر أو صغائر" وليس باختلاف نوع المعصية "ما يتعلق بالاعتقاد أو الأفعال أو الأحوال" وذلك على النحو التالي:

١ _ *الكبائر*: وقد اجتمعت الأمة على عصمة الأنبياء من ارتكاب الكبائر، سيان ما تعلق منها بالاعتقاد أو الأفعال أو الأحوال، ما خلا الكرامية.(١)

٢ _ *الصغائر*: وقد انقسمت آراء العلماء حولها إلى فريقين:

الفريق الأول:

يرى عصمة الأنبياء من صغار الذنوب وان دقت كعصمتهم من كبيرها، وذلك من أجل اطمئنان القلوب إليهم، ولاستحقاق التكليف الإلهي الذي اختارهم الله تعالى لأجله، كذلك كي يكونوا جديرين بالمكانة التي انتدبهم الله لها كقدوة صالحة وأسوة حسنة للبشر أجمعين، ويمثل هذا الفريق الرافضة(٢) والمعتزلة.(٣)

الفريق الثاني:

وهو جمهور المسلمين واكثر علمائهم وطوئفهم فيقولون بعصمة الانبياء من الكبائر دون الصغائر فيرون جواز وقوع صغائر الذنوب من الانبياء.

لكن هذه الصغائر التي وقعت من الأنبياء لا تقدح في استحقاقهم التكليف الإلهي، ولا في جدارتهم بالمكانة التي انتدبوا لها كأسوة وقدوة حسنة للبشر، وذلك للأسباب التالية:

---

(١) فرقة كلامية تنتسب لزعيمها محمد بن كرام الذي نشر في أتباعه عقيدة التشبيه والتجسيم.أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١٥.

(٢) فرقة من فرق الشيعة تسمى أيضاً بالإثني عشرية،وتعتقد بإمامة اثني عشر إماماً من أهل البيت،وأكثر إنتشارها اليوم في إيران والعراق.وقد سموا بالرافضة لرفضهم زيد بن علي بن الحسين،لما رفض التبرؤ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١.

(٣) فرقة كلامية ظهرت في القرن الأول الهجري على يد واصل بن عطاء، تسمى أيضاً بالقدرية،وهي التي نصرت بدعة القول بخلق القرآن. أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٤.

أولاً: أن هذه الصغائر لم تبق خافية، بل أظهرها الله ونبه أنبياءه إلى ما صدر منهم من مخالفات ولم يقرهم عليها، فيكونون معصومون من الإصرار عليها، ويكون الاقتداء بهم في التوبة منها.

ثانياً: أنها قد وقعت على أحد وجهين، إما من باب السهو، وإما من باب قصد الشيء يراد به وجه الله تعالى فيوافق خلاف مراده.

ثالثاً: أن الذنوب لا تنافي الكمال، إذا ما اقترنت بالتوبة النصوح التي يرفع بها الله صاحبها إلى أعظم مما كان عليه، ويبدل سيئاته حسنات، كما قال تعالى:(إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات)[1]

ثانياً: الشق الثاني " العصمة في التبليغ":

وهي حفظ الله لأنبيائه حتى يبلغوا رسالات ربهم، وذلك الحفظ يشمل:

أ- حفظهم عن النسيان والكذب في البلاغ والخطأ والكتمان.

ب- تأييدهم وحفظهم من شياطين الإنس والجن، فلا يقدرون على تغيير ما بعث الأنبياء به وأمنهم من تبليغه.

وعصمة الأنبياء في التبليغ معلومة بدليل الشرع والعقل والإجماع، فالقرآن يخبرنا أن الله قد عصم أنبياءه عن النسيان فيقول تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[2] وقال تعالى:-

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ۝ ﴾[3]الآية.

---

(١) سورة الأعلى آية ٦

(٢) سورة الجن آية ٢٦-٢٧

والعقل يلزم بهذه العصمة، إذ بدونها لا يحصل مقصود النبوة والرسالة، إذ لما كانت النبوة والرسالة في النبأ أو الخبر، فقد وجبت العصمة عن الخطأ في نقل هذا النبأ الذي هو مقصود النبوة والرسالة، والإجماع قد ثبت باتفاق الأمة على عصمة الأنبياء في التبليغ عن رب العالمين، وفيما ذكرناه كفاية وغاية في بيان العصمة للأنبياء عليهم السلام.

حكم استنقاص الأنبياء:

لم يزل المتقدمون والمتأخرون من علماء الإسلام، ينكرون استنقاص الأنبياء أو الحط من شأنهم، بل إن ذلك يعد من قبيل الاستهزاء بدين الله المخرج من الملة، كما قال تعالى:

﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ....﴾[1] ومن تتبع مواقف الأئمة والعلماء في مسألة تنزيه الأنبياء عليهم السلام، يرى شدتهم في هذه المسألة، حتى نقل عن غير واحد من العلماء الإجماع على تكفير من انتقص نبياً من أنبياء الله أو استهزأ أو استهان به، يقول القاضي عياض اليحصبي[2] رحمه الله: (من سب النبي ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله، أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب والازدراء عليه، أو النقص لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب، تلويحاً كان أم تصريحاً، وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه، على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام أو بشيء مما جرى من البلاء أو المحنة عليه، أو غمصه بشيء من العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى، من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جراً)[3]

---

(١) سورة التوبة آية ٦٦

(٢) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي المالكي،له في الفقه المالكي اليد الطولى، وفي في سبته عام ٤٧٦هـ.أنظر الأعلام للزركلي.٩٩/٥

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص ٣٥٥

وقال اسحق بن راهويه[1] رحمه الله:(أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب رسوله ﷺ، أو دفع شيئاً مما أنزل الله، أو قتل نبياً من أنبياء الله، أنه كافر بذلك)[2] وهذا الحكم ينسحب على من انتقص النبي محمد ﷺ، أو غيره من الأنبياء سواء بسواء، قال الإمام السبكي[3] رحمه الله:(سب سائر الأنبياء والملائكة كسب النبي ﷺ بلا خلاف).[4] وقد أفتى بعض فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه باستخفافه بحق النبي ﷺ، وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم، وزعمه أن زهده ﷺ لم يكن قصداً، ولو قدر على الطيبات لأكلها.[5]

و مما اخذ على أبي نواس[6] وكفر به، قوله في محمد الأمين وتشبيهه إياه بالنبي ﷺ:

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها خلقاً وخلقاً كما قد الشراكان

ومن ذلك قول المعري[7]:

كنت موسى وافته بنت شعيب غير أن ليس فيكما فقير [8]

ففي كل هذه النقولات عن علماء الأمة، وموقفهم فيمن يعرض بالأنبياء أو يستنقصهم بشيء، بيان واضح بأن ذكرهم بما يقلل من مكانتهم، أو يحط من قدرهم، هو من كبائر الذنوب التي قد تصل إلى حد القتل ردةً، مما يعني أنها قد توقع صاحبها في الكفر والعياذ بالله.

---

(١) الإمام اسحق بن راهويه، جمع بين العلم والحديث والورع ، ولد سنة ١٦٠هـ، سكن نيسابور ومات فيها سنة ٢٣٨هـ، أنظر الأعلام للزركلي ٢٩٢/١.

(٢)أنظر التمهيد لإبن عبد البر ٢٢٦/٤

(٣) الإمام الفقيه المحدث المفسر،تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي، ولد في صفر سنة ٦٨٣هـ، وتوفي بمصر سنة ٧٥٦هـ أنظر الأعلام للزركلي ٣٠٢/٤.

(٤) التمهيد لابن عبد البر ص ٤٣٥

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص٣٥٧

(٦) الحسن بن هانيء بن عبد الأول بن صباح المكي بالولاء، شاعر العراق في عصره،توفي سنة ١٩٨هـ، أنظر الأعلام للزركلي ٢٢٥/٢.

(٧) أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، أبو العلاء ، شاعر وفيلسوف ،ولد في معرة النعمان سنة ٣٦٣هـ وتوفي فيها سنة ٤٤٩هـ. أنظر الأعلام للزركلي.

(٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ص ٣٥٨

ونحن إذ نقول ذلك، نبين أن ما ننقله في هذه الرسالة من بعض الأخبار أو الروايات التي تحط من قدر أنبياء الله مما يرد في الروايات الإسرائيلية، فإنما هي من باب الذكر والبحث العلمي، وإلا فإن المسلم يربأ بنفسه أن يعرضها لعقاب الله وسخطه، نسأل الله السلامة والعافية.

الباب الأول

يعقوب عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن

وينقسم إلى فصلين:

الفصل الأول:

سيرته منذ ولادته حتى رجوعه إلى أرض الكنعانيين.

الفصل الثاني:

من رجوعه إلى أرض الكنعانيين إلى وفاته في مصر ثم دفنه في فلسطين.

الفصل الأول

سيرته منذ ولادته حتى رجوعه إلى أرض الكنعانيين.

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: اسمه وولادته ونشأته.

المبحث الثاني: سبب رحلته إلى العراق عند خاله لابان.

المبحث الثالث: بناؤه بيت المقدس.

المبحث الرابع: زواجه بـ ليا وراحيل وجاريتيهما وذكر أبنائه منهن.

المبحث الخامس: قصة رجوعه إلى أرض الكنعانيين وما فيها من أحداث.

المبحث الأول: اسمه وولادته ونشأته.

ورد اسم يعقوب في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً موزعة على عشر سور هي:(البقرة- آل عمران- النساء- الأنعام – هود – يوسف –مريم – الأنبياء – العنكبوت – ص).

ففي البشارة به قبل مجيئه يقول تعالى:﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ...﴾[1]

وأما حول ولادته واسمه ونشأته يقول تعالى:﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2]

وقال تعالى:﴿ ..... وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾[3]

وقال تعالى:﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا.. ﴾[4]

---

(١) سورة هود الآية ٧١

(٢) سورة الأنعام الآية ٨٣،٨٤

(٣) سورة يوسف الآية ٣٨

(٤) سورة مريم الآية ٤٩

وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ... ﴾[2]

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ... ﴾[3]

وقال تعالى ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ... ﴾[4]

فهذه الآيات بينت اسمه ونسبه وشيء من سيرته كما سيأتي بيان ذلك، أما في العهد القديم جاء ما نصه:

(وهكذا مواليد إسحاق بن إبراهيم ولد إبراهيم إسحاق. وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة رفقة بنت بتوئيل الآرامي، أخت لابان الآرامي من فدان أرام، وصلى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقرا، فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته، وتزاحم الولدان في بطنها فقالت: إن كان هكذا فلماذا أنا، فمضت لتسأل الرب. فقال لها الرب: في بطنك أمتان. ومن أحشائك يفترق شعبان، شعب يقوى على شعب، وكبير يستعبد لصغير.

فلما كملت أيامها لتلد إذا في بطنها توأمان فخرج الأول أحمر، كله كفروة شعر فدعوا اسمه عيسو، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو، فدعي اسمه يعقوب

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٧٢

(٢) سورة العنكبوت الآية ٢٦

(٣) سورة ص الآية ٤٥

(٤) سورة آل عمران الآية ٩٣

وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما.

فكبر الغلام، وكان عيسو إنساناً يعرف الصيد إنسان البرية، ويعقوب إنساناً كاملاً يسكن الخيام، فأحب إسحاق عيسو لأن في فمه صيداً. وأما رفقة فكانت تحب يعقوب، وطبخ يعقوب طبيخاً، فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا، فقال عيسو ليعقوب: أطعمني من هذا الأحمر لأني قد أعييت. لذلك دعي اسمه أدوم، فقال يعقوب: بعني اليوم بكوريتك، فقال عيسو ها أنا ماض إلى الموت. فلماذا لي بكورية فقال يعقوب: إحلف لي اليوم. فحلف له. فباع بكوريته ليعقوب، فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبيخ عدس. فأكل وشرب وقام ومضى. فاحتقر عيسو البكورية)[1]. فمن النصوص السابقة نخلص إلى ما يلي:-

الأول: اسمه.

هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام. وكان يطلق عليه اسم (إسرائيل). وأمه هي رفقة بن بتوئيل بن تارح (آزر)، فهي ابنة شقيق إبراهيم عليه الصلاة والسلام. أي أنه من الأنبياء الأبرار الطاهرين المنحدرين من ذرية أبي الأنبياء جده إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وفي ذرية يعقوب استمرت النبوة من بعده في بني إسرائيل.

وأما ما معنى اسمه عليه السلام أو لماذا سميّ بيعقوب، فقد ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله في تاريخه عن السدي: (أن إسحاق تزوج امرأة فحملت بغلامين في بطن، فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان في بطنها، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيصو، فقال عيصو: والله لئن خرجت قبلي لاعترضن في بطن أمي ولأقتلنها، فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله، وأخذ يعقوب بعقب عيصو فخرج، فسمي عيصو لأنه عصى فخرج قبل يعقوب، وسمي يعقوب لانه خرج آخذاً بعقب عيصو)[2].

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٢٥: ١٩-٣٤

(٢) تاريخ الطبري ١/١٩٦

فإذن أخذ اسم يعقوب لأنه ولد وهو ممسك بعقب أخيه "عيسو" فسمي يعقوب، وأما في تفسير أهل الكتاب لمعنى يعقوب، فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس في معنى كلمة يعقوب:(يعقوب اسم عبري معناه "يعقب – يمسك العقب – يحل محل...)[1]

والصحيح أن يعقوب لفظة ليست عربية الأصل، فليس لها معنى يتعلق بالعقب أي المتأخر أو آخذاً بعقب أخيه، كما ورد ذلك في الروايات الإسرائيلية حول ولادته.

وأما اسم إسرائيل فمعناه الذي يجاهد مع ربه، أو عبد الله، أو الذي يسري في الليل وينام في النهار، إشارة إلى الحادثة التي حصلت ليعقوب في رحلته إلى خاله لابان[2]فجاء في قاموس الكتاب المقدس في معنى كلمة إسرائيل:

(إسرائيل : اسم عبري ومعناه "يجاهد مع الله" أو "الله يصارع ...)[3]

فلفظ إسرائيل لفظ مركب تركيب الإضافة، فان إسرا بالعبرانية هو العبد، وإيل هو الله، على أن العرب قد تصرفت في هذا الاسم بلغات كثيرة منها: إسرائين بإبدال اللام نوناً، كما قالوا في إسماعيل إسماعين، وهي لغة عربية فصيحة كذلك.

فالأقرب في معنى إسرائيل والله أعلم، أنها بمعنى عبد الله، كما جاء تفسير ذلك عن ابن عباس،[4]وإن كانت المعاني الأخرى ليست باطلة، مثل القوي بالله، أو المجاهد مع الله، أو الذي يسري بالليل ويكمن في النهار.

وعلى هذا فيصح إطلاق اسم (يعقوب – إسرائيل) كلاهما على نبي الله يعقوب، فالأول منهما هو الاسم والثاني يعتبر لقباً له، والله أعلم.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٣

(٢) أنظر تاريخ ابن جرير الطبري ١٩٦/١

(٣) قاموس الكتاب المقدس الصادر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ص ٦٩

(٤) أنظر تفسير ابن جرير في تفسير قوله تعالى:(كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل) وأنظر كذلك ، الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم للدكتور محمد علي البار ص ١٣٥.

الثاني: ولادته.

ولد يعقوب عليه الصلاة والسلام بعد أن كان عمر إسحاق ستين سنة، كما في الروايات الإسرائيلية، وقد اختلف في زمن ولادته،[1] وهل أدرك جده إبراهيم عيه الصلاة والسلام أم لا، والأقرب أنها كانت في عهد جده إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا...﴾[2]

(فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان، آنسنا وحشته من فراقهم، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم، فوهبنا له ابنه إسحاق وابن ابنه يعقوب بن إسحاق....)[3].

وقد جاء في سفر التكوين أن إبراهيم عليه السلام ولد له إسحاق وهو ابن مائة وتوفي وبه من العمر مائة وخمسة وسبعين سنة، وكان لإسحاق حين ولد له يعقوب وعيسو ستون سنة، فاستفيد من ذلك وجود يعقوب عليه السلام في حياة جده فقد أدرك من حياة جده إبراهيم خمسة عشر عاماً.

وبهذا يفهم سر ذكره في قوله تعالى: ﴿ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ أي أن إبراهيم لما اعتزل قومه وما يعبدون، وهبه الله إسحاق ويعقوب، أي ولد وولد ولد، لتقر عينه ببقاء

---

(١) تحديد سنة ولادة يعقوب عليه السلام بالتاريخ يكون بتحديد عصر إبراهيم عليه السلام فقد ولد يعقوب عليه السلام ولإسحاق عليه السلام ستون سنة وهو ما يوافق سنة ١٨٣٧ق.م حيث كانت سنة ولادة إسحاق ١٨٩٧ق.م وعمر إبراهيم عليه السلام ١٠٠ عاماً وبناءاً على ذلك تكون وفاة يعقوب عليه السلام ١٦٩٠ق.م حيث عاش عليه السلام ١٤٧ عاماً أنظر الكتاب المقدس العهد القديم سفر التكوين وكذلك موسوعة وست منستر الشهيرة للأسقف يوشر وكذلك أنظر أبو الأنبياء عباس محمود العقاد.

(٢) سورة مريم آية ٤٩

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ٩٣/٩

العقب. وقوله تعالى:﴿ فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾[1] إشعار بأنها تلد غلاماً، وسماه إسحاق، وسمى ولد ولدها يعقوب، أي ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما فتقر عينكما به، وهذا أكمل في البشارة وأعظم في النعمة.

فولادة يعقوب عليه السلام قد حدثت في حياة جده إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد ذهب إلى ذلك ابن جرير الطبري وصاحب المنار وصاحب الكشاف، لما صحح قراءة النصب به في قوله تعالى:﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ أي أن يعقوب كان ممن حضر تلك الوصية[2]

وقد خالف فريق من العلماء هذا القول وقالوا: أن يعقوب لم يدرك زمن حياة إبراهيم عليه الصلاة والسلام منهم القشيري، [3] كما حكاه القرطبي[4] عنه ولم يعلق عليه، فكأنه يقر كلامه.

فقد قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ... الآية﴾[5]:

(ويعقوب بالنصب عطفاً على بنيه، فيكون يعقوب داخل في من أوصاه. قال القشيري: وقريء يعقوب بالنصب عطفاً على بنيه وهو بعيد، لأن يعقوب لم يكن فيما بين أولاد إبراهيم لما وصاهم، ولم ينقل أن يعقوب أدرك جده إبراهيم، وإنما ولد بعد موت إبراهيم، وإن يعقوب أوصى بنيه أيضاً كما فعل إبراهيم)[6]

---

(١) سورة هود آية ٧١

(٢) للإستزادة ،أنظر تفسير ابن جرير وتفسير القاسمي و تفسير الزمخشري،قصص الأنبياء القصص الحق ، للشيخ عبد القادر شيبة الحمد ص١٤٣.

(٣) الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري صاحب الرسالة القشيرية توفي سنة ٤٦٥هـ أنظر الاعلام للزركلي ٥٧/٤.

(٤) محمد بن احمد أبو عبد الله الأنصاري القرطبي المفسر المشهور توفي سنة ٦٧١هـ أنظر الأعلام للزركلي ٣٢٢/٥.

(٥) سورة البقرة آية ١٣٢

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٢/١

وما ذكره القرطبي رحمه الله من كلام القشيري، حول زمن ولادة يعقوب في عهد جده إبراهيم فإنه امر محتمل ولكن الأقرب أن يعقوب عليه الصلاة والسلام ولد في زمن جده إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لعدم ورود ما يمنع ذلك، ولما في الاشارة الوارد ذكرها في الايات السابقة من قرائن تؤخذ ذلك وهو ما نصت عليه الروايات الإسرائيلية عليه والله أعلم.

الثالث: التوأمان.

تأخرت أم يعقوب بالولادة حتى بلغ إسحاق ستون سنة من عمره، ثم حملت أم يعقوب بولدين من بطن واحد كما نص على ذلك العهد القديم[1]، وإن الأصغر هو يعقوب حسب ترتيب خروجهما، فإن عيسو قد خرج قبل يعقوب، وفي ذلك قصة عجيبة ذكرها الطبري والثعلبي[2]، خلاصتها أن إسحاق عليه السلام تزوج امرأة فحملت بغلامين في بطن، فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان في بطنها، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيسو، فقال عيسو: والله لئن خرجت قبلي لأعترضن في بطن أمي ولأقتلنها، فتأخر يعقوب وخرج عيسو قبله، وأخذ يعقوب بعقب عيسو، فخرج فسمي عيصاً لأنه عصى فخرج قبل يعقوب، وسمي يعقوب لأنه خرج آخذاً بعقب عيسو، وكان يعقوب أكبرهما في البطن، ولكن عيصاً خرج قبله[3].

فهذه القصة تشير إلى أن يعقوب عليه الصلاة والسلام ولد مع أخ له يدعى عيسو، فهو توأم لأخيه حسب رواية التوراة وإقرار أهل التاريخ بذلك، وإن كانت هذه القصة العجيبة لا يمكن إقرار ما فيها من الغرائب والخيالات التي لم تثبت بنقل صحيح حتى نصدق بها، والله أعلم.

---

(١) انظر العهد القدم سفر التكوين ٢٥: ١٩-٣٠

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعالبي المفسر المشهور صاحب التصانيف توفي سنة ٤٢٧هـ أنظر الأعلام للزركلي ٢١٢/١.

(٣) أنظر تاريخ الطبري ج٩٢/١ وعرائس المجالس للثعالبي ص: ١٠١

رابعاً: نشأته وسكنه

نشأ يعقوب عليه الصلاة والسلام في منزل والده ووالدته حتى كبر وحصل ما حصل بينه وبين أخيه عيسو في شأن الدعاء له بالبركة (أخذ بركة أبيه) كما ستأتي.

أما في القرآن فلم يرد شيء صريح عن نشأة يعقوب وسكناه، وإنما ذكر في قصة يوسف بيان مكان سكنى يعقوب قبل مجيئه إلى مصر، وأنه كان في البادية من أرض فلسطين كما قال تعالى:﴿ ...وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ....﴾.[1]

فقيل إن مسكنه عليه السلام كان ببادية فلسطين، قال قتادة:(وكان يعقوب وبنوه بأرض كنعان أهل مواشي وبرية).[2]

وقال ابن جرير:(كانوا أهل بادية وماشية وكانوا يسكنون بالعربات من أرض فلسطين من غور الشام) [3] وذكر الإمام ابن كثير[4][5]والإمام القرطبي[6] بأن مسكن يعقوب عليه الصلاة والسلام في إحدى قرى بادية الشام.

إلا أننا ننبه إلى معنى قوله تعالى:﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ لا يعني أن يعقوب عليه السلام من أهل البادية إنما هو من أهل القرى و المدن، لأن الأنبياء لا يكونون من أهل البادية، بل هم من أهل الحضر.وفي ذلك يقول القرطبي رحمه الله:

("من أهل القرى" يريد المدائن ولم يبعث الله نبياً من أهل البادية لغلبة الجفاء والقسوة على

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٠

(٢) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري ٧١/٨

(٣) المصدر السابق ٧١/٨-٧٢

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء عماد الدين صاحب التصانيف المشهورة توفي سنة ٧٧٤هـ أنظر الأعلام للزركلي ٣٢٠/١.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩٠/٢-٤٩١

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٥/٥

أهل البدو، ولأن أهل الأمصار أعقل وأحلم وأفضل وأعلم، قال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل البادية قط ولا من النساء ولا من الجن. وقال قتادة: من أهل القرى، أي من أهل الأمصار، لأنهم أعلم وأحلم. وقال العلماء: من شرط الرسول أن يكون رجلاً آدمياً مدنياً، وإنما قالوا آدمياً تحرزاً من قوله يعوذون برجال من الجن)[1]

وقال ياقوت الحموي[2]في معجمه عن مكان سكنى يعقوب عليه السلام:

(قال بعضهم: كان بين موضع يعقوب بن كنعان ويوسف بمصر مائة فرسخ، وكان مقام يعقوب بأرض نابلس، وبه الجب الذي ألقى يوسف فيه معروف بين ساجل ونابولس عن يمين الطريق، وكان مقام يعقوب عليه السلام في قرية يقال لها سيلون، وقال أبو زيد: كان مقام يعقوب بالأردن، وكل هذا متقارب).[3]

و في قاموس الكتاب المقدس ما يؤكد محلّ نشأة يعقوب وسكناه من أرض الشام ناحية الأردن فقد جاء فيه ما نصه:

---

(١) هذا الأثر كما ذكره القرطبي رحمه الله في تفسيره عن الحسن وكذلك ذكره الإمام ابن الجوزي في تفسيره ٢٩٥/٤ والواحدي كذلك ٦٣٨/٢ ولا أعلم صحته ولكن ورد أيضاً عن ابن عباس قوله "يريد أهل المدائن لان الله تعالى لم يبعث نبياً من بادية" ذكره الواحدي في تفسيره ٦٣٨/٢ والله أعلم بصحته أيضاً وقد ورد أيضاً عن قتادة في تفسيره لقول الله عز وجل "وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى .... الآية" "قوله لأنهم كانوا أعلم واحلم من أهل العمود" رواه ابن جرير ٨٣/٨ وقد أيد هذا المعنى ابن كثير في تفسيره ٥٤٤/٢ وقد نقل الإمام الشوكاني في تفسيره ٦٢/٣ عن قتادة قوله " ما نعلم أن الله أرسل رسولا قط إلا من أهل القرى لأنهم كانوا أعلم واحلم من أهل العمود" وعزاه لابن جرير وابن أبي الحاتم وغيرهما فهذا نفي لإرسال الرسل من غير أهل القرى والمدن فليس في البادية رسول ولا يعلم لهذا مخالف بل إن هذا يتفق مع ظاهر قوله تعالى" وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى... الآية" فهذا حصر للنبوة في الرجال وما جاء في وصفهم انهم من أهل القرى وصف معتبر في خصوص النبوة في أهل المدن والله أعلم.

(٢) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي مؤرخ أديب لغوي توفي في حلب سنة ٦٢٦هـ أنظر الأعلام للزركلي ١٣١/٨.

(٣) معجم البلدان لياقوت الحموي ١٥٥/٤

(ثم افترق الأخوان. فانطلق عيسو إلى أراضيه في جبل سير أدوم، واتجه يعقوب إلى أرض كنعان، واشترى أرضاً عند شكيم نصب فيها خيمته، وأقام هناك مذبحاً. فالتزم يعقوب أن يرحل إلى الجنوب، وأتى إلى لوز في بيت إيل، فماتت دبورة ودفنت هناك. وهناك ظهر له الله ثانية كما ظهر له وهو في طريقة إلى فدان آرام مؤكداً له تغيير اسمه إلى إسرائيل، والعهد الذي أقامه مع إبراهيم، وعندما أتى إفراته "بيت لحم" وهو في طريقه إلى حبرون، ولد ابنه الثاني عشر والأخير بنيامين، وماتت زوجته راحيل، ثم ارتحل إلى حبرون وقابل أباه إسحاق، ومات إسحاق بعد ذلك التاريخ بنحو (٢٣) سنة ودفنه عيسو ويعقوب، وكان عمره (١٣٠) سنة عندما ذهب إلى مصر وعاش هناك (١٧) سنة، وقبل موته بارك أولاً أولاد يوسف ثم جميع أولاده، وكان عمره عند وفاته (١٤٧) سنة، وحنط أطباء مصر جثته، وجاء بها يوسف واخوته إلى حبرون في موكب عظيم، ودفنوها في مغارة مكيفيلة). [١]

ومن هنا يتضح لنا بأن نشأة يعقوب عليه السلام كانت بأرض فلسطين، و في بيت والده إسحاق عليه السلام في إحدى قرى الشام من أرض فلسطين، حتى حدث الخلاف بينه وبين أخيه، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٤-١٠٧٥

المبحث الثاني

سبب رحلته إلى العراق عند خاله لابان

لم يتحدث القرآن الكريم عن رحلة يعقوب عليه السلام إلى العراق ، وإنما ورد ذكر ذلك في العهد القديم – التوراة- حيث جاء:-

(وحدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له: يا بني، فقال له: هاأنذا، فقال إنني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتي، فالآن خذ عدتك جعبتك وقوسك وأخرج إلى البرية وتصيد لي صيداً واصنع لي أطعمة كما أحب وائتني بها لآكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت.

وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه، فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيداً ليأتي به، وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة: إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً: ائتني بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي، فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا أمرك به، اذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيدين من المعزى، فاصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب، فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لرفقة أمه: هوذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس، ربما يجسني أبي فأكون في عينيه كمتهاون، وأجلب على نفسي لعنة لا بركة. فقالت له أمه: لعنتك علي يا ابني، اسمع لقولي فقط واذهب خذ لي. فذهب وأخذ وأحضر لأمه فصنعت أمه أطعمة كما كان أبوه يحب، وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبستها يعقوب ابنها الأصغر، وألبست يديه وملاسة عنقه جلود جديي المعزى، وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها.

فدخل إلى أبيه وقال: يا أبي، فقال: هاأنذا، من أنت يا ابني؟ فقال يعقوب لأبيه: أنا عيسو بكرك، قد فعلت كما كلمتني، قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك. فقال إسحاق لابنه: ما هذا الذي أسرعت لتجد يا ابني. فقال: إن الرب إلهك قد يسر لي. فقال إسحاق

ليعقوب: تقدم لأجسك يا ابني. أأنت هو ابني عيسو أم لا؟ فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فجسه وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو، ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه فباركه، وقال: هل أنت هو ابني عيسو؟، فقال: أنا هو. فقال قدم لي لأكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي، فقدم له فأكل وأحضر له خمراً فشرب، فقال له إسحاق أبوه تقدم وقبلني يا ابني، فتقدم وقبله، فشم رائحة ثيابه وباركه، وقال أنظر رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب، فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض، وكثرة حنطة وخمر ليستعبد لك شعوب، وتسجد لك قبائل.، كن سيداً لأخوتك وليسجد لك بنو أمك، ليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين.

وحدث عندما فرغ إسحاق من بركة يعقوب، ويعقوب قد خرج من لدن إسحاق أبيه، أن عيسو أخاه أتى من صيده فصنع هو أيضاً أطعمة ودخل بها إلى أبيه وقال لأبيه: ليقم أبي ويأكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك، فقال له إسحاق أبوه: من أنت؟، فقال: أنا ابنك بكرك عيسو، فارتعد إسحاق ارتعادا عظيماً جداً وقال: فمن هو الذي اصطاد صيداً وأتى به إلي فأكلت من الأكل قبل أن تجيء وباركته، نعم ويكون مباركاً، فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة ومرة جداً وقال لأبيه: باركني أنا أيضاً يا أبي، فقال: قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك، فقال: إلا أن اسمه دعي يعقوب، فقد تعقبني الآن مرتين، أخذ بكوريتي وهوذا الآن قد أخذ بركتي، ثم قال: أما أبقيت لي بركة، فأجاب إسحاق وقال لعيسو: إني قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً، وعضدته بحنطة وخمر، فلماذا أصنع إليك يا ابني، فقال عيسو لأبيه: ألك بركة واحدة فقط يا أبي، باركني أنا أيضاً يا أبي. ورفع عيسو صوته وبكى، فأجاب إسحاق أبوه وقال: له هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك، وبلا ندى السماء من فوق، وبسيفك تعيش، ولأخيك تستعبد، ولكن يكون حينما تجمح أنك تكسر نيره عن عنقك.

فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة التي باركة بها أبوه. وقال عيسو في قلبه: قربت

أيام مناحة أبي. فأقتل يعقوب أخي، فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر. فأرسلت ودعت يعقوب ابنها الأصغر وقالت له: هوذا عيسو أخوك متسل من جهتك بأنه يقتلك، فالآن يا ابني اسمع لقولي وقم اهرب إلى آخي لابان إلى حاران[1] وأقم عنده أياما قليلة حتى يرتد غضب أخيك عنك، وينسى ما صنعت به، ثم أرسل فآخذك من هناك، لماذا أعدم اثنيكما في يوم واحد؟)[2].

وجاء في الإصحاح الثامن والعشرون ما نصه:-

(فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له: لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. قم اذهب إلى فدان آرام إلى بيت بتوئيل أبي أمك، وخذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمك، والله القدير يباركك ويجعلك مثمرا ويكثرك فتكون جمهورا من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك، لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم، فصرف إسحاق يعقوب، فذهب إلى فدان أرام[3] إلى لابان بن بتوئيل الآرامي أخي رفقة أم يعقوب وعيسو)[4]

ويستفاد من هذين النصين ان سبب رحلة يعقوب إلى خاله هو:-

١- الخوف والفرار من وجه أخيه عيسو.

٢- الرغبة في الزواج من بنات خاله.

---

(١) مدينة تقع بين نهري دجلة والفرات وتقع على مسافة ٢٨٠ ميلا شمال شرقي دمشق وهي اليوم قرية صغيرة تسمى حران أنظر معجم البلدان للياقوت الحموي ٢/١٣٠-١٣١

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٢٧: ١-٤٦

(٣) اسم سامي معناه سهل آرام ويقع بين نهري دجلة والفرات أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٤٢-٤٤.

(٤) العهد القديم سفر التكوين ٢٨: ١-٥

إن هذه الرحلة والعودة و ما فيها من أحداث لم تصلنا بطريق صحيح ثابت، إلا ما وجدناه في التوراة، أما علماء الإسلام فلم أجد أحداً منهم تكلم عنها سوى الشيخ ابن جرير الطبري في تاريخه، فيقول أن السبب هو لأجل الزواج من بنات خاله، حيث قال:-

(وقد قال بعض أهل التوراة أن رفقا زوجة إسحاق هي إبنة ناهر بن أزر عم إسحاق. وأنها ولدت له ابنيه عيساً ويعقوب في بطن واحد. وأن إسحاق أمر ابنه يعقوب ألا ينكح امرأة من الكنعانيين، وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر، وأن يعقوب لما أراد النكاح مضى إلى خاله لابان بن ناهر خاطباً...)[1]

ولكنه في موضع آخر بين أن السبب في رحلته هو الخوف من أخيه عيسو، فقال:-

(... فكان إسحاق فيما ذكر يختص العيص، وكانت رفقا أمهما تميل إلى يعقوب، فزعموا أن يعقوب ختل في قرباه بأمر أبيهما إسحاق بعد ما كبرت سن إسحاق وضعف بصره، فصار أكثر على إسحاق ليعقوب، وتوجهت البركة نحوه بدعاء أبيه إسحاق له، فغاظ ذلك العيص وتوعده بالقتل، فخرج يعقوب هارباً منه إلى خاله لابان ....)[2].

فابن جرير رحمه الله ذكر السببين جميعاً لرحلة يعقوب إلى أرض العراق، ولكننا نشير إلى ما في هذين النصين من تحريف على فرضية صحة أصل القصة، فإن ما في النصين من خرافات لا يمكن أن نسلم به، وفيهما فضائح وأكذوبات لا تليق بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام. فتقول الرواية أن نبي الله يعقوب قد خدع أباه وغشه وسرق بركة أخيه عيسو، فلا يعقل أن تكون هذه أخلاق الأنبياء المعصومين، ولا يعقل أن الله سبحانه وتعالى قد أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة. وفوق ذلك فان إسحاق عليه السلام عندما بارك يعقوب لما خدعه – كما يزعم من كتب هذه الأسطورة- إنما قصد بتلك البركة عيسو

(١) تاريخ الطبري ١/١٩٥

(٢) المصدر السابق ،وأنظر أيضاً معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/٢٩٦

ودعا له وليس ليعقوب، فأي منفعة للخديعة هاهنا لو كانوا يعقلون، وحاشا لأنبياء الله من مثل هذا الهذيان.

كما ان الرواية تنسب الكذب لنبي الله يعقوب بأنه قال لأبيه أنا ابنك البكر عيسو، وأنه قال له: صنعت جميع ما قلته لي، فاجلس وكل من صيدي. وهذا الكذب لا يصدر من عامة الناس مع آبائهم فكيف بنبي مع أبيه النبي، فالله المستعان على ما يصفون.

فالحادثة اذن قد تكون مختلقة من أولها إلى آخرها، وإن كان لم يثبت أمامنا شيء يصدقها أو ينفيها، إلا أنها بهذه الرواية السخيفة، لا يمكن أن نقبلها برمتها، وإن كنّا قد نقر أصل القصة في الجملة، ولكننا نشير إلى جانبين مهمين في هذه القصة هما:-

الاول:أن الفكرة التي تدور حولها القصة هى محاولة بيان نقاء الدم الإسرائيلي وتميزه على الآخرين وتفضيله على الناس جميعاً، وأن الشعوب كلها تخدم اليهود.

والثاني: وهو الرغبة في الزواج من بنات لابان. قد يكون ليس هذا هو الدافع الحقيقي للرحلة، وإنما قد يكون سبباً إلحاقياً، بعد بيان ضرورة رحلة يعقوب عن وجه أخيه عيسو، خوفاً من سطوته وغضبه حسب الرواية التوراتية.

فمما سبق نخلص إلى أن أسباب رحلة يعقوب عليه السلام حسب الرواية التوراتية، ترجع إلى أحد سببين:-

الأول:- البحث عن الزوجة المناسبة، وأن الزوجة هي من بنات خاله لابان.

الثاني: الفرار والهروب من وجه أخيه عيسو بسبب تلك الخديعة، والله أعلم.

وعلى ذلك فإننا إن أثبتنا القصة فلا مانع أن يكون السبب في الرحلة هو الزواج، مع ما في ذلك من تحفظ حول نقاء الدم الإسرائيلي. و أما السبب الثاني فإنني أستبعده، لما فيه من إثبات أصل قصة الخديعة المختلقة، والله أعلم.

المبحث الثالث: بناؤه بيت المقدس.

إن الخلاف حول بناء بيت المقدس خلاف قديم بين اهل العلم، ولذا وردت عدة أقوال فيمن قام ببناء بيت المقدس. فمنهم من يقول أن الذي بنى البيت الحرام والمسجد الأقصى هو الملائكة وبينهما أربعون عاماً، وذلك قبل خلق آدم عليه السلام. ومنهم من يقول ان الذي بنى البيت الحرام آدم عليه السلام، والذي بنى بيت المقدس هو أحد أبنائه. ومنهم من يقول ان الذي بنى البيت الحرام هو الخليل إبراهيم عليه السلام، ثم بعد أربعين عاماً أسس يعقوب عليه السلام بيت المقدس، وهذا هو أقرب الأقوال للصواب كما سنبينه في هذا المبحث. ويرى البعض منهم أن الذي بنى البيت الحرام هو إبراهيم عليه السلام، والذي بنى بيت المقدس هو سليمان بن داود عليهما السلام. وفيما يلي سأبين بعض ما ذكره أهل العلم والراجح في ذلك، ثم أذكر ما ورد في العهد القديم حول ذلك وعلاقة يعقوب عليه السلام به.

جاء في الصحيحين عن أبي ذر رضى الله عنه[1] قال:(سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع في الأرض، فقال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي، قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال أربعون عاماً)[2]

وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد به فقال: معلوم أن سليمان بن داود هو الذي بنى المسجد الأقصى، وبينه وبين إبراهيم أكثر من ألف عام، فقد روى النسائي بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبي ﷺ:(أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالاً ثلاثة: سأل الله عز وجل ملكاً لا

(١) ابو ذر الغفاري هو جندب بن جنادة بن سفيان من بني غفار من كنانة بن خزيمة من كبار الصحابة ومن اقدمهم اسلاما اشتهر بالزهد والورع عن الدنيا توفي بالربدة سنة ٣٢هـ انظر الاعلام للزركلي ١٤٠/٢

(٢)فتح الباري شرح صحيح البخاري، حديث رقم (٣٤٢٤) ج٦ ص٤٥٨ كتاب الأنبياء.

ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ألا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه، أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه، فأوتيه)[1]

والجواب على ذلك أن سليمان عليه السلام إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه، والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق عليه السلام، بعد بناء إبراهيم الكعبة بأربعين سنة، وهذا ما ذهب إليه ابن القيم،[2][3] ورجحه القرطبي والقاسمي في تفسيريهما.[4] وياقوت الحموي في معجمه.[5]

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله في تاريخه:

(فخرج يعقوب عليه السلام من عندهم من آخر ذلك اليوم، فأدركه المساء في موضع فنام فيه آخذاً حجراً فوضعه تحت رأسه، ونام فرأى في نومه ذلك معراجاً منصوباً من السماء إلى الأرض، وإذا الملائكة يصعدون فيه وينزلون والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول له: إني سأبارك عليك وأكثر ذريتك وأجعل لك هذه الأرض ولعقبك من بعدك. فلما هب من نومه فرح بما رأى، ونذر لله لئن رجع إلى أهله سالماً ليبنين في هذا الموضع معبداً لله عز وجل، وأن جميع ما يرزقه من شئ يكون لله عشره. ثم عمد إلى ذلك الحجر فجعل عليه دهناً يتعرفه به، وسمى ذلك الموضع بيت إيل، أي بيت الله،وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه يعقوب بعد ذلك....)[6].

---

(١) سنن النسائي ،ج٢،ص٤٣ كتاب المساجد، باب٦، فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٥٠/١

(٣) محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ابو عبد الله من كبار علماء الاسلام واحد كبار تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيمية ولد في دمشق سنة ٦٩١هـ وتوفي بها سنة ٧٥١هـ انظر الاعلام للزركلي ٥٦/٦ .

(٤) أنظر محاسن التأويل للقاسمي ١٥١/٢ وانظر الجامع لاحكام القران

(٥) معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٩٥/٤-٢٩٦

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ١٨٢/١-١٨٤.

ثم قال:(ثم مر على أورشليم [1] قرية شخيم، فنزل قبل القرية واشترى مزرعة شخيم بن حمور بمائة نعجة، فضرب هنالك فسطاطه و ابتني مذبحاً فسماه إيل إلـه إسـرائيل، وأمـر الله ببنائـه ليستعلن له فيه، وهو بيت المقدس اليوم الذي جدده بعد ذلك سليمان بن داود عليهما السلام، وهـو مكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها قبل ذلك، كما ذكرنا أولاً...)[2]

فهؤلاء العلماء يعتبر رأيهم في هذه المسالة متقارباً. وقد خالف في ذلك صاحب تفسـير المنـار الشيخ رشيد رضا[3] عند تفسيره قولـه تعـالى:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [4] فرأى أن المسجد الأقصى بني بعد البيت الحرام بعدة قرون، وان الذي بناه سليمان عليه السلام، ثم نقل كلام شيخه الأستاذ محمد عبده[5]في شرح حديث أبي ذر رضـي الله عنه في بناء المسجدين والذي رواه الشيخان، غير أن الحديث جاء بلفظ الوضع لا بلفظ البناء، فقد سئل رسول الله ﷺ عن أول بيت وضع للناس.وذهب بعض المفسرين إلـى أن الأوليـة زمانيـة بالنسبة إلى وضع البيوت مطلقاً، فقالوا: إن الملائكة بنته قبل خلق آدم، وأن بيت المقدس بني بعده بأربعين عاماً، ويرى الشيخ رشيد رضا أن الأوليـة المذكورة هي أولية الزمان، وهـذا يسـتلزم الأولية في الشرف. [6]

---

(١) المقصود بها القدس المحتلة،وقد كانت العاصمة السياسية لفلسطين في زمن طويل، ونعني كلمة أورشـليم، أي أرض السلام ، أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٩-١٣٥.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٨٢/١-١٨٤

(٣) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني البغدادي الحسيني احد رجال الاصلاح في العـهد الحديث ولد سنة ١٢٨٢هـ ثم تنقل بين المدن حتى استقر في مصر وتوفي بها سنة ١٣٥هـ انظـر الاعـلام للزركلي ١٢٦/٦.

(٤) سورة آل عمران

(٥) هو الشيخ محمد عبده حسن خير الله، مفتي الديار المصرية درس في الأزهر،توفي سـنة ١٣٢٣هـ فـي القاهرة،أنظر الأعلام للزركلي.

(٦) انظر تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ٦/٤-٧

ولعل الأقرب للصواب في هذه الأقوال، أن الذي بنى البيت الحرام هو إبراهيم عليه السلام، وأن الذي أسس بيت المقدس هو يعقوب عليه السلام، وأما سليمان فقد جدد بناءه بعد ذلك بقرون. ونحن نجد في التوراة ما يوافق هذا القول، حيث جاء في العهد القديم:

(فخرج يعقوب من بئر سبع[1] وذهب نحو حاران وصادف مكاناً وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت. وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه، فاضطجع في ذلك المكان ورأى حلماً، وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهوذا الرب واقف عليها، فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق، الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً. ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض، وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به.

فاستيقظ يعقوب من نومه وقال: حقاً أن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم، وخاف وقال: ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء. وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت أيل. ولكن اسم المدينة أولاً كان لوز).[2]

و جاء فيه أيضاً:-

(ثم قال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك، واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك، فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم، ولنقم ونصعد إلى بيت أيل فاصنع هناك مذبحاً

(١) منطقة معروفة في وسط البادية الفلسطينية غالباً ما يذكرها الجغرافيون العرب تحت اسم مدينة سبع أنظر قاموس الكتاب المقدس ١٥٠-١٥١.

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٢٨: ١٠-١٩

لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي، وكان معي في الطريق الذي ذهب فيه. فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم، فطمرها يعقوب تحت البطمة التي عند شكيم.

ثم رحلوا. وكان خوف الله على المدن التي حولهم، فلم يسعوا وراء بني يعقوب، فأتى يعقوب إلى لوز التي في أرض كنعان وهي بيت أيل، هو وجميع القوم الذين معه وبنى هناك مذبحاً ودعا المكان أيل بيت أيل، لأنه هناك ظهر له الله حين هرب من وجه أخيه. وماتت دبورة مرضعة رفقة ودفنت تحت بيت أيل تحت البلوطة، فدعا اسمها آلون باكوت.

وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان آرام وباركه، وقال له: الله اسماك يعقوب، لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل يكون اسمك إسرائيل. فدعا اسمه إسرائيل. وقال له الله: أنا الله القدير، أثمر وأكثر أمة وجماعة أمم تكون منك، وملوك سيخرجون من صلبك، والأرض التي أعطيت إبراهيم وإسحاق لك أعطيها ولنسلك من بعدك، أعطي الأرض. ثم صعد الله عنه في المكان الذي فيه تكلم معه، فنصب يعقوب عموداً في المكان الذي فيه تكلم معه عموداً من حجر وسكب عليه سكيباً وصب عليه زيتاً، ودعا يعقوب اسم المكان الذي فيه تكلم الله معه بيت إيل)[1] [2]

ومن هذه النصوص التي نقلناها من العهد القديم، نرى بأنها توافق ما ذهب إليه العلماء من أن يعقوب عليه السلام هو الذي قام ببناء بيت المقدس، وأما سليمان عليه السلام فقد قام بتجديده بعد ذلك، والله أعلم.

---

(١) المقصود بها القدس المحتلة وقد كانت العاصمة السياسية لفلسطين في زمن طويل وتعني كلمة أورشليم أي أرض السلام أنظر قاموس الكتاب المقدس.

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٣٥: ١-١٥ .

المبحث الرابع

في زواجه بـ ليئة و راحيل وجاريتيهما وذكر أبنائه منهن

لم يرد في القرآن ما يشير إلى زوجات يعقوب عليه الصلاة والسلام صراحة، اللهم إلا ما ذكره الله عز وجل على لسان يوسف عليه السلام بقوله: ﴿ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ [1] مما يعني بأن يعقوب عليه السلام له أكثر من زوجة، وأن الأبناء من هؤلاء النسوة جميعاً.

وأما بالنسبة للأبناء فقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم عند قوله تعالى حكاية عن يوسف : ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا .....الآية﴾ [2] أي عدد أبناء يعقوب عليه السلام من الذكور، وأما قصة زواجه وما حصل مع كل زوجة في رزق الله لها بالأبناء فإنه لم يرد له ذكر في القرآن، وإنما ورد ذلك في التوراة، فقد جاء في سفر التكوين:

(ثم رفع يعقوب رجليه وذهب إلى أرض بني المشرق، ونظر وإذا في الحقل بئر وهناك ثلاثة قطعان غنم رابضة عندها، لأنهم كانوا من تلك البئر يسقون القطعان، والحجر على فم البئر كان كبيراً، فكان يجتمع إلى هناك جميع القطعان فيدحرجون الحجر عن فم البئر ويسقون الغنم، ثم يردون الحجر على فم البئر إلى مكانه، فقال لهم يعقوب: اخوتي من أين انتم؟ فقالوا: نحن من حاران. فقال لهم: هل تعرفون لابان ابن ناحور؟ فقالوا: نعرفه. فقال لهم: هل له سلامة؟ فقالوا: سلامة وهو ذا راحيل ابنته مع الغنم. فقال: هوذا النهار بعد طويل ليس وقت اجتماع المواشي، اسقوا الغنم واذهبوا ارعوا، فقالوا: نقدر حتى تجتمع جميع القطعان ويدحرجوا الحجر عن فم البئر، ثم نسقي الغنم.

وإذ هو بعد يتكلم معهم أتت راحيل مع غنم أبيها، لأنها كانت ترعى. فكان لما

---

(١) سورة يوسف،آية رقم ٥٩

(٢) سورة يوسف ،أية رقم ٤

أبصر يعقوب راحيل بنت لابان خاله وغنم لابان خاله، أن يعقوب تقدم ودحرج الحجر عن فم البئر وسقى غنم لابان خاله، وقبل يعقوب راحيل ورفع صوته وبكى وأخبر يعقوب راحيل أنه أخو أبيها، وأنه ابن رفقة. فركضت وأخبرت أباها، فكان حين سمع لابان خبر يعقوب ابن أخته ركض للقائه وعانقه وأتى به إلى بيته. فحدث لابان بجميع هذه الأمور فقال له لابان: إنما أنت عظمي ولحمي، فأقام عنده شهراً من الزمان.

ثم قال لابان ليعقوب لأنك أخي تخدمني مجاناً، أخبرني ما أجرتك. وكان للابان ابنتان اسم الكبرى ليئة واسم الصغرى راحيل، وكانت عينا ليئة ضعيفتين، وأما راحيل فكانت حسنة الصورة وحسنة المنظر، وأحب يعقوب راحيل فقال: أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى، فقال لابان: أن أعطيك إياها أحسن من أن أعطيها لرجل آخر، أقم عندي. فخدم يعقوب براحيل سبع سنين، وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب مجيئه لها.

ثم قال يعقوب للابان أعطني امرأتي لأن أيامي قد كملت، فأدخل عليها. فجمع لابان جميع أهل المكان وصنع وليمة وكان في المساء أنه أخذ ليئة ابنته تني بها إليه، فدخل عليها وأعطى لابان زلفة جاريته لليئة ابنته جارية، وفي الصباح إذا هي ليئة، فقال للابان: ما هذا الذي صنعت بي، أليس براحيل خدمت عندك فلماذا خدعتني؟ فقال لابان: لا يفعل هكذا في مكاننا أن تعطي الصغيرة قبل البكر، أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة التي تخدمني أيضاً سبع سنين أخر، ففعل يعقوب هكذا، فأكمل أسبوع هذه، فأعطاه راحيل ابنته زوجة له وأعطى لابان راحيل ابنته بلهة جاريته جارية لها، فدخل على راحيل أيضاً وأحب أيضاً راحيل أكثر من ليئة، وعاد فخدم عنده سبع سنين أخر.

ورأى الرب أن ليئة مكروهة ففتح رحمها، وأما راحيل فكانت عاقراً فحبلت ليئة وولدت ابناً ودعت اسمه راوبين، لأنها قالت أن الرب قد نظر إلى مذلتي، إنه الآن يحبني رجلي. وحبلت أيضاً وولدت ابناً وقالت أن الرب قد سمع أني مكروهة فأعطاني هذا أيضاً فدعت اسمه شمعون. وحبلت أيضاً وولدت ابناً وقالت: الآن هذه المرة يقترن بي رجلي

لأني ولدت ثلاثة بنين لذلك دعي اسمه لاوي. وحبلت أيضاً وولدت ابناً وقالت: هذه المرة أحمد الرب. لذلك دعت اسمه يهوذا. ثم توقفت عن الولادة.

فلما رأت راحيل إنها لن تلد ليعقوب، غارت راحيل من أختها وقالت ليعقوب: هب لي بنين. وإلا فأنا أموت. فحمي غضب يعقوب على راحيل وقال: ألعلي مكان الله الذي منع عنك ثمرة البطن، فقالت هو ذا جاريتي بلهة أدخل عليها فتلد على ركبتي وأرزق أنا أيضاً منها بنين، فأعطته بلهة جاريتها زوجة، فدخل عليها يعقوب. فحبلت بلهة وولدت ليعقوب ابناً، فقالت: راحيل قد قضى لي الله وسمع أيضاً لصوتي وأعطاني ابناً لذلك دعت اسمه دانا. وحبلت أيضاً بلهة جارية راحيل وولدت ابناً ثانيا ليعقوب، فقالت راحيل: مصارعات الله قد صارعت أختي وغلبت فدعت اسمه نفتالي.

ولما رأت ليئة أنها توقفت عن الولادة، أخذت زلفة جاريتها وأعطتها ليعقوب زوجة، فولدت زلفة جارية ليئة ليعقوب ابناً فقالت ليئة: يسعد، فدعت اسمه جادا. وولدت زلفة جارية ليئة ابناً ثانياً ليعقوب فقالت ليئة: بغبطتي لأنه تغبطني بنات فدعت اسمه أشير.

ومضى راوبين في أيام حصاد الحنطة فوجد لفاحاً في الحقل وجاء به إلى ليئة أمه، فقالت راحيل لليئة أعطيني من لفاح ابنك، فقالت لها: قليل أنك أخذت رجلي فتأخذين لفاح ابني أيضاً، فقالت راحيل: إذا يضطجع معك الليلة عوضاً عن لفاح ابنك. فلما أتى يعقوب من الحقل في المساء خرجت ليئة لملاقاته وقالت: إلي تجيء لأني قد استأجرتك بلفاح ابني، فاضطجع معها تلك الليلة. وسمع الله لليئة فحبلت وولدت ليعقوب ابنا خامسا فقالت ليئة: قد أعطاني الله أجرتي لأني أعطيت جاريتي لرجلي، فدعت اسمه يساكر. وحبلت أيضا ليئة وولدت ابنا سادسا ليعقوب، فقالت ليئة: قد وهبني الله هبة حسنة، الآن يساكنني رجلي لأني ولدت له ستة بنين فدعت اسمه زبولون، ثم ولدت ابنة ودعت اسمها دينة.

وذكر الله راحيل وسمع لها الله وفتح رحمها، فحبلت وولدت ابنا فقالت: قد نـــزع الله عاري ودعت اسمه يوسف قائلة: يزيدني الرب ابنا آخر.

وحدث لما ولدت راحيل يوسف أن يعقوب قال للابان اصرفني لأذهب إلى مكـــاني والى أرضي، أعطني نسائي وأولادي الذين خدمتك بهم فاذهب، لأنك أنت تعلم خدمتي التي خدمتك. فقال له لابان ليتني أجد نعمة في عينيك، قد تفاءلت فباركني الرب بسببك، وقـــال: عين لي أجرتك فأعطيك؟ فقال له: أنت تعلم ماذا خدمتك وماذا صارت مواشيك معي لأن ما كان لك قبلي قليل فقد اتسع إلى كثير، وباركك الرب في اثري، والآن متى أعمل أنـــا أيضا لبيتي)[1]

فهذه القصة المذكورة في العهد القديم قد أقرها إجمالا عدد من العلماء، منهم الإمـــام ابـــن جرير رحمه الله،[2] والدكتور محمد علي البار من المعاصرين[3].وإن كان بعض العلماء قـــد انتقد ما في هذه الرواية من مغالطات وتحريفات، منهم ابن حزم الظاهري[4] حيـــث قـــال رحمه الله (في هذا الفصل آبدة الدهر، وهي إقرارهم أن يعقوب عليه السلام تزوج راحيـــل فأدخلت عليه غيرها فحصلت ليئة إلى جنبه بلا نكاح، وولد لها منه ستة ذكور وابنة، وهـــذا هو الزنى بعينه، أخذ امرأة لم يتزوجها بخديعة. وقد أعاذ الله نبيه من هذه السوأة، وأعـــاذ أنبياءه عليهم السلام موسى وهارون وداود وسليمان من أن يكونوا من مثل هـــذه الـــولادة. وهذا يشهد ضرورة أنها من توليد زنديق متلاعب بالديانات.

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٢٩: ١-٣٥ ٣٠: ١-٣١

(٢) أنظر تاريخ الطبري ١٩٤/١

(٣) انظر الله جل جلاله والانبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم للبار ص ١٤١-١٤٢

(٤) علي بن احمد بن سعيد بن حزم الظاهري ابو محمد عالم الاندلس ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ ولي رئاسة الوزراء ثم انصرف الى العلم والتاليف توفي سنة ليلة من بلاد الاندلس سنة ٤٥٦هـ انظر الاعلام للزركلي ٢٥٤/٤

فإن قالوا: لا بد من أنه قد تزوجها أن يعلم أنها ليست التي تزوج، قلنا: فعلى أن يسمح لكم بهذا فقد دخل بها بغير نكاح، لأنه ذكر أنه لم يدر أنها ليئة إلا بالغداة، وقد صرح بالدخول بها،إلا أن يقولوا لم يدخل بها بل علم أنها ليست راحيل. فإن قلتم هذا كذبتم النص في قوله دخل بها فلما كان بالغداة. فليس لكم من الفضيحة يد وإن سكتم عن هذا فالنسخ ثابت ولا بد، لأن نكاح أختين معا حرام في توراتكم. وقد قال لي بعضهم في هذا: لم تكن الشرائع نازلة من الله تعالى قبل موسى، فقلت هذا كذب، أليس في نص توراتكم أن الله تعالى قال لنوح عليه السلام كل دبيب حتى يكون لكم أكله كخضراء العشب، أعطيتكم لكن اللحم بدمه لا تأكلوه، وأما دماؤكم في أنفسكم فسأطلبها.فهذه شريعة إباحة وتحريم قبل موسى عليه السلام)[1]

والحقيقة أن هذه الرواية كما وردت في العهد القديم تبدو مليئة بالأخطاء والتلفيقات التي لا يمكن إقرارها لما فيها من قدح وانتقاص لأنبياء الله وغض من منصب النبوة والعصمة، وحاشا لأنبياء الله من مثل هذه الافتراءات.

ونحن إن كنا لا نستطيع أن ننكر أصل قصة زواج ورحلة يعقوب عليه السلام وما فيها من أحداث، إلا أننا لا يمكن أن نقر ما في الرواية من أخطاء وتحريفات، لا تليق بالعقلاء من الناس فكيف بالأنبياء عليهم السلام؟ وفيما ذكرنا من نقد العلماء لها كفاية وغاية.

كما أنني أشير إلى ما ذكره الإمام الطبري[2] عن محمد بن إسحاق في زواج يعقوب عليه السلام بـ ليئا ثم إنجابها منه عددا من الأبناء وبعد ذلك توفيت فخلف عليها بأختها راحيل والله اعلم بأي الروايات هي الصواب إلا أن الرواية الأولى هي المتوافقة مع ما بأيدينا من التوراة الآن.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٢٣١/١

(٢) انظر جامع البيان في تاويل أي القران للطبري ٥٦٨/١

المبحث الخامس

قصة رجوعه إلى أرض الكنعانيين وما فيها من أحداث

لم يشر القرآن الكريم ولا السنة النبوية إلى شئ من هذه الأحداث التي صاحبت يعقوب عليه السلام في رحلته الى ارض الكنعانيين أو رجوعه منها، وليس عندنا إلا ما هو مذكور في التوراة أو ما نقل منها. وهذه القصة تشتمل على ثلاثة أحداث كل منها يحتاج إلى مزيد من التحقيق الذي يبين فيه الحق من الباطل في هذه الرواية، وهي:-

أولا: بداية رجوعه وما حصل فيها من خلاف بينه وبين خاله.

ثانيا: خوفه من أخيه عيسو، وما حصل من تقسيم المال وغيره.

ثالثا:قصة مصارعة يعقوب للرجل أو لملاك الرب، وما وجه من كان يعتقد أن المصارع هو الله حسب الرواية التوراتية نعوذ بالله من الضلال. فنبدأ بذكر القصة كما جاءت في التوراة، فجاء في سفر التكوين ما نصه:

(فسمع كلام بني لابان قائلين: أخذ يعقوب كل ما كان لأبينا ومما لا يناضع كل من المجد. ونظر يعقوب وجه لابان وإذا هو ليس معه كأمس وأول من أمس، وقال الرب ليعقوب: ارجع إلى أرض آبائك وإلى عشيرتك فأكون معك، فأرسل يعقوب ودعا راحيل وليئة إلى الحقل إلى غنمه وقال لهما: أنا أرى وجه أبيكما أنه ليس نحوي كأمس وأول من أمس، ولكن الله أبي كان معي، وأنتما تعلمان إني بكل قوتي خدمت أباكما، وأما أبوكما فغدر بي وغير أجرتي عشر مرات، لكن الله لم يسمح له أن يصنع بي شرا، أن قال هكذا الرقط تكون أجرتك، ولدت كل الغنم رقطا وإن قال هكذا المخططة تكون أجرتك ولدت كل الغنم مخططة، فقد سلب الله مواشي أبيكما وأعطاني. وحدث في وقت توحم الغنم أني رفعت عيني ونظرت في حلم وإذا الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطا ومنمرة، وقال لي ملاك الله في الحلم: يا يعقوب. فقلت: هاأنذا. فقال: إرفع عينيك وانظر جميع الفحول الصاعدة على الغنم مخططة ورقطاء ومنمرة، لأني قد رأيت كل ما يصنع بك

لابان، أنا إله بيت إيل، حيث مسحت عمودا حيث نذرت لي نذرا، الآن قم أخرج من هـــذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك.

فأجابت راحيل وليئة وقالتا له: ألنا أيضا نصيب وميراث في بيت أبينا؟ ألم نحســب منه أجنبيتين لأنه باعنا، وقد أكل أيضا ثمننا؟ إن كل الغنى الذي سلبه الله من أبينا هو لنـــا ولأولادنا، فالآن كل ما قال لك الله افعل.

فقام يعقوب ورحل أولاده ونساءه على الجمال، وساق كل مواشيه وجميـــع مقتنـــاه الذي كان قد اقتنى في فدان آرام ليجيء إلى إسحاق أبيه إلى أرض كنعان، وأما لابان فكان قد مضى ليجز غنمه فسرقت راحيل أصنام أبيها، وخدع يعقوب قلب لابان الآرامي إذ لـــم يخبره بأنه هارب، فهرب هو وكل ما كان له، وقام وعبر النهر وجعل وجهه نحـــو جبـــل جلعاد[1].

فأخبر لابان في اليوم الثالث بأن يعقوب قد هرب فأخذ اخوته معه وســـعى وراءه مســـيرة سبعة أيام فأدركه في جبل جلعاد، وأتى الله إلى لابان الآرامي في حلم الليل وقال له احـــذر من أن تكلم يعقوب بخير أو شر، فلحق لابان يعقوب، ويعقوب قد ضرب خيمته في الجبـــل فضرب لابان مع اخوته في جبل جلعاد.

وقال لابان ليعقوب ماذا فعلت وقد خدعت قلبي وسقت بناتي كسبايا السيف؟ لمـــاذا هربت خفية وخدعتني ولم تخبرني حتى أشيعك بالفرح والأغاني بالدف والعود، ولم تدعني أقبل بني وبناتي؟ الآن بغباوة فعلت، في قدرة يدي أن أصنع بكم شرا ولكن إله أبيكم كلمني البارحة قائلا: إحذر من أن تكلم يعقوب بخير أو شر. والآن أنت ذهبت لأنك قد اشتقت إلى بيت أبيك ولكن لماذا سرقت آلهتي؟ فأجاب يعقوب وقال للابان: إني خفت لأني قلت لعلـــك

(١) جبل غرب الأردن يشرف على وادي يزرعيل بالقرب من الجبل تقع عين صرود المسمى اليوم عين جلعـود، أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٦٤.

تغتصب ابنتيك مني الذي تجد آلهتك معه، لا يعيش قدام اخوتنا، أنظر ماذا معي وخذه لنفسك، ولم يكن يعقوب يعلم أن راحيل سرقتها.

فدخل لابان خباء يعقوب وخباء ليئة وخباء الجاريتين ولم يجد، وخرج من خباء ليئة ودخل خباء راحيل، وكانت راحيل قد أخذت الأصنام ووضعتها في حداجة الجمل، وجلست عليها فجس لابان كل الخباء ولم يجد وقالت لأبيها: لا يغتظ سيدي إني لا أستطيع أن أقوم أمامك لأن علي عادة النساء. ففتش ولم يجد الأصنام.

فاغتاظ يعقوب وخاصم لابان وأجاب يعقوب وقال للابان: ما جرمي، ماخطيئتي حتى حميت ورائي أنك جسست جميع أثاثي؟ ماذا وجدت من جميع أثاث بيتك ضعه ههنا قدام اخوتي واخوتك فلينصفوا بيننا الاثنين الآن، عشرين سنة أنا معك نعاجك وعنازك لم تسقط وكباش غنمك لم آكل فريسة، لم أحضر إليك، أنا كنت أخسرها من يدي، كنت تطلبها مسروقة النهار أو مسروقة الليل، كنت في النهار يأكلني الحر وفي الليل الجليد وطار نومي من عيني الآن، لي عشرون سنة في بيتك خدمتك أربع عشرة سنة بابنتيك، وست سنين بغنمك، وقد غيرت أجرتي عشر مرات، لولا أن اله أبي إله إبراهيم وهيبة إسحاق كان معي، لكنت الآن قد صرفتني فارغا مشقتي وتعب يدي، قد نظر الله فوبخك البارحة.

فأجاب لابان وقال ليعقوب: البنات بناتي والبنون بني والغنم غنمي، وكل ما أنت ترى فهو لي، فبناتي ماذا أصنع بهن اليوم أو بأولادهن الذين ولدن، لكن الآن هلم نقطع عهدا أنا وأنت فيكون شاهدا بيني وبينك.

فأخذ يعقوب حجرا وأوقفه عمودا وقال يعقوب لاخوته، التقطوا حجارة فأخذوا حجارة وعملوا رجمة وأكلوا هناك الرجمة، ودعاها لابان يجر سهدوثا، وأما يعقوب فدعاها

جلعيد[1] وقال لابان: هذه الرجمة هي شاهدة بيني وبينك اليوم، لذلك دعي اسمها جلعيد والمصفاة، لأنه قال: ليراقب الرب بيني وبينك حينما نتوارى بعضنا عن بعض. إنك لا يذل بناتي ولا تأخذ نساء علي بناتي ليس إنسان معنا، انظر الله شاهد بيني وبينك. وقال لابان ليعقوب هوذا هذه الرجم، وهوذا العمود الذي وضعت بيني وبينك شاهدة هذه الرجمة، وشاهد العمود إني لا أتجاوز هذه الرجمة إليك وأنك لا تتجاوز هذه الرجمة، وهذا العمود إلى للشر إله إبراهيم وإله ناحور إله أبيهما يقضون بيننا. وحلف يعقوب بهيبة أبيه إسحاق. وذبح يعقوب ذبيحة في الجبل ودعا اخوته ليأكلوا طعاما فأكلوا طعاما وباتوا في الجبل.

ثم بكر لابان صباحا وقبل بنية وبناته وباركهم ومضى، ورجع لابان إلى مكانه، وأما يعقوب فمضى في طريقه ولاقاه ملائكة الله، وقال يعقوب إذ رآهم: هذه جيض الله، فدعا اسم ذلك المكان.

وأرسل يعقوب رسلا قدامه إلى عيسو أخيه إلى أرض سعير بلاد أدوم[2]، وأمرهم قائلا: هكذا تقولون لسيدي عيسو، هكذا قال عبدك يعقوب، تغربت عن لابان ولبثت إلى الآن وقد صار لي بقرة وحمير وغنم وعبيد وإماء، وأرسلت لأخبر سيدي لكي أجد نعمة في عينيك.

فرجع الرسل إلى يعقوب قائلين أتينا إلى أخيك إلى عيسو، وهو أيضا قادم للقائك وأربع مئة رجل معه. فخاف يعقوب جدا وضاق به الأمر فقسم القوم الذين معه والغنم والبقر والجمال إلى جيشين وقال: إن جاء عيسو إلى الجيش الواحد وضربه يكون الجيش الباقي ناجيا.

وقال يعقوب: يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحاق، الرب الذي قال لي إرجع إلى أرضك

---

(١)كلمة عبرية معناها "رجمة الشهادة" اقيمت كنصب تذكاري بواسطة يعقوب في جبال جلعاد شمال نهر يبون مكانها اليوم غير معروف- انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٦٥-

(٢)اسم الارض التي كان يسكنها الحوريون ثم استولى عليها عيسو ونسله وكانت تسمى جبل سعير لانها ارض جبلية على الجانب الشرقي من البرية العربة انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦٦

وإلى عشيرتك فأحسن إليك، صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك، فإني بعصاي عبرت هذا الأردن، والآن قد صرت جيشين، نجني من يد آخي من يد عيسو، لأني خائف منه أن يأتي ويضر بني الأم مع البنين، وأنت قد قلت أنا أحسن إليك واجعل نسلك كرمل البر الذي لا يعد للكثرة.

وبات هناك تلك الليلة، وأخذ مما أتى بيده هدية لعيسو أخيه مئتي عنز وعشرين تيسا و مئتي نعجة وعشرين كبشا و ثلاثين ناقة مرضعة وأولادها و أربعين بقرة وعشرة ثيران و عشرين أتانا وعشرة حمير، ودفعها إلى يد عبيده قطيعا قطيعا على حدة، وقال لعبيده: اجتازوا قدامي واجعلوا فسحة بين قطيع وقطيع وأمر الأول قائلا: إذا صادفك عيسو أخي وسألك قائلا لمن أنت والى أين تذهب ولمن هذا الذي قدامك؟ تقول لعبدك يعقوب هو هدية مرسلة لسيدي عيسو، وها هو أيضا ورائنا وأمر أيضا الثاني والثالث وجميع السائرين وراء القطعان، قائلا: بمثل هذا الكلام تكلمون عيسو حينما تجدونه، وتقولون هوذا عبدك يعقوب أيضا وراءنا، لأنه قال استعطف وجه بالهدية السائرة أمامي، وبعد ذلك انظر وجهه عسى أن يرفع وجهي، فاجتازت الهدية قدامه، وأما هو فبات تلك الليلة في المحلة.

ثم قام في تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجارتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق[1]، أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له. فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له ما اسمك؟ فقال يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب، بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت، وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك؟ فقال: لما تسأل عن اسمي

(١) متدفق نهر معروف الان بنهر الزرقاء ينبع بالقرب من عمان تقوم على احد روافده مدينة جرش الشهيرة انظر قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٥١

وباركه هناك.

فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي وأشرقت له الشمس، إذ عبر فنوئيل وهو يخمع علت فخذه. لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم، لأن ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا. ليئة وعلى راحيل على الجاريتين ووضع الجاريتين وأولادهما أولاً، وليئة وأولادهما وراءهم، وراحيل ويوسف أخيراً، وأما هو فاجتاز قدامهم، وسجد إلى الأرض سبع مرات حتى اقترب إلى أخيه، فركض عيسو للقائه وعانقه ووقع على عنقه وقبله وبكيا.

ثم رفع عينيه وأبصر النساء والأولاد وقال: ما هؤلاء منك. فقال: الأولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك، فاقتربت الجاريتان هما وأولادهما وسجدتا، ثم اقتربت ليئة أيضاً وأولادها وسجدوا، وبعد ذلك اقترب يوسف وراحيل وسجدا، فقال ما ذا منك كل هذا الجيش الذي صادفته؟ فقال لأجد نعمة في عيني سيدي، فقال عيسو: لي كثيرة يا أخي، ليكن لك الذي لك، فقال يعقوب: لا إن وجدت نعمة في عينيك تأخذ هديتي من يدي، لأني رأيت وجهك كما رأيت وجه الله فرضيت على أخذ بركتي التي أتى بها إليك، لأن الله قد أنعم علي ولي كل شيء وألح عليه فأخذ.

ثم قال لنرحل ونذهب أنا قدامك، فقال له سيدي عالم أنا والأولاد رخصة والغنم والبقر التي عندي مرضعة، فان استكدوها يوماً واحداً ماتت كل الغنم، ليجتز سيدي قدام عبده وأنا أستاق على مهلي، فيأثر الأملاك التي قدامي، ويأثر الأولاد حتى أجيء إلى سيدي إلى سعير. فقال عيسو: أترك عندك من القوم الذين معي، فقال: لماذا، دعني أجد نعمة في عيني سيدي. فرجع عيسو ذلك اليوم في طريقه إلى سعير، وأما يعقوب فارتحل إلى سكوت[1] وبنى لنفسه بيتاً وصنع لمواشيه مظلات لذلك دعا اسم المكان سكوت. ثم أتى

(١) سياتي التعريف بها في ص ٧١

يعقوب سالماً إلى مدينة شكيم[1]التي في أرض كنعان[2]حين جاء من فدان آرام، ونزل أمام المدينة وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمة من يد بني حمور أبي شكيم بمئة قسيطة، وأقام هناك مذبحاً ودعاه إيل إله إسرائيل...)[3]

إن هذا النص العجيب يحكي رواية رجوع يعقوب إلى أرض كنعان وما فيه من أحداث غريبة، وكما ذكرنا فإن كل من أحوالها الثلاثة تحتاج إلى مزيد من التحقيق والنقد، ولذا فقد انتقدها كثير من العلماء قدامى ومحدثين وبينوا ما فيها من كذب وانحراف وضلال.

والحقيقة أن التوراة ومفسروها لا تستقر على رأي واحد بشان الدوافع التي دعت يعقوب إلى العودة إلى كنعان. فتارة نرى أن يعقوب بعد أن خدم خاله أربعة عشر عاماً مهراً لزوجتيه ينتهز فرصة ولادة راحيل لولدها يوسف وقدرتها على السفر من حاران إلى كنعان، فينوي العودة إلى أرض آباءه، وتارة أخرى نرى أن السبب رسالة من رفقة لولدها يعقوب تخبره فيها أنه لم يعد هناك ما يدعو إلى تغيبه، وتارة ثالثة نرى أن ذلك إنما تم بوحي من رب إسرائيل إلى يعقوب عليه السلام.، وهذا الرأي أقربها للصواب إذا ما سلمنا بصحة هذه الرحلة أيضاً لان الانبياء في تنقلاتهم تكون بوحي من الله واذن منه سبحانه. ومهما كان دافع عودة يعقوب إلى كنعان فإن الرواية تقول أن يعقوب خرج بزوجاته وبنيه من فدان أترام مغاضباً لخاله، وأن رب إسرائيل قد ساعد يعقوب على نمو أغنامه وتكاثرها، ورضي عما استخدمه من حيل وخداع في الانتقال من لابان، هذا فضلاً عما فعلته زوجته راحيل حينما سرقت أصنام أبيها وأخذتها معها!؟

ثم تتابع الأسطورة في التوراة المحرفة فتقول: إن يعقوب بينما كان عائداً من فدان آرام إلى كنعان عند مخاضة يبوق ، يبرز له رجل فيصارعه حتى مطلع الفجر صراعاً رهيباً يكاد فيه

---

(١) هي مدينة نابلس حاليا تقع شمالي القدس وهو اسم عبري معناه كتف أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٥١٤.

(٢) هي الأرض التي سكنها ذرية كنعان وهو حفيد نوح عليه السلام، وكانت تمتد من حماة شمالا إلى بادية سوريا جنوباً وساحل البحر المتوسط الشرق والمقصود بأرض كنعان اليوم هي فلسطين، أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٩

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٣١: ١-٥٥ و ٣٢: ١-٣٢ و ٣٣: ١- ٢٠

يعقوب ينقلب على خصمه، ويصاب يعقوب بضربة ينخلع لها حق الورك، ثم يطلق عليه غريمه اسم إسرائيل. فيفرح يعقوب ويسمي المكان (فنوئيل) أي وجه الله قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه.

وقد رد الإمام ابن حزم هذه الرواية التوراتية، وبين ما فيها من كفر وضلال فقال رحمه الله:

(في هذا الفصل شنعة عفت على كل ما سلف، يقشعر منها جلود أهل العقول، وبالله العظيم لولا أن الله عز وجل قص علينا كفرهم بقولهم:"يد الله مغلولة" وبقولهم:"إن الله فقير ونحن أغنياء" لما نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم، لكنا نحكيه منكرين له كما نتلوه فيما نصه عز وجل تحذيراً من إفكهم.

ذكر في هذا المكان أن يعقوب صارع الله عز وجل، تعالى الله عن ذلك وعن كل شبهة لخلقه، فكيف عن لعب الصراع الذي لا يفعله إلا أهل البطالة؟! وأما أهل العقول فلا يفعلونه لغير ضرورة، ثم لم يكتفوا بهذه الشوهة حتى قالوا: إن الله عزوجل عجز عن أن يصرع يعقوب بنص كلام توراتهم، وحقق ذلك قولهم عن الله تعالى أنه قال له: (كنت قوياً على الله تعالى فكيف على الناس). ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانية أنه لذلك سماه إسرائيل، وإيل بلغتهم هو اسم الله تعالى بلا شك ولا خلاف، فمعناه أسر الله تذكيراً بذلك الضبط الذي كان بعد المصارعة، إذ قال له دعني فقال له يعقوب لا أدعك حتى تبارك علي. ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال في كل محفل، فثبتوا على أن نص التوراة أن يعقوب صارع الوهيم، وقال أن لفظ الوهيم يعبر بها عن الملك فإنما صارع ملكاً من الملائكة، فقلت لهم سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة أن فيه كنت قوياً على الله فكيف على الناس، وفيه أن يعقوب قال رأيت الله مواجهة، وسلمت نفسي ولا يمكن البتة أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأى الملك، ولا يبلغ من مس الملك. كما نص يعقوب أن يحرم على بني إسرائيل أكل عروق الفخذ في الأبد من أجل ذلك، وفيه أنه سمى الموضع بذلك (فنيئيل) لأنه قابل فيه إيل وهو الله عز وجل بلا

احتمال عندكم.ثم لو كان ملكاً كما تدعون عند المناظرة، لكان أيضاً من الخطأ تصارع نبي وملك لغير معنى، فهذه صفة المتحدين في العنصر لا صفة الملائكة والأنبياء) [1].

ومن أفضل من علق على تلك الرواية تعليقاً مناسباً وناقش جميع الأقوال والاحتمالات من المعاصرين خاصة في مسألة المصارعة مع الله، هو الدكتور/ محمد بيومي مهران حيث قال:

(وقد دار جدل طويل بين علماء اليهود والنصارى حول ذلك الرجل الغامض الذي برز ليعقوب عند مخاضة يبوق فصارعه حتى الفجر. فذهب فريق من العلماء إلى انه جنى مريد فإن هذا النص كغيره مما يتعلق بالآباء الأولين، مستقى ولاشك من مأثورات قديمة حين كانت شعوب المنطقة عرباً كانوا أم عبريين أم كنعانيين غارقين في المعتقدات الخرافية، أساطير التوراة نفسها التي تحاول تفسير قدسية أماكن بعينها، بيت إيل أو محانيم[2] على سبيل المثال لا الحصر، تشير إلى إيمان عميق بموجب الجن وإن حورت الصور فكأنهم رسل من ملائكة")[3] فهذا احد التفاسير لهذا النص وان كان فيه تاويلا وخروجا عن ظاهر النص والسبب في ذلك هو انتشار المعتقدات الخرافية في تلك الحقبة من الزمان وعدم قبول النص على ظاهره لمخالفته العقل.

ثم بين مذهب الفريق الثاني الذين أولوا هذا النص بقوله:

(وهناك من ذهب إلى أن هذا الغريم الغامض الذي صارعه يعقوب إنما هو روح النهر أو شيطانه، وأن صراع يعقوب معه إنما كان من أجل انتزاع البركة) [4] وهذا

---

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم ٢٣٢/١-٢٣٣

(٢) مدينة تقع شرقي الأردن شمالي عجلون بميل ونصف، أنظر قاموس الكتاب المقدس ص٨٤٣.

(٣) بنو اسرائيل التاريخ منذ عصر ابراهيم الى عصر موصى عليهما السلام للدكتور محمد بيومي مهران ١٨٣/١-١٩٠

(٤) المصدر السابق ١٨٣/١

التاويل مثل سابقه الا ان فيه مزيدا من التصريح الى نوع هذا الشيطان وانه شيطان النهر واما الفريق الثالث فيقول:

(وهناك فريق ثالث يذهب الى أن ذلك الرجل الغامض الذي صارع يعقوب، ملاك أرسله الرب ليعجم عود يعقوب قبل أن يختاره نبياً، كما يحاول أن يوحي بذلك جمهرة من كتاب ومفكرين اليهود اعتماداً على بعض المصادر) [1]

منها هذا النص وكذلك نص اخر في سفر يوشع مشابه لهذا الذي معنا واما الفريق الرابع فيقول:

(على أن هناك اتجاهاً رابعا يرى – طبقا لبعض التفسيرات المسيحية – أنه المسيح عليه السلام، إذ قيل عن الملاك الذي صارع معه بأنه هو الله، ومن ثم فمن المفترض أنه هو ابن الله ملاك العهد .

وهنا يتساءل الدكتور ماير: أكانت هذه الحرب جسدية ؟ ثم يجيب ليس هناك أي مبرر لإنكار هذه الحقيقة، فنحن نعلم أن ابن الله سبق أن أعلن تجسيده بالظهور أحياناً بشكل جسدي، لأن لذاته كانت منذ القديم مع بنى آدم، ولقد كان من الميسور أن يصارع جسدياً مع يعقوب، كما كان ميسوراً أن يمد يديه ليلمسها قوم بعد القيامة. يقيناً كانت الحرب جسدية لأن يعقوب عند استئناف رحلته خمع على حق فخذه، ولا زال شعبه إلى اليوم يذكرون ماديا هذه الواقعة المادية، إذ يمتنعون عن أكل ذلك الجزء من اللحم عرق النساء الذي يشبه الجزء الذي انخلع في فخذ يعقوب) بل انه ليبدو متردداً عازفا عن أن يقطع برأي فيقول: وبقوته جاهد مع الله، جاهد مع الملاك وغلب) [2] وهذا التفسير قريب جداً لظاهر النص الا ان فيه زيادة

(١) المصدر السابق ١٨٤/١

(٢) المصدر السابق ١٨٥/١

معنى بان المصارع ليعقوب عليه السلام هو ابن الله وهو المسيح واما الفريق الخامس فيقول الدكتور:

(على أن هناك فريقاً خامسا يقيد نفسه بحرفية ما جاء في التوراة، وعلى رأسه مارتن بوبر – فيلسوف الصهيونية في العصر الحديث، حيث يذهب إلى أن كلمة رجل كما تأتي في سياق النص، إنما تعني الله دون شك وأن الموقف كان يحتم على يعقوب حتى يجوز التجربة في تلك الليلة الليلاء فيصبح أهلاً لأن يصطفى، أن يتصدى لشخص الإله نفسه فينتزع منه البركة، ليس البركة فحسب، وإنما كان عليه أيضاً- ومصدرنا هنا بوبر نفسه مرة أخرى- أن يتخلص من سبة ذلك الاسم الذي يحمله، إذ يبدو أنه كان ينعت به عند الشعوب السامية القديمة قاطع الطريق، إذ يتعقب فريسته متحيناً الفرصة، ويقول سفر التكوين على لسان عيسو: إلا أنه اسمه يعقوب فقد تعقبني الآن مرتين،أخذ بكوريتي، وهاهو ذا الآن قد أخذ بركتي، ومن هنا فإن لفظ إسرائيل لا يمكن أن يفسر إلا بمعنى كان قوياً ضد الله، إذ أنه المعنى تتجه إليه تلقائياً أذهان جمهرة اليهود) [1].

وهذا الفريق قد اخذ بظاهر النص وهو حرفي في تفسيره للتوراة والحقيقة ان التحريف الذي طرا على التوراة هو الذي جعل مفسري التوراة يتخبطون في توضيح وتفسير هذا النص نعوذ بالله من الخزلان.

ثم يقرر الدكتور رايه في هذه الاقوال بقوله:

(وهكذا تختلف الآراء حول ذلك الذي صارع يعقوب، فهو مرة شيطان رجيم أو جني مريد وهو مرة أخرى ملاك كريم، وهو مرة ثالثة إنسان دونما أي تعريف، وهو مرة رابعة المسيح عيسى بن مريم، وهو مرة خامسة الله نفسه وإنه لمن الصعب أن نقرر أي هذه الآراء هو الأقرب إلى الصواب. ولكن هناك نصوص أخرى في سفر التكوين تقرر أن

(١) المصدر السابق ١٨٦/١-١٨٧

الذي غير اسم يعقوب إلى اسم إسرائيل إنما هو الله ذاته، فقد جاء فيه "وقال الله: اسمك يعقوب لا يكون من بعد اسمك يعقوب، بل إسرائيل يكون اسمك، فسماه إسرائيل".

هذا فضلاً عن أن النص صريح في أن الله هو الذي ظهر ليعقوب حين جاء من فدان آرام، كما أن نص المصارعة نفسه إنما يصرح بأن يعقوب سمى المكان فنوئيل قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه، ونجيت نفسي، وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه.

ومن هنا فنحن لسنا في حاجة إلى اجتهادات المجتهدين، وإنما النص التوراتي نفسه يخبرنا بوضوح، أن ذلك الذي صارع يعقوب إنما هو الله نفسه، ولسنا نملك من أمرنا سوى أن نستغفر الله مما جاء في توراة اليهود) [1].

وفيما ذكر الدكتور محمد بيومي مهران في تعليفاته على هذه الرحلة كفاية وغاية في الوضوح، وبيان الحق فيها من الباطل والأمر كذلك بالنسبة إلى سبب المصارعة، فهي مرة بسبب امتناع يعقوب عن تقديم القرابين لإله مخاضة يبوق، ومرة أخرى لأن الله نفسه إنما كانت له خصومة مع يعقوب ابنه الذي ملا المكر والخداع قلبه، فاعتزم أن ينتزعهما منه. ولكنها مرة ثالثة لأن يعقوب إنما كان يجب أن يجتاز التجربة حتى يصبح أهلاً لأن يجتبى والله أعلم.

(١) المصدر السابق ١/١٨٨-١٩٠

الفصل الثاني

من رجوعه إلى أرض الكنعانيين حتى وفاته في مصر ثم دفنه في فلسطين

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول:

استقراره في أرض الكنعانيين.

المبحث الثاني:

ولادة بنيامين ووفاة راحيل زوجة يعقوب عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث:

ذهابه إلى مصر في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام.

المبحث الرابع:

وفاته في مصر مع ذكر وصيته ودفنه في فلسطين.

المبحث الأول

استقراره في أرض الكنعانيين

نعرض في هذا المبحث لأهم الأحداث التي حصلت ليعقوب عليه الصلاة والسلام في أرض الكنعانيين، بعد رجوعه من عند خاله لابان وهي:

أ- سكناه مقابل أرض شكيم بن حمور الحوي.

ب- إقامة مذبح لله في بيت إيل.

ج- وفاة والدة إسحاق عليه الصلاة والسلام.

جاء في القرآن قول الله تعالى:﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ .....﴾ [1]وقال سبحانه تعالى:﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ۝ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ [2]

فنستفيد من الآية الأولى، مكان سكنى يعقوب عليه السلام قبل مجيئه إلى مصر، ومن الآية الأخرى يتضح حال يعقوب عليه السلام، وبماذا اشتهر فيمن حوله، ومن هنا نعرض آراء أهل العلم في تفسير الآيتين، ثم نذكر ما ورد في العهد القديم عن هذه المرحلة من حياة يعقوب عليه السلام.

فقد مر بنا عند الحديث عن نشأة يعقوب عليه السلام ، أن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان يسكن إحدى القرى ببادية فلسطين، كما ذكر ذلك الإمام الرازي[3] والإمام

---

(١) سورة يوسف اية ١٠٠

(٢) سورة ص اية ٤٥-٤٦

(٣) انظر التفسير الكبير للرازي ٥١٣/٦

القرطبي[١] في تفسيريهما. فهو عليه الصلاة والسلام قد استقر في بلاد الشام من قرى فلسطين، وبها كان مسكنه عليه الصلاة والسلام بعد رجوعه من عند خاله لابان، وظل في هذا المكان حتى هاجر إلى أرض مصر، كما جاء في قصة يوسف عليه السلام.

وأما قوله تعالى:﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾[٢] فمعنى الأيدي القوة، أي القوة على عبادة الله وطاعته وإتباع أمره، ومعنى الأبصار أنهم أهل أبصار القلوب،و أهل العقول والقلوب المبصرة والمدركة للحق والمتبعة له.

فيعقوب عليه الصلاة والسلام قد سكن إحدى القرى من بادية فلسطين، ولعلها تكون الأرض القريبة من أرض شكيم بن حمور الحوي، فقد ذكر الإمام القرطبي[٣] عند تفسيره لهذه الآية أي قوله تعالى:﴿ .... أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ...﴾[٤] وكذلك ابن كثير في تاريخه،[٥] وحديثه عن قصة دينة بنت يعقوب وما كان من أمرها مع شكيم بن حمور،الذي قهرها على نفسها وخطبها من أبيها وإخوتها، فاشترط أخوتها على قوم شكيم بن حمور أن يختتنوا كلهم حتى تتم المصاهرة بينهم، فأجابهم القوم إلى ذلك. فلما كان اليوم الثالث واشتد وجعهم من ألم الختان، مال عليهم بنو يعقوب فقتلوهم عن آخرهم، وقتلوا شكيماً وأباه حمور. فقتال يعقوب عليه السلام لشكيم بن حمور وهو أحد ملوك تلك الناحية وانتصاره

(١) انظر الجامع لاحكام القران للقرطبي ١٧٥/٥

(٢) سورة ص اية ٤٥

(٣) انظر الجامع لاحكام القران للقرطبي ١٤١/٨

(٤) سورة ص اية ٤٥

(٥) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ١٨٤/١

عليه، دليل على أن يعقوب عليه السلام كان من أهل الشجاعة والقوة في الحق، مشهورا بها بين الناس في محل إقامته، وهو إشارة لقوله تعالى:﴿ .... أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَـٰرِ ...﴾.[1]

وأما سبب قتال يعقوب لشكيم بن حمور، فذكر أهل الكتاب أنه بسبب قهر دينة بنت يعقوب على نفسها وخطبها عنوة، ثم إن اخوتها وافقوا بشرط إختتان كل قومه، ثم بعد ذلك غدروا بهم في اليوم الثالث. ونحن لا نوافق على ما جاء في هذه الرواية الإسرائيلية من سبب قتال يعقوب لشكيم بن حمور، بل ينبغي علينا أن نفسر سبب القتال كما ذهب إليه عدد من أهل العلم وعلى رأسهم ابن كثير رحمه الله[2] أن قوم شكيم كانوا كفارا يعبدون الأصنام، وقد دعاهم يعقوب عليه السلام للإسلام فأبوا، فقاتلهم وأخذ أموالهم غنيمة،وهذا هو اللائق بنبي الله يعقوب عليه السلام،وعندها أخذ الناس يستجيبون لدعوة يعقوب عليه السلام، وكان يعقوب طيلة حياته ذلك المجاهد المؤمن المبارك، حتى أصبح مشهورا بشجاعته ورجاحة عقله فيمن حوله عليه الصلاة والسلام.

فإذن هذه الحادثة قد جرت بالفعل،أي قتال يعقوب عليه السلام لقوم شكيم بن حمور الحوي وأقرها عدد من العلماء القدماء والمعاصرين[3] وأيا ما كان الأمر، فإننا نؤكد بأن يعقوب عليه السلام قد استقر في إحدى قرى فلسطين ولعلها تكون سكوت[4] والله أعلم.

---

(١) سورة ص اية ٤٥

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١/١٨٤.

(٣) أنظر على سبيل المثال، بنو إسرائيل التاريخ منذ عصر إبراهيم إلى عصر موسى عليهما السلام/للدكتور محمد بيومي مهران ١/١٩٣-١٩٤.

(٤) تسمى اليوم تل أفحاص بالقرب من نهر الزرقاء بالأردن، أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٤٧٢.

أما التوراة، فقد تحدث سفر التكوين عن سكنى يعقوب عليه السلام، وأنها كانت في أرض بادية الشام، وما حدث في هذه الفترة من أحداث ومن ذلك قصة قتال يعقوب وبنيه لشكيم بن حمور، فجاء ما نصه:

(وأما يعقوب فارتحل إلى سكوت، وبني لنفسه بيتاً وصنع لمواشيه مظلات، لذلك دعا اسم المكان سكوت. ثم أتى يعقوب سالماً إلى مدينة شكيم التي في أرض كنعان حين جاء من فدان آرام، ونزل أمام المدينة، وابتاع قطعة الحقل التي نصب فيها خيمته من يد بني حمور ابن شكيم بمئة قسيطة، أقام هناك مذبحا ودعاه إيل إله إسرائيل.

وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولديها ليعقوب لتنظر بنات الأرض، فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس الأرض، أخذها واضطجع معها وأذلها وتعلقت نفسه بدينه ابنة يعقوب وأحب الفتاة ولاطف الفتاة. فكلم شكيم حمور أباه قائلاً: خذ لي هذه الصبية زوجة. وسمع يعقوب أنه نجس دينة ابنته. وأما بنوه فكانوا مع مواشيه في الحقل فسكت يعقوب حتى جاءوا.

فخرج حمور أبو شكيم إلى يعقوب ليتكلم معه، وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا، وغضب الرجال واغتاظوا جداً لأنه صنع قباحة في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب وهكذا يصنع. وتكلم حمور معهم قائلاً: شكيم ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم، أعطوه إياها زوجة وصاهرونا تعطوننا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا، وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم، اسكنوا واتجروا فيها فتملكوا بها. ثم قال شكيم لأبيها ولأخويها: دعوني أجد نعمة في أعينكم، فالذي تقولون لي أعطى كثروا على جداً مهراً وعطية أعطي كما تقولون لي أعطوني الفتاة زوجة. فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر وتكلموا لأنه كان قد نجس دينة أختهم، فقالوا لهما: لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطي أختنا لرجل أغلف، لأنه عار لنا غير أننا بهذا نواتيكم إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر، نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً، وإن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضي.

فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين، أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة، أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن، وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنه

بحد السيف، وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا. ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة لأنهم نجسوا أختهم وغنمهم وبقرهم وحميرهم، وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه، وسبوا ونهبوا كل ماترونهم، وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت.فقال يعقوب لشمعون ولاوي كدرتماني بتكريهكما إياي عند سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين, وإنا نفر قليل فيجتمعون علي ويضربونني فأبيد أنا وبيتي، فقال: أنظير زانية يفعل بأختنا.) [1]

فمن هذا النص يتبين لنا استقرار يعقوب عليه السلام في بأرض كنعان أرض فلسطين، وذلك بعد مقدمه من رحلته من عند خاله لابان. فهذه هي الرحلة الأولى التي حصلت ليعقوب عليه السلام، ورجوعه مرة أخرى إلى بلدة والده وجده إبراهيم وإسحاق عليهما السلام. وفي هذه البلدة استقر يعقوب عليه السلام وأقام فيها المكان لعبادة الله، وفيها أيضاً تم دفن والده إسحاق بعد وفاته بها. وقد اشتهر في مكان استقراره بالكرم والشجاعة والقوة في الحق، والدعوة إلي دين الله عز وجل، حتى حصلت له الرحلة الثانية في حياة يعقوب عليه السلام إلى أرض مصر. وهذا لا يوجد في شرعنا ما يرده إجمالاً إلا ما ورد عن سبب القتال لأهل شكيم بن حمور، والله أعلم.

ب- بناء بيت إيل(إله) إسرائيل:

تؤكد النصوص المستوحاة من نصوص الأسفار التوراتية، أن يعقوب عليه السلام هو الذي بنى بيت المقدس لله تعالى وسماه بيت إيل، فقد جاء في العهد القديم:

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٣: ١ -٢٠و ٣٤: ١ -٣١و٣٥: ١-٨

(ثم قال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت ايل, أقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك, فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه،اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم, ولنقم ونصعد إلى بيت ايل فأصنع هناك مذبحاً لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي وكان معي في الطريق الذي ذهبت فيه. فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم. فطمرها يعقوب تحت البطمة التي عند شكيم. ثم رحلوا، وكان خوف الله على المدن التي حولهم فلم يسعوا وراء بني يعقوب. فأتى يعقوب إلى لوز التي في أرض كنعان وهي بيت إيل، هو وجميع القوم الذين معه وبني هناك مذبحاً ودعا المكان بيت إيل).[1]

وحسب الرواية التوراتية هذه فإن يعقوب عليه السلام قد نزل بالقرب من أرض شكيم، وهي الآن مدينة نابلس في الضفة الغربية، وأقام هناك مذبحاً للرب. وجاء في رواية أخرى أن يعقوب تذكر مناماً كان قد شاهده أثناء ذهابه إلى فدان آرام إذ غلبه النوم بعد تعبه في إحدى بقع فلسطين، فنام ورأى في نومه حلماً يبشره بالنبوة، فوضع علامة على ذلك المكان، ثم أتى نحو ذلك الموضع بعد رجوعه من عند خاله لابان وبنى مذبحاً لله سماه بيت ايل، وهو بيت المقدس اليوم وقد سبق لنا الحديث في مبحث سابق عن بناء يعقوب بيت المقدس، وذكر كلام أهل العلم في ذلك.[2]

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٥: ١-٨

(٢) للاستزادة أنظر معجم البلدان لياقوت الحموي وزاد المعاد لابن القيم وكتاب يعقوب عليه الصلاة والسلام للأستاذ حلمي شعبان ص٣٠

ج- وفاة إسحاق عليه الصلاة والسلام:

تحدث المؤرخون الإسلاميون عن وفاة إسحاق عليه السلام وتحديد زمانها، فذكر البعض أنه عليه السلام عاش بعد ما ولد له عيسو ويعقوب مائة سنة، ثم توفي وله مائة وستون سنة، فقبره ابناه عيسو ويعقوب عند قبر أبيه إبراهيم في مزرعة حبرون[١]، هذا ما ذكره ابن جرير[٢] وابن الأثير[٣] رحمهما الله.

أما ابن كثير رحمه الله فيقول: (مرض إسحق ومات عن مائة وثمانين سنة، ودفنه ابناه العيص ويعقوب مع أبيه إبراهيم الخليل في المزرعة التي اشتراها). [٤]

وما ذكره ابن كثير في تاريخ وفاة يعقوب يتفق مع ما جاء في العهد القديم، والله أعلم بصحة ذلك[٥].

---

(١) مزرعة حبرون اسم عبري وهي مدينة في ارض يعوذا الجبلية، وكانت موجودة في وقت مبكر منذ أيام ابر أهيم عليه السلام الذي سكنها، وهي الآن مدينة الخليل، فهي مدينة إبراهيم عليه السلام وهي على بعد ١٩ ميلا ونصف ميل إلى الجنوب الغربي من القدس "أورشليم"، وفيها قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٨٦.

(٢) تاريخ ابن جرير الطبري ٢٠١/١

(٣) أبو الحسن عز الدين علي بن عبد الكريم الشيباني الموصلي، من المؤرخين المشهورين، توفي سنة ٦٣٠هـ أنظرالكامل في التاريخ لابن االأثير ١٠٤/١ وأنظر كذلك ٩٧/١

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ١٨٤/١

(٥) انظر العهد القديم سفر التكوين الإصحاح ٣٥: ٢٧-٢٩

المبحث الثاني

ولادة بنيامين ووفاة راحيل زوجة يعقوب عليه الصلاة والسلام

نفهم من قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ .... الآية﴾ (١)

بأن أم يوسف عليه السلام قد بقيت على قيد الحياة حتى رحيل يعقوب عليه السلام وبنيه إلى مصر بدعوة يوسف واستقرارهم فيها، ثم انقطع الحديث عنها في القرآن الكريم، وأما التوراة فقد جاء في سفر التكوين:-

(ثم رحلوا من بيت أيل، ولما كان مسافة من الأرض بعد حتى باتوا إلى أفراته ولدت راحيل وتعسرت ولادتها. وحدث حين تعسرت ولادتها أن القابلة قالت لها: لا تخافي لأن هذا أيضاً ابن لك. وكان عند خروج نفسها لأنها ماتت أنها دعت أسمه بن أوني. وأما أبوه فدعاه بنيامين، فماتت راحيل ودفنت في طريق أفراته التي هي بيت لحم، فنصب يعقوب عموداً على قبرها وهو عمود قبر راحيل إلى اليوم) (٢)

فهذا النص التوراتي الذي بين أيدينا يفيد بأن أم يوسف عليه السلام – راحيل- هي أم بنيامين، فهو أخ ليوسف شقيق. وهذا لا يوجد في شرعنا ما يخالفه فلا ننكره، بل إن هناك من القرائن في القرآن ما يؤيده، كما في قصة يوسف عليه السلام لما طلب من اخوته المجيء ببنيامين إليه في مصر لما كان ملكاً كما قال تعالى:(بأخ لكم من أبيكم...) (٣).

---

(١) سورة يوسف آية ٩٩-١٠٠

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٣٥: ١٦-٢٠

(٣) سورة يوسف آية ٥٩

فكأنه يشير إلى أنه ليس شقيقاً لهم وفي قوله له: "إني أنا أخوك...."[1] إشارة إلى أنه هو الأخ الشقيق له. وهذا ما يوافق الرواية التوراتية. وكذلك يفيدنا هذا النص التوراتي بأن بنيامين هو آخر الاخوة من أبناء يعقوب عليه السلام، وأن ولادته كانت في أرض فلسطين وليس في شرعنا ما يخالف ذلك أو يرده. والأمر الذي يفيده النص التوراتي أيضاً وقد يخالف ما لدينا من النصوص، هو أن أم بنيامين التي هي أم يوسف عليه السلام قد ماتت عند الولادة، وهذا يخالف ظاهر النص القرآني كما في قصة يوسف عليه السلام. فإن لفظ القرآن الظاهر يبين بأن الأم على قيد الحياة حتى ذهابها إلى مصر، وكذلك الجمع بين الأبوين في النص الواحد يؤكد هذا المعنى، وإن كان هذا الأمر قد يجمع فيه بين النصين، لا سيما بأن عدداً من العلماء ذكروا قصة وفاة راحيل في الولادة ولم ينكروا ذلك [2] منهم على سبيل المثال الإمام ابن كثير رحمه الله في تاريخه حيث يقول:

(ثم حملت راحيل فولدت غلاماً وهو بنيامين، إلا أنها جهدت في طلقها به جهداً شديداً وماتت عقيبه، فدفنها يعقوب في أفراث وهي بيت لحم،[3] وصنع يعقوب على قبرها حجراً، وهي الحجارة المعروفة بقبر راحيل إلى اليوم.....) [4]

فابن كثير لا ينكر وفاة راحيل هنا، فكأنه يقر ذلك. إلا أن بعض المفسرين [5] رأوا عند تفسير قوله تعالى :(آوى إليه أبويه) [6] أن المراد بقوله أبويه قولان.

---

(١) سورة يوسف اية ٦٩

(٢) أنظر الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم للدكتور/ محمد علي البار ص ١٤٧ ويعقوب عليه الصلاة والسلام للأستاذ حلمي شعبان ص ٢٦

(٣) مدينة صغيرة تقع جنوب بيت المقدس وهي المدينة التي ولد فيها المسيح عليه السلام وبيت لحم اسم عبري معناه بيت الخبز انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٠٥.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ١٨٤/١

(٥) التفسير الكبير للرازي ٥٠٩/٦

(٦) سورة يوسف اية٩٩

فالأول: المراد أبوه وأمه، وعلى هذا القول أن أمه كانت باقية حية إلى ذلك الوقت وهذا هو الظاهر، وقيل أنها كانت قد ماتت إلا أن الله تعالى أحياها وأنشرها من قبرها حتى سجدت له، تحقيقاً لرؤيته عليه السلام، وهذا قول بعيد لا يصح.

وأما القول **الثاني**:أن المراد أبوه يعقوب وخالته، لأن أم يوسف عليه السلام قد ماتت في ولادتها لبنيامين، فالأم تطلق على الخالة أيضاً وهي بمنزلة الام كما في الحديث "الخالة بمنزلة الام"[1] إذن قد يقال أن الجمع بين النصين ممكن، وذلك بأن نقول أن أم بنيامين قد ماتت في ولادتها له، وأن التي قدمت مع يعقوب عليه السلام إلى يوسف في مصر هي خالته ليا. والخالة أم كما أن العم أب، والجمع أولى من الترجيح. وإن كان لفظ القرآن في الجمع بين الأبوين في قدومهما إلى يوسف عليه السلام، يتجه إلى أمه صريحاً، وأن المقصود بوالديه يعقوب عليه السلام وأم يوسف عليه السلام. وكذلك الاقتران بينهما في اللغة، فكيف يعبر عن الأب ثم يفرق عند لفظة الأم، وهو أبلغ في تعبير رؤيا يوسف عليه السلام حيث يجعل والديه أمه وأبوه ممن يسجدون له.

فلعل الراجح أنها لم تمت حتى قدومها إلى أرض مصر وتحقيق رؤيا يوسف عليه السلام، وما في الرواية التوراتية يعتبر مخالفاً لما في شرعنا فنرده ولا نلتفت إليه، والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري من حديث البراء ١٦٧/٢ و ١٣٣/٣

المبحث الثالث

ذهابه إلى مصر في قصة يوسف عليهما الصلاة والسلام

يروي القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام رحلة يعقوب عليه السلام إلى مصر، وذلك بدعوة ملكها له بالسكنى هناك وهذه هي الرحلة الثانية ليعقوب عليه السلام، فقد قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) وقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ۝ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢)

فقد روي في استقبال يوسف عليه السلام لوالده يعقوب عليه السلام، أن يوسف وجه إلى أبيه جهازا مكونا من مائتا راحلة ليتجهز إليه بمن معه. وخرج يوسف عليه السلام والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم تلقوا يعقوب عليه السلام في الطريق، وهو يمشي يتوكأ على يهوذا، فنظر إلى الخيل والناس فقال: يا يهوذا هذا فرعون مصر؟ قال: لا، هذا ولدك يوسف، فذهب يوسف يبدأ بالسلام فمنع من ذلك، فقال يعقوب عليه السلام: السلام عليك.(٣)

---

(١) سورة يوسف آية ٩٣

(٢) سورة يوسف آية ٩٩-١٠٠

(٣) أنظر التفسير الكبير للرازي٦/٥٠٩

وجاء في تفسير الرازي[1]، أن يعقوب عليه السلام لما دخل مصر رأى أهلها يعبدون النيران والأوثان، فخاف على بنيه بعد وفاته، فقال لهم ما جاء في سورة البقرة : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [2] فقال لهم هذا القول تحريضاً لهم على التمسك بعبادة الله تعالى.

وحكي عن ابن عباس أن يعقوب عليه السلام جمعهم إليه عند الوفاة، وهم كانوا يعبدون الأوثان والنيران، فقال يا بني ما تعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك. وهذا بعيد لوجهين:

الأول: أنهم بادروا إلى الاعتراف بالتوحيد مبادرة من تقدم منه العلم واليقين على ذلك.

الثاني: أنه تعالى ذكر في الكتاب حال الأسباط من أولاد يعقوب، وأنهم كانوا قوماً صالحين، وذلك لا يليق بحالهم[3].

وقد ورد في القرآن الكريم ما يوافق التوراة في قصة رحلة يعقوب عليه السلام إلى مصر، فقد جاء في سفر التكوين مؤرخاً ليعقوب عليه السلام لرحلته إلى مصر:-

(فارتحل إسرائيل وكل ما كان له وأتى إلى بئر سبع، وذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق. فكلم الله إسرائيل في روى الليل وقال: يعقوب يعقوب. فقال هاأنذا فقال: أنا الله إله أبيك، لا تخف من النزول إلى مصر، لأني أجعلك أمة عظيمة هناك، أنا انزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك أيضاً، ويضع يوسف يده على عينيك. فقام يعقوب من بئر سبع، وحمل بنو إسرائيل

---

(١) ذكره الرازي في التفسير الكبير ٥٠٩/٦

(٢) سورة البقرة آية ١٣٣

(٣) انظر التفسير الكبير للرازي ٥٠٩/٦

يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العجلات التي أرسل فرعون لحمله، وأخذوا مواشيهم ومقتناهم الذي اقتنوا في أرض كنعان، وجاءوا إلي مصر يعقوب وكل نسله معه، بنوه وبنو بنيه معه، وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر. جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صلبه ما عدا نساء بني يعقوب، جميع النفوس ستت وستون نفساً وابنا يوسف اللذان ولدا له في مصر نفسان. جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون. فأرسل يهوذا أمامه إلى يوسف ليري الطريق أمامه إلى جاسان[1]. ثم جاءوا إلى أرض جاسان فشد يوسف مركبته وصعد لاستقبال إسرائيل أبيه إلى جاسان. ولما ظهر له وقع على عنقه وبكى على عنقه زماناً، فقال إسرائيل ليوسف: أموت الآن بعدما رأيت وجهك، إنك حي بعد. ثم قال يوسف لأخوته ولبيت أبيه: أصعد وأخبر فرعون وأقول له أخوتي وبيت أبي الذين في أرض كنعان جاءوا إلي، والرجال رعاة غنم، فإنهم كانوا أهل مواش وقد جاءوا بغنمهم وبقرهم وكل مالهم. فيكون إذا دعاكم فرعون وقال ما صنعتكم إن تقولوا عبيدك أهل مواشٍ منذ صبانا إلى الآن نحن وآباؤنا جميعاً. لكي تسكنوا في أرض جاسان. لأن كل راعي غنم رجس للمصريين)[2].

إن القصة السابقة صحيحة، ولا أعرف أحداً يخالفها، ولكن قد يكون هناك نقد ظاهر لما في التوراة في روايتها لهذا الحدث. ومن أهم ما ينتقد في هذه الرواية، موضوع السكنى لبني إسرائيل في مصر، أين كانت؟ وقد حقق القول في ذلك الدكتور/ محمد بيومي مهران، وانتهى إلى قوله :-

(١) منطقة خصبة في مصر واقعة شرق الدلتا والمعروفة الآن بالشرقية، أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٤٢.

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٤٦: ١-٣٤

(على أن هناك خطأ تاريخياً في رواية التوارة، حيث تقول في سفر التكوين أن يوسف قد أسكن أباه وأخوته في أرض رعمسيس[1]،ذلك لأن كلمة رعمسيس لا تستعمل إلا منذ الأسرة التاسعة عشرة(١٣٠٨-١١٩٤ق.م) وليس منذ عهد الهكسوس حوالي (١٧٢٥-١٥٧٥ ق.م) وهو العصر الذي يفترض دخول بني يعقوب فيه مصر). [2]

ثم رجح الدكتور محمد بيومي مهران أن استقرار بني إسرائيل في مصر، بعد دعوة يوسف عليه السلام لهم بالسكنى في مصر، أنها كانت في أرض جوشن، وهي المنطقة الواقعة في وادي طميلات الممتد من فرع النيل الشرقي متجهاً إلى بحيرة التمساح. ولا شك أن الألفاظ الواردة في النص التوراتي قد يعتريها الخطأ والتحريف، كما مر معنا في كثير من المواطن في هذا البحث، فلا يضر إذا عبر عن المكان بجاثان او جوثن فهما متقاربان. ثم يتحدث الدكتور محمد بيومي مهران عن الخلاف بين أهل التاريخ في زمن دخول بني إسرائيل إلى مصر فيقول:

(أما بالنسبة لزمن دخول بنو إسرائيل مصر، فإن الخلاف كبير بين أهل التاريخ، ولعل السبب في ذلك أن التوراة وكذا بقية الكتب المقدسة لم
تحدد وقتاً لدخول بني إسرائيل أرض الكنانة بل إنها حتى لم تذكر اسم الملك الذي عاصر يوسف عليه السلام، هذا فضلاً عن أن مصر وهي البلد الذي كان يأمل العلماء أن يجدوا فيه وثائق معاصرة للأحداث التي جاءت في التوارة، لم تشر أبداً إلى هبوط الإسرائيليين

(١) مدينة في مصر تسمى ديصان الحجر بناها رعمسيس الثاني وسماها باسمه أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٤٠٦

(٢) بنو إسرائيل من عصر إبراهيم إلى عصر موسى عليهما السلام للدكتور/ محمد بيومي مهران ٢١٤/١-٢١٨

إليها، بل ليست هناك أية إشارة في التاريخ المصري القديم إلى إسرائيل فيما قبل عصر مرنبتاح ١٢٢٤-١٢١٤ق.م.

ومن هنا كان الخلاف بين العلماء على تحديد ذلك العصر، إلا أن الراجح لدي والله أعلم، أن عصر الهكسوس[١] هو العصر الذي هبط بنو إسرائيل فيه مصر، **لأدلة كثيرة منها:**

أولاً: أن التوارة تروي في سفر التكوين، أن يوسف كان يركب في عربة الفرعون الثانية على أساس أنه نائب الملك، وفي هذا دلالة على عصر الهكسوس ذلك لأن حكام البلاد الأجنبية هؤلاء، إنما كانوا أول من أدخل عربة الحرب السريعة إلى مصر.

ومنها **ثانياً:** أن الهكسوس هم أول من استعمل العربات الرسمية في المناسبات العامة في مصر، وكانت العربة الأولى من نصيب الملك، بينما كانت الثانية من نصيب وزيره الأول.

ومنها **ثالثاً:** أن ساكن الرمال ما كان يستطيع أن يصل إلى منصب الوزير على أيام الفراعنة المصريين في تلك العصور المجيدة من تاريخ الكنانة، ذلك لأن البدو إنما كانوا يعملون في تربية الحمير والغنم والماعز، وإن كل راعي غنم رجس عند المصريين، ومن هنا وفي عهد سيادة الهكسوس فحسب.

ومنها **رابعاً:** أن هناك جعولاً من ذلك العصر، جاءت بها أسماء رؤساء مثل يعقوب حر وعنات حر، ومهما يكن معنى حر، هذه فإن عنات هي الإله السامية المعروفة. وإنه لمن الصعب أن ننحي وجهة النظر القائلة بأن الأب يعقوب قد خلد ذكره في الاسم الآخر.

ومنها **خامساً:** أن دخول الإسرائيليين إلى مصر إنما حدث خلال حكم الهكسوس لمصر، لأنه في مثل هذا الاضطراب التاريخي فقط يتسنى لهم أن يلقوا ترحاباً، وهم الغرباء النازحون.

---

(١) تسمية أطلقها المصريون على المجموعات التي اجتاحت بلاد النيل واحتلتها، والتي تعني الأسياد الغرباء بدأت دولتهم بالانهيار سنة ١٥٧٠ق.م انظر قاموس الكتاب المقدس.

ومنها **سادساً**: أن هناك من الباحثين من يجعل الهكسوس من أصول سامية شمالية غربية، ومن ثم فهم أقرباء للعبرانيين، مما يجعل يوسف العبراني يجد الفرصة ليصل إلى مركز القوة في البلاط المصري، وبالتالي فقد قوبل أباه واخوته بالترحاب من الهكسوس الساميين، والذين سمحوا لهم بالإقامة في جوشن.

ومنها **سابعاً**: ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن دخول الإسرائيليين إلى مصر إنما كان في عصر الهكسوس، على أساس أن هذا يعطى الإسرائيليين أربعة قرون كفترة إقامة في مصر، حتى تم طردهم منها على يد رمسيس الثاني.

ومنها **ثامناً**: ما ذهبنا إليه من قبل من أن القرآن الكريم قد حرص في سرده لقصة يوسف على أن يلقب الحاكم الذي عاصره بلقب ملك، بينما حرص على أن يلقب الحاكم الذي عاصر موسى بلقب فرعون، وقد أثبتنا من قبل أن لقب فرعون لم يستعمل للدلالة على شخص الملك إلا منذ أيام تحتمس الثالث، وبصفة مؤكدة منذ أيام إخناتون، مما يدل على أن عصر يوسف إنما كان قبل عصر الأسرة الثامنة عشرة التي استعمل فيها لقب فرعون، وبالتالي فهو في عصر الهكسوس)[1]

فالخلاصة أن إسرائيل عليه السلام وأبناءه سكنوا جاسان من أرض مصر وأن عصر دخولهم هو في فترة حكم الهكسوس لمصر هذا هو الأقرب والذي يتفق إلى حد كبير مع الرواية التوراتية لهذا الحدث، وبقي أن نشير إلى أن يعقوب عليه السلام ظل ساكناً عند إبنه يوسف عليه السلام في دار ملكه في مصر، حتى توفاه الله عز وجل، كما سيأتي والله أعلم.

---

(١) بنو إسرائيل من عصر إبراهيم إلى عصر موسى عليهما السلام للدكتور/ محمد بيومي مهران ١/٢١٤-٢١٨

المبحث الرابع

وفاة يعقوب في مصر مع ذكر وصيته ودفنه في فلسطين

يقول تعالى بصدد وفاة يعقوب عليه السلام: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [1] فهذه الآية التي جاءت في سورة البقرة، تتحدث عن وفاة يعقوب عليه السلام ووصيته لأبنائه، أما في سورة يوسف عليه السلام فلم يذكر فيها شيء عن وفاة يعقوب عليه السلام.

وهذه الآية نزلت تكذيباً من الله لليهود والنصارى في دعواهم في إبراهيم وولده يعقوب أنهم كانوا على ملتهم، فقوله تعالى:(أم كنتم شهداء) يعني أهل الكتاب،(إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي) أي: أي إله تعبدون بعد وفاتي، فقالوا: نعبد معبودك الذي تعبده ومعبود آبائك، ونخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية والألوهية فلا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ من دونه رباً، ونحن خاضعون له بالعبودية والطاعة.

وقد أكد على أهمية هذه الوصية العظيمة من يعقوب عليه السلام لبنيه بالتمسك بالدين عدد ليس بالقليل من العلماء[2] ومن أبرز من تكلم عن أهمية هذه الوصية الإمام الرازي رحمه الله حيث قال:-

(أعلم أن هذه الحكاية اشتملت على دقائق مرغبة في قبول الدين، أحدها أنه تعالى لم يقل وأمر إبراهيم بنيه، بل قال وصاهم، ولفظ الوصية أؤكد من الأمر لأن الوصية عند

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٢

(٢) أنظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٦/٥ وتفسير المنار للشيخ/ رشيد رضا ٤٧٦/١ يعقوب عليه السلام للأستاذ/ حلمي شعبان ص ٤٩-٥٢

غيرهم، فلما خصهم بذلك في آخر عمره، علمنا أن اهتمامه بذلك كان أشد من اهتمامه بغيره. وثالثها: أنه عمم بهذه الوصية جميع بنيه ولم يخص أحداً منهم بهذه الوصية، وذلك أيضاً يدل على شدة الاهتمام، ورابعها أنه عليه السلام أطلق هذه الوصية غير مقيدة بزمان معين ومكان معين، ثم زجرهم أبلغ الزجر عن أن يموتوا غير مسلمين، وذلك يدل أيضا على شدة الاهتمام بهذا الأمر، وخامساً أنه عليه السلام ما مزج بهذه الوصية وصية أخرى، وهذا يدل أيضا على شدة الاهتمام بهذا الأمر، ولما كان إبراهيم عليه السلام هو الرجل المشهود له بالفضل وحسن الطريقة وكمال السيرة، ثم عرف أنه كان في نهاية الاهتمام بهذا الأمر، عرف حينئذ أن هذا الأمر أولى الأمور بالاهتمام وأجراها بالرعاية، فهذا هو السبب في انه خص أهله وأبناءه بهذه الوصية)[1]

فما أعظمها من وصية يجب الأخذ بها والتمسك بها أشد التمسك. وقد جاء في التوراة ما يوافق قصة وفاة يعقوب عليه السلام ووصيته لبنيه مع الفرق العظيم والبون الشاسع بينهما في فحواها ومضمونها، حيث جاء في سفر التكوين:-

(ودعا يعقوب بنيه وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام، اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب، وأصغوا إلى إسرائيل أبيكم. راوبين: أنت بكري قوتي وأول قدرتي فضل الرفعة وفضل العز، فائراً كالماء لا تتفضل، لأنك صعدت على مضجع أبيك، حينئذ دنسته. على فراشي صعد شمعون ولاوي أخوان، آلات ظلم سيوفهما، في مجلسهما لا تدخل نفسي، بمجمعهما لا تتحد كرامتي، لأنهما في غضبهما قتلا إنساناً وفي رضاهما عرقبا ثوراً. ملعون غضبهما فإنه شديد، سخطهما فإنه قاس. اقسمهما في يعقوب وأفرقهما في إسرائيل. يهوذا: إياك يحمد إخوتك، يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك. يهوذا: جرو أسد، من فريسة صعدت يا ابني، جثا وربض كأسد وكلبوة، من ينهضه، لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون

(١) التفسير الكبير للرازي ٦٤/٢

وله يكون خضوع شعوب، رابطاً بالكرمة جحشه وبالجفنة ابن أتانه، غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه. مسود العينين من الخمر ومبيض الأسنان من اللبن. زبولون: عند ساحل البحر يسكن وهو عند ساحل السفن، وجانبه عند صيدون.يساكر: حمار جسيم رابض بين الحظائر، فرأى المحل أنه حسن والأرض إنها نزعة فأحنى كتفه للحمل وصار للجزية عبداً. دان: يدين شعبه كأحد أسباط إسرائيل.، يكون دان حية على الطريق أفعواناً على السبيل يلسع، عقبي الفرس فيسقط راكبه إلى الوراء. لخلاصك انتظرت يارب.جاد: يزحمه جيش، ولكنه يزحم مؤخره. أشير: خبزه سمين وهو يعطي لذات ملوك. نفتالي: ايلة مسيبة، يعطي أقوالاً حسنة. يوسف: غصن شجرة مثمرة على عين أغصان قد ارتفعت فوق حائط فمررته ورمته واضطهدته أرباب السهام، ولكن ثبتت بمتانة قوسه وتشددت سواعد يديه من يدي عزيز يعقوب من هناك من الراعي صخر إسرائيل، من إله أبيك الذي يعنيك ومن القادر على كل شئ الذي يبارك، تأتي بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت بركات الثديين والرحم. بركات أبيك فاقت على بركات أبوي. إلى منية الآكام الدهرية تكون على رأس يوسف وعلى قمة نذير أخوته. بنيامين: ذئب يفترس في الصباح يأكل غنيمة وعند المساء يقسم نهباً.

جميع هؤلاء هم أسباط إسرائيل الإثنا عشر، وهذا ما كلمهم به أبوهم وباركهم كل واحد يحسب بركته. باركهم وأوصاهم وقال لهم: أنا أنضم إلى قومي ادفنوني عند آبائي في المغارة التي في حقل غفرون الحثي، في المغارة التي في حقل المكفيلة التي أمام ممرا في أرض كنعان التي اشتراها إبراهيم مع الحقل من عفرون الحثي، ملك قبره هناك دفنوا إبراهيم وسارة امرأته. هناك دفنوا إسحاق ورفقة امرأته وهناك دفنت ليئة شراء الحقل والمغارة التي فيه كان من بني حث. ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه ضم رجليه إلى السرير وأسلم الروح وانضم إلى قومه. فوقع يوسف على وجه أبيه وبكى عليه وقبله وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه فحنط الأطباء إسرائيل وكمل له أربعون يوماً، لأنه

هكذا تكمل أيام المحنطين وبكى عليه المصريون سبعون يوماً. وبعد ما مضت أيام بكائه كلم يوسف بيت فرعون قائلاً: إن كنت قد وجدت نعمة في عيونكم فتكلموا في مسامع فرعون قائلين أبي استحلفني قائلاً: ها أنا أموت في قبري الذي حفرت لنفسي في أرض كنعان هناك تدفنني، فالآن أصعد لأدفن أبي وارجع، فقال فرعون: اصعد وادفن أباك كما استحلفك. فصعد يوسف ليدفن أباه وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر، وكل بيت يوسف واخوته وبيت أبيه. غير أنهم تركوا أولادهم وغنمهم وبقرهم في أرض جاسان وصعد معه مركبات وفرسان. فكان الجيش كثيراً جداً فأتوا إلى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن، وناحوا هناك نوحاً عظيماً وشديداً جداً، وصنع لأبيه مناحة سبعة أيام. فلما رأى أهل البلاد الكنعانيون المناحة في بيدر أطاد قالوا: هذه مناحة ثقيلة للمصريين، لذلك دعي اسمه آبل مصرايم، الذي في عبر الأردن. وفعل له بنوه هكذا كما أوصاهم، حمله بنوه إلى أرض كنعان، ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها إبراهيم مع الحقل ملك قبر من عفرون الحثي أمام ممرا.) [1]

ومن هذه الرواية نقبل منها إجمالاً صحة وفاة يعقوب عليه السلام في مصر عند ابنه يوسف عليه السلام وقد بلغ من العمر حسب الرواية التوراتية، وكذلك نقبل صحة وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه وجمعهم لذلك، ثم نقبل ما أفاده من نقل جثمان يعقوب عليه السلام إلى فلسطين ودفنه هناك في حقل عفرون في مدينة الخليل. [2] أما ما ورد من

(١) العهد القديم سفر التكوين الإصحاح ٤٩: ١-٣٣ و٥٠: ١-٢٦

(٢) مدينة بالقرب من بيت المقدس فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام،وهي تسمى حبرون أنظر معجم البلدان لياقوت الحموي.

مناحات أو وصايا خرافية لا معنى لها إلا أغراض عنصرية يهودية فلا نقبلها، وهي لا تليق بالفضلاء من الرجال فكيف بأنبياء الله عليهم السلام.

تلك هي ختام حياة يعقوب عليه الصلاة والسلام. وقد تبين لنا حسب الروايات المذكورة، أن موته كان في مصر وأن دفنه وقبره في فلسطين. ونلاحظ كذلك أن ما جاء في وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه، متقارب إلى حد ما من الناحية التاريخية، وإن كان من الناحية الموضوعية لا نصدق ما في التوراة من خرافات في هذه الوصية، والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.

الباب الثاني

نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن

وينقسم إلى فصلين

الفصل الأول:-

نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام من التوراة.

الفصل الثاني:-

نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام من القرآن الكريم.

الفصل الأول

نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام في التوراة.

وفيه ثلاث مباحث

المبحث الأول: إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام وما يناقضها من **التوراة وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: إثباته نبوته في التوراة.

المطلب الثاني: ما يناقض نبوته على الصلاة والسلام من التوراة **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: دعوى وصفه بالشرك.

المسألة الثانية: دعوى وصفه بالزنى والدياثة.

المسألة الثالثة: دعوى وصفه بالسرقة.

المسألة الرابعة: دعوى وصفه بالكذب.

المسألة الخامسة: دعوى وصفه بالمكر والخديعة والغش.

المسألة السادسة: دعوى وصفه بالخوف والجبن.

المبحث الثاني: دعوة يعقوب عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد في التوراة.

المبحث الثالث: بشارة يعقوب عليه الصلاة والسلام بخاتم الأنبياء.

المبحث الأول

إثبات نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام وما يناقضها من التوراة وفيه مطلبان

المطلب الأول: إثبات نبوته من التوراة.

قبل البدء في بيان نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام في التوراة، لابد لنا من توضيح لفظ النبوة والنبي في التوراة وبيان مفهومها، حتى يتسنى لنا النظر في الأدلة المثبتة لنبوة يعقوب عليه السلام في التوراة، لذا فإننا نرجع إلى أقوال أهل الكتاب لتوضيح معنى النبوة عندهم.

فقد اختلفت آرائهم حول معنى كلمة النبي، فمنهم من يرى أن النبي هو من يختاره الله ويوحي إليه ليحمل رسالته للناس، وهو يتكلم نيابة عن الله، فيما يرى البعض الآخر أن كلمة نبي تعني التنبؤ عن حوادث مستقبلية، أو حوادث ماضية مستترة، فان لم تصدق نبوءته فإنه لا يعد من الأنبياء).

فمن الفريق الأول يرى سبتينو موسكاتي:(أن النبي هو من يدعوه الله، ذلك لان الله يختار النبي ويوحي إليه ليحمل رسالته إلى الناس، والنبي يكرس نفسه كله لله ومن هنا كان يسمى في كثير من الأحيان رجل الله) [١] ويقول الكاتب ألبريت:

(النبي رجل أحس بأنه مدعو من الله لأداء مهمة خاصة تكون فيها إرادته خاضعة تماماً لإرادة الله، التي يتعرف إليها من خلال الوحي أو الإلهام، فالنبي أذن زعيم روحي ملهم ومكلف تكليفاً مباشراً من يهوه لتحذير قومه من الوقوع في الخطيئة، وبالدعوة إلى الإصلاح وبعث الدين الصحيح والأخلاق السليمة) [٢] وينفي بعض أنصار هذا الفريق أن تكون كلمة النبوة من التنبؤ عن الأحداث المستقبلية، فيقول المنصر فيليب:(إن النبوة لا تفيد معنى التنبؤ عن حوادث المستقبل، وإنما تعني الذي يتكلم نيابة عن يهوه) [٣]

ومنهم من يرى أن النبي لا بد أن يخبر عن حوادث المستقبل ويتنبأ بها، فإن لم تصدق نبوءته فإنه لا يعد من الأنبياء.

---

(١) Sabatino Moscati Ancient Semitic Civilization London وفي الترجمة العربية تحت عنوان (الحضارات السامية القديمة)

(٢) W.F. Aibr Rae London.Archaeology and the riligoon of Is

(٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ص٢٣١

فيقول الدكتور هاني رزق:(إن كلمة النبي إنما تعني التنبؤ، وهو الإعلان عن أحداث ماضية خفية أو مستترة أو أحداث مستقبلية، ويتحقق صدق نبوءته من كذبها بتحقيق هذه النبوءة وحدوثها من عدمه) (١)

على أن هناك فريقاً آخر يرى أن النبي من يتصف بكلا الوصفين فيذكر الأستاذ/ حبيب سعيد في تعريفه للنبوة بأنها:

(تحمل إلى الذهن معنيين: أولهما الإنباء بالمستقبل، وهو المعنى الذي قد يتسرب إلى الأفكار قبل سواه من المعاني، وإن يكن أقلها شأناً في معنى النبوة، قد يعيش ويموت دون أن ينبئ عن المستقبل شيئاً. وأما المعنى الآخر : فهو الإفضاء بالشيء والإفصاح عنه، وهذا هو معنى الكلمة في أصلها المأخوذ عن اليونانية، فالنبي هو النذير وهو المذيع هو الذي يعلن للملأ رسالة) (٢)

ولعل هذا القول هو الأقرب في تعريف كلمة النبي عند بني إسرائيل لأنها تتفق مع كلمة النبوة في التعريف، وكما أنها أشمل وأكمل في التعريف، بل إن هذا هو المتفق مع تتبع معنى هذه الكلمة في التوراة.فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس تحت عنوان لفظة نبي:-

("نبي أنبياء نبوة " النبي هو من يتكلم أو يكتب عما يجول في خاطره دون أن يكون ذلك الشيء من بنات أفكاره، بل هو من قوة خارجة عنه – قوة الله عند المسيحيين والعبرانيين والمسلمين وقوة الآلهة المتعددة عند عباد الأصنام الوثنيين-.

وعنت النبوة عند اليهود الإخبار عن الله وخفايا مقاصده، وعن الأمور المستقبلة ومصير الشعوب والمدن والأقدار بوحي خاص منزل من الله على فم أنبيائه المصطفين، وعرف العهد القديم عدداً كبيراً من الأنبياء.

والعهد القديم سجل للنبوات والأنبياء، وهو يعرف النبوة بالإنباء عن الحوادث المستقبلة "تك ١:٤٩ وعد ١٤:٢٤" التي يكون مصدرها الله "اش ٧:٤٤ و٢١:٤٥" وهو يصف الأنبياء بأنهم مقامون من عند الله "عا ٢:١١ ٩ "ومعينون منه "اصم ٣:٢٠ و ١:٥" ومرسلون من

(١) يسوع المسيح للدتور هاني رزق ص٢٠ طبعة القاهرة ١٩٧١م.

(٢) الأنبياء الأقدمون يتكلمون للأستاذ/ حبيب سعيد ص٦٠٥.

عنده "٢ أخبار ١٥:٣٦ وار ٢٥:٧" ويحذر العهد القديم من الأنبياء الكذبة "تث ٢٠:١٨ وار ١٥:١٤ و ١٥:٢٣ وعد ص ٢٢ وحز ١٧:١٣ -١٩" ويصفهم بأنهم يدعون بأنهم مرسلون من عند الله "ارص ٢٣" وانهم مرسلون من عند الله فقط لامتحان الشعب "تث ١٣) [١].

ففي ذلك التعريف لكلمة نبي يتضح بأن النبوة لها علامات ومميزات، منها أنهم يخبرون عن حوادث المستقبل، وكذلك نزول الوحي عليهم من عند الله، وأن الله هو الذي عينهم من عنده لتوجيه الناس إلى الخير، بخلاف الأنبياء الكذبة الذين حذر منهم.هذا من ناحية، واما من ناحية أخرى هل هذه الكلمة (نبي) دخيلة على العبرانيين ام لا؟ فيقول المنصر سيجال:

(جعل معظم الباحثين المحدثين أن الرائي القديم كان يخبر بما سيكون وينبئ بالغيب حسب علامات معروفة تلقى دلالاتها وتأويلاتها نقلاً عن سابقيه، أما النبي فكان شخصاً مختلفاً تمام الاختلاف، كان النبي ذا شطحات، صاحب حرارة ووجد روحاني، تصل به إلى حد التجرد عن المادة والانطلاق لوقت ما من مجال الحواس العادي، كان الروح يستولي عليه ويملا نفسه وجسده كما في حالة المس، وإذا هو تحت سلطان الروح قد رأى ما رأى وفعل ما فعل وقال ما قال، وهذه الحالة من الشطح في رأي أولئك الباحثين غريبة تماما عن طبيعة النفس السامية، وأصلها من آسيا الصغرى، ثم انتقلت من هنالك إلى سوريا فبلاد الكنعانيين، وعلى ذلك يكون التحول من الرائي إلى النبي قد جاء إلى بني إسرائيل من الخارج وبتأثير الكنعانيين.

فليس صحيحا أن النبي صاحب الشطحات دخيل على إسرائيل من الكنعانيين، وأن الكنعانيين أخذوه من آسيا الصغرى، فمن الممكن العثور على بقايا من حالة الشطح هذه لدى بعض الأمم السامية الأخرى، وإن كانت هذه البقايا قليلة نظرا لقلة المادة الأدبية التي حفظت لنا من هذه الأمم. ويبدو أن لفظ النبي خاص ببني إسرائيل فليست هناك نقوش تثبت وجوده في الكنعانية أو الفينيقية، ثم إن الفعل نبأ الذي اشتق منه الاسم

(١) أنظر قاموس الكتاب المقدس ص٩٤٩

نبي لا يوجد في عبرية العهد القديم في صورته الأساسية، أي الثلاثي المجرد، والفعل المستعمل للدلالة على عمل النبي في العهد القديم جاء في الصيغ المزيدة على زنة فعل وتفعل، وهي في الحقيقة صيغ مشتقة من الاسم نبي نفسه، وهذه الحقيقة تدعونا إلى الاعتقاد بأن الاسم نبي قديم جداً في العبرية الإسرائيلية، وأنه يصعد إلى ما قبل التاريخ من حياة بني إسرائيل. ولما كان هذا الاسم نفسه يميز عماداً حياً وفعالاً في حياة الأمة فإنه قد حفظ منذ تلك الحقب السحيقة، بعد أن نسي الفعل المجرد نبأ الذي اشتق منه مع توالي العصور التاريخية، وانتهى أمره واختفي من اللغة. وإذا كان ذلك كذلك فلا مجال للقول بأن النبي في موضع الرائي معنى استحدث في إسرائيل من أيام صمويل فقط، أو في أيام آخاب، إذ المعنى المستحدث يقتضي اسما مستحدثاً لا اسماً قديماً اختفى أصل اشتقاقه من اللغة منذ أجيال) [1]

وفي الواقع أن كلمة نبي ليست عبرية الأصل، فإن العلماء الأوربيين أنفسهم ومنهم جوستاف هولشر وشميدث وادلف لوذر وكلود سوربري، يتفقون على أن كلمة نبي عربية وليست عبرية في شكلها ومعناها، وأن أصل الكلمة سامي قديم موجود في الآكادية وينطق (Nabu) [2] بمعنى يدعو وعلى هذا فان كلمة النبي عربية لفظاًومعنى، عربية لفظاً لأن المعنى الذي تؤديه لا تجمعه كلمة واحدة في اللغات الأخرى، فهي تجمع معاني الكشف والوحي والإنباء بالغيب والإنذار بالتبشير، وهي معان متفرقة تؤديها اللغات الحديثة بكلمات متعددة. فالكشف مثلاً تؤديه في اللغة الإنجليزية Revelation، والوحي تؤديه كلمة Inspiration، واستطلاع الغيب تؤديه كلمة Divination أو Oracle، ولا تجتمع كلها في معنى النبوة كما تجتمع في هذا الكلمة باللغة العربية. وقد وجدت كلمة النبوة في اللغة العربية غير مستعارة من معنى آخر، لأن اللغة العربية غنية بكلمات العرافة والكهانة وما إليها من الكلمات التي لا تلتبس في اللسان العربي بمعنى النبوة، كما تلتبس في الألسنة الأخرى عن أصل التسمية واشتقاق المعاني الجديدة عن الألفاظ القديمة.

---

(١) حول تواريخ الأنبياء م-ص ٦٢-٦٩

(٢) للاستزادة أنظر بنو إسرائيل منذ عصر إبراهيم إلى عصر موسى عليهما السلام للدكتور/ محمد بيومي مهران ١/٢٨-٢٩

فكلمة النبي تدل على معنى واحد لا تدل على غيره، خلافاً لأمثالها من الكلمات في كثير من اللغات. (١)

فلفظة نبي وفكرة النبوة اذن قد جاءت في التراث الكنعاني قبل وجود التوراة بمئات السنين، مما يشير إلى اقتباسها من قبل كتبة التوراة. فالبابليون كانوا يطلقون على الأنبياء اسماً محدداً يتضمن هذا المعنى هو (موخوخو) وكذلك وجدت في ألواح ماري كلمة موخوخو بمعنى رسول الإله.(٢)

وعلى أي حال فان النبوة في التراث اليهودي بدأت في مرحلة متأخرة من الزمان، فهو ينظر إلى كل من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون على أنهم مجموعة من الآباء الإسرائيليين الذي تلقوا نوعاً من الوحي الإلهي، وقد أطلقوا عليهم اسم الآباء إشارة لارتباط نسبهم ببني إسرائيل. وجميع الشخصيات السابقة على موسى عليه السلام في التراث اليهودي كان يطلق عليهم لقب البطاركة أو الآباء، بما يعني أنهم كانوا بمثابة رؤساء وشيوخ لعشائرهم، وأن وظيفتهم كانت سياسية واجتماعية أكثر منها دينية، بل وكثيراً ما يضم التراث اليهودي موسى وهارون إلى مجموعة البطاركة (٣)

هذا هو تعريف النبي والنبوة عند بني إسرائيل، والمتأمل في سبب كثرة أنبياء بني إسرائيل يعلم شدة عناد هؤلاء القوم وعدم استجابتهم لأنبياء الله ورسله، حتى أرسل لهم هذا الكم الهائل من الأنبياء. وكذلك فإن تسميتهم لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بالآباء دون الأنبياء تسمية مرفوضة، إلا إذا قرنت بالنبوة فهي تسمية صحيحة، أي مثل قولنا عن إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء .

ومن هذا كله نخلص إلى أن المعنى المتفق عليه لكلمة نبي، هو أن النبي شخص مدعو من الله لتوصيل رسالة إلهية إلى قومه، وهذا هو المعنى الذي اعتمدته الترجمة

---

(١) للاستزادة أنظر حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد ص٩١-٩٢ طباعة بيروت ١٩٦٦م.

(٢) للاستزادة أنظر أوهام التاريخ اليهودي للأستاذ/جودة السعد ١٨١-١٨٢

(٣) للاستزادة أنظر ظاهرة النبوة الإسرائيلية للدكتور/محمد خليفة حسن محمد.

السبعينية حين استخدمت الكلمة اليونانية Prophetes للتعبير عن هذا المعنى، والكلمة تعنى حرفياً، شخص يتحدث نيابة عن الإله، وهي تفيد معنى الإخبار عن الله وعن الأمور الدينية، لاسيما عما سيحدث فيما بعد بشأن مصير الشعوب والمدن والأقدار، بوحي خاص من الله إلى أنبيائه المصطفين الأخيار.

فيعقوب عليه الصلاة والسلام هو أحد الأنبياء المعترف بهم عند بني إسرائيل، بل هو من الآباء الأنبياء، وقد وردت في التوراة دلالات عدة على نبوته عليه الصلاة والسلام هي مجال بحثنا هنا، ومن أهم هذه الدلالات ما يلي:-

الدلالة الأولى: النص الصريح من الله على نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام

جاء في المزامير:

(فتثبته ليعقوب فريضة، ولإسرائيل عهدا أبديا، قائلا لك أعطي أرض كنعان حبل ميراثكم، إذ كانوا عدداً يحصى، قليلين وغرباء فيها، ذهبوا من أمة إلى أمة من مملكة إلى شعب آخر، فلم يدع إنساناً يظلمهم بل وبخ ملوكاً من أجلهم قائلاً: لا تمسوا مسحائي ولا تسيئوا إلى أنبيائي) (١).

فالله عز وجل قد كلم يعقوب عليه السلام ونص على تسميته بالنبي.

وفسر صاحب السنن القويم هذا النص السابق قائلاً:-

(وبعد إسحاق يأتي يعقوب أيضاً، الذي اسمه إسرائيل لأنه صارع مع الله باقتدار، فهذا العهد دائم لا يتغير بتغيير الأشخاص، والمهم في ذلك ليس الإنسان بل الله الذي يتكلم لكي يضفي إليه البشر جميعهم، كانوا بلا شأن ضعفاء لا يعتد بهم، وقد اضطروا إلى أن يبقوا متجولين لا يستقرون في مكان واحد معين، فذهبوا من مملكة إلى مملكة، وتعرفوا بشعب بعد شعب، وكان الله معهم وحارسهم على الدوام، فلم يدعهم مظلومين لأنه هو الذي حماهم وقواهم وساندهم وهداهم، حتى أن الملوك أنفسهم لم يستطيعوا أن يعتدوا عليهم ويسحقوهم بل عضدهم بيمينه ونجاهم من ذلك لأن منهم خرج المسحاء أي الممسوحين بيد الله القدير، ليدعوا شعب الله وليقودوه في طرق الحق والحياة،

(١) سفر المزامير ١٠٥: ١٠-١٥

ومنهم خرج الرؤساء والقادة والأنبياء، لذلك احتاجوا إلى القدرة الإلهية حتى لا ينخذلوا في مهمتهم الخطيرة هذه، هم مسحاء لأنهم مختارون، وهم أنبياء لكي يتكلموا بعظائم الله ويخبروا عن عجائبه) (١)

ففي هذا دلالة صريحة ونص واضح على أن يعقوب عليه الصلاة والسلام من المصطفين الأخيار والأنبياء الأبرار، عليه أفضل الصلاة والسلام.

الدلالة الثانية: النص الصريح من النبي السابق له على نبوته

جاء في سفر التكوين:-

(والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ويكثرك، فتكون جمهوراً من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك. لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم...) (٢)

فهذا النص هو كلام نبي الله اسحق ابن نبي الله إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وجهه لولده يعقوب عليه السلام وقد بين فيه ماذا سيكون من شأنه في المستقبل، وقد جاء في دعاءه أن الله يعطيه ما كان لإبراهيم عليه السلام، ومن أهم ما كان لإبراهيم أمر النبوة، ولذا فقد جاء في تفسير السنن القويم قوله:-

(الله القدير لما كان قصد إسحاق أن يثبت ليعقوب الوعد الذي كان لإبراهيم، اعتنى بأن يصف الله بالصفة التي وصف بها نفسه يوم وعد إبراهيم بأرض كنعان، وقطع معه عهد الختان) (٣).

وعهد الختان هو مثل ما كان لإبراهيم يكون ليعقوب عليه السلام.

فهذا النص صريح من إسحاق النبي عليه الصلاة والسلام، في دعوته لابنه يعقوب عليه الصلاة والسلام، وبيان أنه مبارك من الله، وأن الله سيعطيه مثل ما أعطى أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، واعظم ما أعطاه الله لإبراهيم النبوة ولا شك، فهذه دعوة ومباركة ليعقوب عليه السلام من أبيه اسحق عليه الصلاة والسلام،ودعاء الأنبياء حق،

(١) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٣٤٢/٦.

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٢٨: ٣-٥.

(٣) السنن القويم في تفسير العهد القديم ١٨٩/١

ففي هذا نوع من التصريح من نبي الله إسحاق إلى يعقوب عليهم الصلاة والسلام بالنبوة.

الدلالة الثالثة: أخذ البكورية من الأنبياء :-

إن أخذ البكورية من الأنبياء عند بني إسرائيل تعني أخذ خصائص النبوة وميزاتها، فقد جاء في سفر التكوين:

(وطبخ يعقوب طبيخاً فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا، فقال عيسو ليعقوب أطعمني من هذا الأحمر لأني قد أعييت، لذلك دعي اسمه أدوم، فقال يعقوب بعني اليوم بكوريتك، فقال عيسو هاأنا ماضٍ إلى الموت، فلماذا لي بكورية، فقال يعقوب احلف لي اليوم، فحلف له فباع بكوريته ليعقوب.) [١]

فكانت البكورية هذه عند اليهود ميراثاً روحياً يعطى صاحبها أياً كان عدة امتيازات يمتاز بها الابن البكر عن بقية اخوته، منها أنه يكون مكرساً للرب ومستودعاً للأسرار الإلهية، ومكلف بنقلها إلى البشرية، ومنها حق وراثة مواعيد اليهود التي قطعها الرب لإبراهيم عليه السلام، ومنها نيابة الابن البكر عن أبيه في البيت عند غيابه، ومنها أن يعطى نصيباً واحداً زائداً عن اخوته في الميراث. فنرى أن للبكورية شأن واعتبار كبير عند اليهود، فإنهم كانوا يلقبون كل كبير الأهمية بالبكر، وفي هذا المعنى ينص القس ماير قائلاً:-

(البكورية كانت ميراثاً روحياً، كانت تعطى صاحبها أياً كان الحق في أن يكون كاهن الأسرة أو العشيرة، وكانت تتضمن هذا الامتياز وهو أن يكون صاحبها مستودع الأسرار الإلهية وناقلها إلى البشرية) [٢]

وجاء أيضاً في كتاب السنن القويم :-

(فكان يعقوب يتقدم يوماً فيوماً في سفره ويبعد عن بيت أبيه مهتماً بالبكورية التي طمع بها كل الطمع، فكان نصيبه أن كرر له الوعد الذي كان لإبراهيم) [١]

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٩: ٢٥-٣٣

(٢) حياة يعقوب للقس ماير ص ١٩

فمن هنا نعلم أن البكورية تعني عند اليهود الميراث الروحي الذي يطلع الإنسان به على مستودع الأسرار الإلهية ويوجهها إلى البشر، وما هذا إلا تعريف للنبوة في أحد معانيها التي مرت معنا من قبل. وقد جاء في هذا النص أن يعقوب قد أخذ البكورية من أخيه عيسو بالتنازل عنها و انتقالها له، فهو بذلك يأخذ حق النبوة من أخيه. فالبكورية دليل من دلائل نبوة يعقوب عليه السلام عندهم، والله اعلم.

الدلالة الرابعة: طريق الالتقاء بين الأرض والسماء هو الوحي المنزل على الأنبياء.

قبل البدء في الحديث عن وحي الله لنبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام، لا بد من بيان طرق الوحي في العهد القديم وهي كثيرة ولكن من أهمها:

الطريق الأول: الوحي بكلام الله المباشر للنبي.

جاء في سفر الخروج ما نصه:-(دعا الرب موسى وكلمه من خيمة الاجتماع) [٢]

هذا النص يشير إلى طريقة من طرق الوحي عند بني إسرائيل، فكان الوحي يصل إلى الموحي إليهم عن طريق الكلام المباشر لهم، وهذا الكلام يكون من الرب ذاته، والأمثلة على هذا الطريق من الوحي كثيرة في العهد القديم، والقسط الأكبر منها لموسى عليه السلام كما هو معروف عنه أنه كليم الله.

الطريق الثاني: الوحي بطريق الرؤى والأحلام.

وبموجب هذه الصورة من الوحي، كان الله يوصل وحيه إلى أنبيائه عن طريق الأحلام، كما حصل مع يوسف عليه السلام، أو عن طريق مخاطبته تعالى للشخص في نومه، كما حصل مع إبراهيم عليه السلام. والذي يتفقد العهد القديم "التوراة" يرى أن الرؤيا كانت هي سبيل الوحي لأغلب أنبياء بني إسرائيل.

الطريق الثالث: الوحي عن طريقة الملائكة.

فقد يكون المتكلم من ملائكة الله، وظهور الملائكة في صور بشرية تلتقي بالبشر وتخاطبهم وتبلغهم وحي الله كانت من أكثر وسائل الوحي شيوعاً عند بني إسرائيل،

---

(١) السنن القويم في تفسير العهد القديم ١٩١/١

(٢) العهد القديم سفر الخروج ١١:٣٣

وكذلك كان الحال مع إبراهيم ويعقوب ودانيال، الذي تكفل بتعليمه جبريل، وكذلك غيرهم من الأنبياء.

الطريق الرابع: سماع الهاجس أو الصوت الغريب.

وهو أن يسمع الموحي إليه صوتا يناديه فلا يعلم مصدره إلا عن طريق واحد ممن يقرأون الكتاب، ويعرفون طرق الوحي. حدث ذلك مع صموئيل الذي كان حبيبا يخدم بيت الرب مع الكاهن عالي، كما جاء في سفر صموئيل الأول الإصحاح الثالث.

الطريق الخامس: سماع صوت الملك من نور في السماء.

قد يرى العبد في السماء نورا أو نارا ثم يسمع منها ملاك الرب، كما حصل لموسى من أمر العليقة، كما جاء في سفر الخروج الإصحاح الثالث.

الطريق السادس: سماع صوت الوحي بعد عواصف ونحوها.

قد تحدث بعض الأمور المزعجة كشدة ريح وزلزلة وبعض العواصف والزوابع، وقد تلمع بعد ذلك نار يليها أصوات خفيفة، ثم يسمع صوت الوحي وقد حدث ذلك لإيليا وحزقيال، كما في سفر حزقيال الإصحاح الأول، والملوك الإصحاح التاسع عشر، وغيرها.

الطريق السابع: الإلهام أو الاعتماد الذي يخرج الإنسان عمن حوله.

بهذه الطريقة تستولي على العبد القوة الإلهية، وتستخدمه في النطق بالوحي المقصود، سواء بطريقة إرادية واعية أو بطريقة غير إرادية.

ومن النوع الأول- وهو الإرادي- كما حصل من وحي الله تعالى إلى ارميا وبولس وغيرهما. أما النوع الثاني- غير الإرادي- فتمثل له حالة بلعام وشاول وقياثا وغيرهم من الأدعياء، كما في سفر صموئيل الأول الإصحاح التاسع عشر، وسفر العدد الإصحاح الحادي عشر،

وغيرها. [1] فهذه هي طرق الوحي عند بني إسرائيل كما جاءت في العهد القديم، وبعضها متقارب جداً كما رأينا.

ويعقوب عليه السلام هو أحد الأنبياء الذين تلقوا وحي الله بأشكاله المتعددة، فمن طرق الوحي التي حصلت ليعقوب عليه الصلاة والسلام التكليم المباشر من الله له، فقد جاء في العهد القديم:-

(ثم قال يعقوب قم اصعد الى بيت ايل واقم هناك واضع هناك مذبحا لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو اخيك) وايضا قوله(وظهر الله ليعقوب ايضا حين جاء من فدان ارام وباركه وقال له الله اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك اسرائيل فدعا اسمه اسرائيل وقال له الله انا الله القدير... ثم صعد الله عنه في المكان الذي فيه تكلم معه). [2]

ومن طرق الوحي التي حصلت ليعقوب كذلك، تمثل الملائكة له في صورة إنسان يبلغه وحي الله، فقد جاء في العهد القديم:-

(فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال: لا أطلقك إن لم تباركني، فقال له: ما اسمك ، فقال: يعقوب ، فقال: لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت) [3]

ومن طرق الوحي التي حصلت ليعقوب عليه السلام كذلك الرؤيا في المنام، فقد جاء في العهد القديم:-

(فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال: يعقوب يعقوب. فقال: هاأنذا، فقال: أنا الله إله أبيك، لا تخف من النزول إلى مصر، لأني أجعلك أمة عظيمة هناك، أنا انزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضاً،ويضع يوسف يده على عينيك) [1]

---

(١) للاستزادة أنظر:- الكتاب المقدس- العهد القديم/ مجموعة حقائق كتابية برسوم ميخائيل/ الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام لأحمد عبد الوهاب/ الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف للدكتور يحيى محمد علي ربيع وغيرها.

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٣٥: ١-٢ و ٣٥: ٩-١٥.

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٣٢: ٢٤-٢٨.

فهذه النصوص وغيرها دليل على الوحي الذي يأتي إلى نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام. فمرة يأتي في المنام، ومرة يأتي على شكل إنسان، وأخرى يكون بكلام الله المباشر له عليه الصلاة والسلام، فهذه الصور جميعاً من الوحي المثبت لنبوة يعقوب عليه السلام.

وقد أكد مؤلفو كتاب السنن القويم طرق الوحي هذه ليعقوب عليه السلام، فقالوا:

(ولم يكن ليعقوب يسمع صوت الله لكنه كان إيمانه به يقوى دائماً، حتى كرر الله له الوعد الذي وعده لإبراهيم، فرأى في الحلم سلماً من الأرض إلى السماء يبين له أن الاتصال بين الأرض والسماء قد تم، وأن بينهما طريقاً، وهوذا الرب واقف عليها، أي أن الرب كان على رأس السلم، والوقوف هنا كالذي في ص ١٣:٣٤ ويدل على أن الرب لم يكن هنالك اتفاقاً بل إن ذلك موضعه الدائم، ثم أثبت يهوه من سمائه ليعقوب كل المواعيد التي أعلنها منذ أيام ترك إبراهيم لاور الكلدانيين) [٢].

وقالوا أيضاً:-

(إنسان أي ملاك في صورة إنسان "هو ٤:١٢" وحكم يعقوب نفسه بأنه شخص إلهي "ع ٣٠" فظهر الملاك ليعقوب هنا كما ظهر لهاجر في ص ١٣:١٦ وليس هنا من إشارة إلى أن ذلك الإنسان كان الإله المتجسد، فالظاهر أنه لم يكن سوى ملاك ظهر في هيئة إنسان، كما ظهر الملاك لنوح "قض ٢٢:١٣" لكنه دل على حضور الله ومداخلته في أمر يعقوب) [٣]

ففي هذه النصوص دلالة ظاهرة على أن يعقوب عليه السلام كان يأتيه وحي الله بصور المتعددة، مما يدل على نبوته عليه الصلاة والسلام.

الدلالة الخامسة : دعوة الأنبياء إلى التوحيد والعبادة لله عز وجل وحده.

إن دعوة الأنبياء واحدة في أصلها وفي مضمونها، وهي نبذ الشرك، والإخلاص في العبادة لله وحده، وهذه الدعوة سار عليها جميع الأنبياء من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى خاتمهم محمد ﷺ. ولذا نجد أن يعقوب عليه الصلاة والسلام قد سار على

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٤٦: ٢-٤

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ١/ ١٩١

(٣) السنن القويم في تفسير العهد القديم ١/ ٢١٠

هذا النهج الإلهي في الدعوة إلى توحيد الله، فنجد أن نصوص التوراة تبين دعوة يعقوب عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد الخالص. فقد جاء في سفر التكوين:-

(وقال يعقوب: يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحاق، الرب الذي قال لي ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فاحسن إليك، صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك، فإني بعصاي عبرت هذا الأردن والآن قد صرت جيشين، نجني من يد أخي من يد عيسو، لأني خائف منه أن يأتي ويضربني الأم مع البنين، وأنت قد قلت أني أحسن إليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذي لا يعد للكثرة) [1]

وفيه أيضاً:-

(ثم قال الله ليعقوب: قم اصعد إلى بيت أيل وأقم هناك واصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك، فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم، ولنقم ونصعد إلى بيت أيل فأصنع هناك مذبحاً لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي، وكان معي في الطريق الذي ذهبت فيه. فأعطوا يعقوب كل الآلهه الغريبة التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم، فطمرها يعقوب تحت البطمة التي عند شكيم، فنصب يعقوب عموداً في المكان الذي فيه تكلم معه عمودا من حجر وسكب عليه سكيباً وصب عليه زيتاً، ودعا يعقوب اسم المكان الذي فيه تكلم الله معه بيت أيل) [2].

وقد جاء في تفسير العهد القديم لهذه النصوص ما نصه:

(قال يعقوب، صلاة يعقوب وهي أول صلاة ذكرها الكتاب بنصها تستحق التأمل لما فيها من امتزاج شدة الشوق والحرارة بالبساطة، فإنه بعد أن دعا الله بإله آبائه "الوهيم آبائه" دعاه الرب "يهوه" الذي دعاه، المعنى رجوع المعنى أرض ميلاده، وبعد

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٢: ٩-١٢.

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٣٥:١-١٥.

أن اعترف وبانه لا يستحق إلتفاته إليه أعلن أنه جاد عليه كثيراً وصلى له بشوق الى الإنقاذ، وابان ما كان يخشاه بكلام يحزن القلوب) [١]

وجاء فيه أيضاً:-

(وأقام هناك مذبحاً، كان إبراهيم قد بنى مذبحاً في جوار الموضع الذي بنى فيه يعقوب مذبحاً "ص ٧:١٢" فيعقوب حذا حذو جده، وكان بعض الغاية من بناء هذا المذبح الشكر على رجوعه سالماً وملكه تلك الأرض وبعضها وهو الأعظم، الاعتراف بإيمانه وبنسبته المعنى لله، وهذا مدلول اسم المذبح آل الوهيم إسرائيل، أي الله إله إسرائيل ولم يستعمل هنا اسم الرب يهوه لا اسم المذبح الذي بني حينئذ، المعنى بدل اسمه يعقوب أي أمير مع آل أي الله.

الآلهه الغريب، لعله كان غير ترافيم راحيل كثير من الأصنام التي جاء بها رجال يعقوب من حاران لأنهم كانوا وثنيين، ولا ريب في أن كثيراً من العبيد والإماء الشكيميين كانوا يعبدون الأوثان، لأن أهل شكيم وثنيون. وكان ما سأله يعقوب من قصده أن يرفع إلى مقام عال من المقامات الروحية والدين الحق.

طهروا وأبدلوا ثيابكم، كان ذلك من الرموز إلى طهارة القلب، وكان مما يرغب في قداسة الوجدان.الأقراط، يظهر من هذا أن القصد الأعظم من لبس تلك الأقراط غير الزينة، بعض الأمور الخرافية كاعتبارهم إياها عوذا وأحرازاً، ولذلك سبك هارون العجل من الأقراط "خر ٣:٣٢-٤" وهذا يعد من العبادة الوثنية لأنه اعتماد الجماد واقياً والاتكال عليه) [٢]

فمن هذه النصوص التي مر ذكرها[٣]،يظهر جلياً أثر دعوة يعقوب عليه السلام إلى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك بجميع صوره ،وتصحيح مفهوم الألوهية لأهل

(١) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٠٨/١

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٠٨/١

(٣) للمزيد في تتبع هذه النصوص نجد العشرات الدالة على سلامه منهجه فعلى سبيل المثال لا الحصر أنظر تك ١٣:٢٨-١٥ ، ١٨-١٩ ، ٢٠ وأيضاً ٣١:٢٩ -٣٥ وأيضاً ٣٠،٢٧:٢:٣٠ وأيضاً ١٣:٣١،٣٨-٤٠

بيته وتعليمهم وتربيتهم على الإيمان بالله، وتسميتهم أسماء تدل على الارتباط بالله عز وجل.وتظهر جهوده عليه السلام في نشر العقائد الصحيحة، كما نرى تأثيره على خاله لابان في توضيح عقيدة الإيمان بأنه لا رازق ولا منعم في هذا الكون إلا الله. وكذلك اهتمامه عليه السلام بإقامة دور العبادة لله، ثم سن الشرائع كالطهارة والزكاة والختان وتحريم الزنا بالإضافة لتربية النفوس على أعمال القلوب وارتباطها بالله عز وجل، وغير ذلك مما يفهم من هذه النصوص.

فدعوة يعقوب عليه السلام ولا شك، هي دعوة لدين الإسلام الذي هو نهج جميع الأنبياء والمرسلين، وهذا من دلائل نبوته عليه السلام. وسوف نتحدث عن هذا الأمر في المبحث القادم بشيء من التفصيل إن شاء الله.

الدلالة السادسة: سنة الابتلاء للأنبياء وتمحيصهم لنيل الدرجات العلا.

إن حياة يعقوب عليه الصلاة والسلام مليئة بالابتلاءات والمحن التي أقرت بها التوراة، وهذه السنة معروفة في سير الأنبياء والمرسلين. ولا شك أن أشد الناس بلاءً هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والذي اطلع على حياة يعقوب عليه الصلاة والسلام يعلم علم اليقين أنه تحمل من الابتلاءات والمحن ما يعجز عنه كثير من الناس. ففي قصة هروبه من أخيه عيسو ورحيله إلى خاله لابان ابتلاء وتمحيص له عليه الصلاة والسلام، أما قصته عند حاله لابان ، وما حصل له مع شكيم بن حمور وقومه ، وكذلك في قصة فقد ابنه يوسف عليه الصلاة والسلام، دليل على شدة ما أصيب به هذا النبي الكريم من بلاء ومحن، فقد جاء في سفر التكوين قوله:

(فقال لهم يعقوب أعدمتموني الأولاد، يوسف مفقود، وشمعون مفقود، وبنيامين تأخذونه، صار كل هذا علي. وكلم راوبين أباه قائلاً: اقتل ابني إن لم أجئ به إليك،

وأيضاً ٣٢:٩-١١ ، ٣٠ وأيضاً ٣٣:٥، ٢٠ وأيضاً ٣٤:٧، ١٥ وأيضاً ٣٥:٣، ٧،١٤ وأيضاً ٣٩:٩ وأيضاً ٤٣:١٤، ٢٣ وأيضاً ٤٤:٣١ وأيضاً ٤٦:١-٤ وأيضاً ٤٧:٣١ وغيرها كثير لمن أراد المزيد

سلمه بيدي وأنا أرده إليك، فقال: لا ينزل ابني معكم، لأن أخاه قد مات وهو وحده بلق، فإن أصابته أذية في الطريق التي تذهبون فيها تنزلون شيبتي بحزن إلى الهاوية).[1]

فهذا النص وغيره دليل ظاهر على مدى الابتلاء الذي أصيب به يعقوب عليه الصلاة والسلام، ولا شك في أن طريق الأنبياء مليء بالمحن والعقبات التي لها أثر كبير في تمحيص وتنقية أولئك الرجال الأصفياء الأخيار في سيرهم إلى الله عز وجل. كما حصل ذلك لآدم ونوح وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وغيرهم ممن سبق يعقوب عليه الصلاة والسلام في طريق النبوة وان كانت هذه الدلالة لا تصل الى حد الدليل القاطع علىالنبوة اذا كانت لوحدها لكن اذا قرنت بغيرها كانت قرينة ودليلاً على صدق النبوة.

الدلالة السابعة: ظهور المعجزات على أيدي الأنبياء من علامات النبوة.

إن الأنبياء الذين اختارهم الله عز وجل لرسالته يحتاجون لإثبات صدقهم وصحة منهجهم إلى الأدلة الحسية التي تقنع البشر لقبول ما جاءوا به من عند الله عز وجل، ولذا فإن الله عز وجل يؤيدهم بأنواع من البراهين والأدلة التي تعينهم في تبليغ رسالة ربهم، وهي ما يسمى بالمعجزات.والمعجزات هي ظهور الأمر الخارق للعادة يجريه الله على يد من يختاره لنبوته ليدل على صدقه وصحة رسالته، ليعجز الخصوم عند التحدي. وقد أيد الله نبيه يعقوب عليه السلام بالمعجزات كغيره من الأنبياء. فمن معجزاته مباركة الله له في نماء أغنامه وأمواله عند خاله لابان، وهذه البركة تظهر بشكل يختلف عن سائر الناس، كما حصل ذلك لنبينا ﷺ مرات كثيرة، كتكثير الطعام القليل ببركته عليه الصلاة والسلام.[2] ومن معجزات يعقوب عليه السلام أيضاً، نزول الخوف والرعب على قلوب الناس الذين يسكنون حوله في أرض الكنعانيين، وذلك كما حصل في حادثة قتال أبناء يعقوب لقوم شكيم

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٦:٤٢-٣٨

(٢) حادثة تكثير الطعام ببركة النبي عليه الصلاة والسلام قد تكررت مراراً في حياته عليه السلام، وهي مروية في الصحيحين وغيرهما.أنظر صحيح البخاري،باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حديث رقم ٤/٦٠٨٧. صحيح مسلم، باب استحباب الاجتماع على الطعام برقم ٣/٢٠٤٠.

بن حمور. فهذا الخوف والمهابة ليعقوب عليه السلام، لا شك أنها معجزة من الله، لا سيما مع من ليس عنده مقومات الرعب في قلة عدده وعتاده.

فقد جاء في سفر التكوين :-

(ثم رحلوا وكان خوف الله على المدن التي حولهم فلم يسعوا وراء بني يعقوب) [١]

وجاء في تفسير هذا النص:

(خوف الأصل العبراني يعني الخوف العظيم وكان العبرانيون بالنظر إلى دينهم ينسبون كل عمل عجيب إلى الله) [٢].

فهذا الرعب الذي قذفه الله في قلوب خصوم يعقوب يدل على تأييد الله عز وجل لنبيه يعقوب عليه السلام، وهو نوع من المعجزات والله أعلم.

الدلالة الثامنة: التبشير والتنبؤ بالمستقبل من علامات النبوة.

انفرد الله وحده بعلم الغيب، ولكن الله قد يطلع أنبياءه المقربين على بعض من علوم الغيب تأييدا لهم وتصديقا لرسالتهم ونبوتهم. وهذا ما حصل ليعقوب عليه السلام كما تحكي التوراة، فقد تنبأ عليه السلام بأمرين غيبيين هما:

الأول: عودة بني إسرائيل من مصر ورجوعهم إلى أرض الكنعانيين مرة أخرى. فقد جاء في سفر التكوين:

(وقال إسرائيل ليوسف: ها أنا أموت ولكن الله سيكون معكم ويردكم إلى أرض آبائكم وأنا قد وهبت لك سهما واحدا فوق اخوتك أخذته من يد الأمور بين بسيفي وقوسي)[٣]

ففي هذا النص تصريح يعقوب عليه الصلاة والسلام في أن بني إسرائيل سيرجعون إلى أرض الكنعانيين – فلسطين- بعد مكثهم في بلاد مصر، وقد حصل ذلك بالفعل.

الثاني: وصية يعقوب عليه الصلاة والسلام لأبناءه وتنبئه بمستقبلهم.[٤].

فمن أبرز ما تنبأ به يعقوب عليه الصلاة والسلام لابنه يهوذا بأن مملكته التي ستقوم ستنتهي بخروج شيلوه الذي يملك الدين والدنيا معا، وقد حصل هذا الأمر فعلا على

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٥:٥

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢١٧/١

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٤٨: ٢١-٢٢

(٤) العهد القديم سفر التكوين ٤٩: ١-٣٣

خلاف في تفسير المقصود بشيلوه، وبمثل تلك البشارات الغيبية يتضح لنا صدق نبـــوة يعقوب عليه الصلاة والسلام، وأنها علامة من علامات نبوته .

تلك هي أهم الأدلة المثبتة لنبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام في التوراة، والله أعلم.

المطلب الثاني: ما يناقض نبوته عليه الصلاة والسلام من التوراة

وفيه مسائل

المسألة الأولى: دعوى وصفه بالشرك.

المسألة الثانية: دعوى وصفه بالزنى والدياثة.

المسألة الثالثة: دعوى وصفه بالسرقة.

المسألة الرابعة: دعوى وصفه بالكذب.

المسألة الخامسة: دعوى وصفه بالمكر والخديعة والغش.

المسألة السادسة: دعوى وصفه بالخوف والجبن.

المسألة الأولى: دعوى وصفه بالشرك.

إن المطلع على العهد القديم ليرى العجب العجاب بما يحتويه من وصف للأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فقد وردت فيه أوصاف شنيعة تناقض مناقضة سافرة لمقام النبوة العظيم، وهذه الأوصاف ليست إلا دعاوى لا أساس لها من الصحة لا يمكن أن تثبت بدليل صحيح، وأنبياء الله منزهون عن مثل هذه النقائص والافتراءات.

ومن هذه الدعاوى الباطلة وصف نبي الله يعقوب عليه السلام بالشرك والكفر بقضاء الله وقدره، فقد جاء في سفر التكوين:

(انك لا تذل بناتي ولا تأخذ نساء على بناتي، ليس إنسان معنا أنظر الله شاهد بيني وبينك، وقال لابان ليعقوب: هوذا هذه الرجمة وهوذا العمود الذي وضعت بيني وبينك، شاهدة هذه الرجمة وشاهد العمود، أني لا أتجاوز هذه الرجمة إليك، وأنك لا تتجاوز هذه الرجمة وهذا العمود إلى الشر، إله إبراهيم وآلهة ناحور آلهة أبيهما يقضون بيننا، وحلف يعقوب بهيبة أبيه إسحاق) [1] وجاء فيه أيضاً:

(ثم قال الله ليعقوب: قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك وأصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك، فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه: اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم، ولنقم ونصعد إلى بيت إيل فأصنع هناك مذبحاً لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي وكان معي في الطريق الذي ذهبت فيه، فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم، فطمرها يعقوب تحت البطمة التي عند شكيم) [2]

وبالنظر إلى هذه النصوص يتبين لنا بأن يعقوب عليه السلام يحلف بهيبة أبيه إسحاق، والحلف بغير الله شرك، خاصة إذا كان في مقام التعظيم، مثل أخذ العهود على ذلك كما هو في النص الأول. وكذلك يفيد هذا النص بأن يعقوب عليه السلام لم ينكر على خاله

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣١: ٥٠-٥٣.

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٣٥: ١-٤.

لابان حلفه بالأصنام، بل جعلها في العهد الذي أبرمه مع خاله، فكأنه نوع من الإقرار على تعظيم هذه الآلهة والعياذ بالله.

وأما النص الثاني يبين أن يعقوب عليه السلام قد أنكر على أهل بيته عبادة هذه الأصنام أو الاحتفاظ بها. ولكننا نتساءل عن الفترة الزمنية التي سبقت هذا الإنكار من يعقوب عليه السلام. فهل كان راضياً بالشرك في أهله حتى ناداه ربه سبحانه وتعالى؟ ولماذا أخر يعقوب الإنكار إلى هذا الوقت، فهل يجوز تأخير البيان عن وقت وقوع المنكر؟

وبالطبع فإن مثل هذه الأسئلة تجعلنا نعلم بأن من كتب هذه التوراة، قد افترى على نبي الله يعقوب عليه السلام، واتهمه بالرضى في وقوع الشرك في أهله، وذلك غاية في الضلال.

وجاء ايضاً في الإصحاح السابع والثلاثين من السفر نفسه:

(فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة. فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال: إني أنزل إلى ابني نائحاً إلى الهاوية وبكى عليه أبوه). (١)

فإذا كان النص السابق قد نسب ليعقوب عليه السلام الرضى بوقوع الشرك في أهله، فإن هذا النص قد نسب ليعقوب بذاته وقوعه في أفعال الجاهلية، من الاعتراض على قضاء الله وقدره التي لا تليق بمثله عليه الصلاة والسلام. ومثل هذه الروايات قد تكررت مراراً في العهد القديم.

ولا شك أن هذا الوصف الخطير لنبي الله يعقوب عليه السلام، بالاعتراض على قضاء الله وقدره، يتعارض مع مبادئ الاعتقاد الصحيح المبنية على الرضا بقضاء الله والصبر على بلاءه، ونبي الله يعقوب منزه عن هذا، بل إن أنبياء الله عليهم السلام، هم أشد الناس إيماناً بقضاء الله وقدره، وامتثالاً لأمره سبحانه وتعالى.

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٧: ٣٤-٣٦

ثم إن التوراة تذكر أن الله قد تراءى للابان في الحلم مع أنه وثني، وقال له: احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر. ثم لحق لابان بيعقوب ليسترد أصنامه التي سرقتها ابنته راحيل زوج يعقوب، وقطع معه عهد سلام يكون إله إبراهيم شاهده، وآلهة ناحور قاضية فيما يشجر بينهم من خلاف في تنفيذ هذا العهد.

فلسنا ندري كيف جاز أن يتراءى الله في المنام الوثنيين؟.ثم كيف جاز لهم أن يدعوا قداسة هذه النصوص التي تجمع بين إله إبراهيم وآلهة ناحور في القضاء بأي خلاف يشجر بين يعقوب ولابان في تنفيذ العهد، ثم لا نجد أي إنكار من يعقوب عليه السلام لكلام لابان الذي ساوى فيه بين آلهه ناحور وإله يعقوب!! ولا شك أن هذه الرواية الباطلة تدل على آثار الوثنية التي تسربت إلى قلوب الذين حرفوا التوراة وأشربوا في قلوبهم حب الشرك، فنسبوه إلى يعقوب عليه السلام.

ثم تزعم الرواية بأن راحيل وهي زوجة نبي وأم نبي، قد سرقت أصنام أبيها وخبأتها في خداجة هودج الجمل وجلست عليها، وادعت كذباً على أبيها أنها لا تستطيع النهوض لأن عليها عادة النساء. فهل يعقل أن تكون راحيل زوجة يعقوب وأم الصديق يوسف عليهما السلام، ما تزال على الشرك وقد مضى على زواجها من يعقوب عدة سنوات.

فهذه النصوص التي مرت بنا تجعلنا نتساءل، لماذا يصف اليهود نبي من أعظم أنبيائهم بل هو أبو الإسرائيليين جميعاً، بهذه الأوصاف الشنيعة التي تتناقض مع مبدأ النبوة القائم على توحيد الله عز وجل ونفي الشركاء عنه والرضى بقضاء الله وقدرة.

فلا شك أن كتبة التوراة قد ناقضوا أنفسهم فيما وصفوا به نبي الله يعقوب عليه السلام حين نسبوا له الشرك والكفر بالله، وأنه عليه الصلاة والسلام بريء مما وصفه به هؤلاء المفترون.

المسألة الثانية: دعوى وصفه بالزنى والدياثة.

إن الالتزام بالأخلاق الفاضلة والدعوة إليها من أهم ما جاءت به الرسل و الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولذلك كانوا الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة لأممهم في الطهارة وحسن الخلق، ولا شك أن أنبياء الله هم اعظم الناس خلقاً وأحسنهم صفاتاً وأبعدهم عن الرذائل والفواحش كالزنا والدياثة وغيرها.

وان أي وصف لأنبياء الله بهذه الأوصاف الخبيثة إنما يتناقض تناقضاً تاما مع ما أسند إليهم من رسالة ومسؤوليات عظيمة لهداية البشر. إلا أن كتبة التوراة لا يتورعون عن وصف نبي الله يعقوب وبنيه بالأخلاق الفاسدة، فقد جاء في سفر التكوين:

(فقال يعقوب لشمعون ولاوي كدرتماني بتكريهكما إياي عند سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين وإنا نفر قليل فيجتمعون علي ويضربونني فأبيد أنا وبيتي، فقالا أنظير زانية يفعل بأختنا) [1].

فهذا النص يشير إلى إنكار يعقوب على ابنيه ما فعلا بقوم شكيم بن حمور خوفاً من الناس أن يكرهوه، وكأنه يرضى بالزنى الذي حصل على ابنته دينة لخوفه من الناس.

وجاء في سفر التكوين أيضاً:-

(وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رؤابين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل .....) [2]

وجاء فيه أيضاً:-

(فقال: ما الرهن الذي أعطيك، فقالت: خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه .فتحققها يهوذا وقال هي ابر مني لأني لم أعطها لشيلة ابني فلم يعد يعرفها أيضاً) [3]

فهذا رؤابين حسب هذه الرواية يزني بحليلة أبيه يعقوب دون إنكار مؤثر من أبيه، فهل يعقل أن يزني ابن نبي بسرية أبيه!!! وهل يرضى يعقوب بانتشار الزنا في بيته بهذه الطريقة المقززة وهو النبي الطاهر المعصوم.

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٤: ٣٠-٣١.

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٣٥: ٢٢.

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٣٨:١٨-٢٦.

وفي الرواية الثانية فان يهوذا بن يعقوب يزني بأرملة ابنه فتحمل منه وتلد توأمين دون أن تصيبها أية عقوبة.

فهذا هو بيت نبي الله يعقوب كما وصف في التوراة، بيت مليء بالدعارة والدياثة ينتشر فيه زنا المحارم وكأن ذلك مباح في حياتهم اليومية والعياذ بالله.

فما العبرة من سرد هذه القصص في كتاب مقدس كما يزعمون؟! إلا تشجيع للزنى بالمحارم ونشر الرذائل والدعارة والفجور ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المسألة الثالثة: دعوى وصفه بالسرقة.

إن السرقة من الأخلاق التي جاءت الشرائع السماوية جمعاء بذمها وبيان حرمتها، وهي لا تتفق مع الفطرة الإنسانية السوية، فكيف بمن حمل مسئولية الدعوة إلى الأخلاق العالية الكريمة. ولكننا نجد في العهد القديم غرائب وفضائح في وصف نبي الله يعقوب عليه السلام واتهامه بالسرقة والغش والاحتيال.

فقد جاء في سفر التكوين قوله:

(فقال إلا أن اسمه دعي يعقوب فقد تعقبني الآن مرتين أخذ بكوريتي وهوذا الآن قد أخذ بركتي، ثم قال: أما أبقيت لي بركة فأجاب إسحاق وقال لعيسو إني قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع اخوته عبيداً وعضدته بحنطة وخمر فماذا أصنع إليك يا ابني) [1]

ففي هذا النص تصريح واضح بوصف يعقوب عليه الصلاة والسلام بالسلب والسرقة حتى ولو كانت معنوية كما هي هنا "البكورية – البركة" فإن هذين الأمرين لم يأخذهما يعقوب عليه الصلاة والسلام بأحقيته لهما، وإنما كانت بالسرقة والسلب من أخيه عيسو كما تزعم هذه الرواية.

وفي قصة يعقوب عليه السلام مع خاله لابان، تنص روايات التوراة على أن يعقوب قد ساق الماشية خفية عن خاله وانطلق بها. وكذلك سرقت زوجته راحيل أصنام أبيها لابان فلم ينكر عليها يعقوب السرقة. ونحن نبرأ إلى الله من وصف نبي من أنبيائه بمثل ذلك، ولكنه التحريف والتزييف من كتبة التوراة.

---

(١) العهد القدم سفر التكوين ٢٧: ٣٦-٣٧

المسألة الرابعة: دعوى وصفه بالكذب.

إن الصدق من الصفات الواجبة لأنبياء الله عليهم السلام، وهو وصف أساسي فيمن يختاره الله ويصطفيه لحمل رسالته وتبليغها للناس. فالأنبياء عليهم السلام صادقون في جميع أحوالهم ومؤتمنون على تبليغ رسالة الله، ولا يصح عقلاً أن يوصفوا بالكذب فهذا مناقض للهدف الذي أرسلوا من أجله لهداية الناس إلى الحق.ولكننا نجد في مواضع متعددة من التوراة، وصفاً لنبي الله يعقوب بهذه الصفة الدنيئة، فقد جاء في سفر التكوين:

(فدخل إلى أبيه وقال: يا أبي فقال هاأنذا من أنت يا ابني، فقال: يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتني قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك، فقال إسحاق لابنه: ما هذا الذي أسرعت لتجد يا ابني، فقال: أن الرب إلهك قد يسر لي فقال إسحاق ليعقوب تقدم لأجسك يا ابني أأنت هو ابني عيسو أم لا؟ فتقدم يعقوب إلى إسحاق أبيه فجسه، فقال: الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو، ولم يعرفه لأن يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو أخيه فباركه، وقال: هل أنت هو ابني عيسو، فقال: أنا هو، فقال: قدم لي لآكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي، فقدم له فأكل وأحضر له خمراً، فشرب، فقال له إسحاق أبوه: تقدم وقبلني يا ابني فتقدم وقبله فشم رائحة ثيابه وباركه، وقال: أنظر رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب، فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض، وكثرة حنطة وخمرة، ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل، كن سيداً لأخوتك وليسجد لك بنو أمك ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين...) [1]

وجاء في الإصحاح الثالث والعشرون من السفر نفسه:-

(ليجتز سيدي قدام عبده وأنا أستاق على مهلي في أثر الأملاك التي قدامي وقي أثر الأولاد حتى أجيء إلى سيدي إلى سعير، فقال عيسو: أترك عندك من القوم الذين معي، فقال: لماذا دعني أجد نعمة في عيني سيدي، فرجع عيسو ذلك اليوم في طريقه إلى سعير وأما يعقوب فارتحل إلى سكوت وبني لنفسه بيتاً وصنع لمواشيه مظلات، لذلك دعا إسم المكان

(١) العهد القديم سفر التكوين ٢٧: ١٨-٣٨.

سكوت ثم أتى يعقوب سالماً إلى مدينة شكيم، التي في أرض كنعان حين جاء من فدان آرام ونزل أمام المدينة) [1]

فهذه النصوص تنسب لنبي الله يعقوب الكذب الصريح، ففي النص الأول الذي يروي قصة كذبه على أبيه إسحاق عليه السلام ومخادعته له، وادعائه بأنه ابنه عيسو وكل ذلك ليتمكن من سرقة بركة أخيه التي استحقها لكونه الابن البكر لإسحاق عليه السلام.

ويعلق الإمام ابن حزم رحمه الله على هذه الرواية بقوله:

(وفي هذا الفصل فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات، فأول ذلك إطلاقهم على نبي الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه، وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء، فكيف من نبي مع أبيه وهو نبي أيضاً. هذه سوءات مضاعفات. وثانية وهي إخبارهم أن بركة يعقوب إنما كانت مسروقة بغش وخديعة وتخابث، وحاشى للأنبياء عليهم السلام من هذا، و ولعمري إنها بطريقة اليهود، فما تلقى منهم إلا الخبيث والخادع والا الشاذ.

وثالثة: وهي إخبارهم أن الله تعالى أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة وحاش لله من هذا، ورابعة: وهي أنه لا يشك أحد في أن إسحاق عليه السلام إذ بارك يعقوب حينما خدعه كما زعمت توراة يهود إنما قصد بتلك البركة عيسو، وأنه دعا لعيسو لا ليعقوب، فأي منفعة للخديعة لو كان لهم عقل فهذه وجوه الخبث والغش في هذه القضية.

وأما وجوه الكذب فكثيرة جداً، من ذلك نسبتهم الكذب إلى يعقوب عليه السلام وهو نبي الله ورسوله في أربعة مواضع أولهما وثانيهما، قوله لأبيه إسحاق: أنا ابنك عيسو وبكرك، فهاتان كذبتان في نسق، لأنه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره. وثالثهما ورابعهما قوله لأبيه: صنعت جميع ما قلت لي، فاجلس وكل من صيدي، فهاتان كذبتان في نسق، لأنه لم يكن قال له شيئاً ولا أطعمه من صيده، وكذبات أخرى وهي بطلان بركة إسحاق، إذ قال ليعقوب تخدمك الأمم وتخضع لك الشعوب وتكون مولى اخوتك ويسجد لك بنو

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٣: ١٤-١٨ .

أمك. وبطلان قوله لعيسو: تستعبد لأخيك، فهذه كذبات متواليات فوالله ما خدمت الأمم يعقوب ولا بنيه بعده، ولا خضعت لهم الشعوب ولا كانوا موالي أخوتهم ولا سجد له بنو أمه بل بنو إسرائيل خدموا الأمم في كل بلد وفي كل أمة وهو خضعوا للشعوب قديما وحديثا في أيام دولتهم وبعدها) [1]

ونجد أيضاً سفر التكوين يصف يعقوب عليه السلام بالتملق لاخيه عندما قابله حتى قال له: (لأني رأيت وجهك كما يرى وجه الله فرضيت) [2].

ثم يحاول التخلص منه فيعده أن يحلق به إلى سعير التي استوطنها عيسو، غير أن يعقوب يتجه صوب سكوت ثم يصل إلى شكيم، فيضرب خيامه هناك، ويقيم مذبحاً لله.ونحن بالقطع لا يمكن أن نقبل مثل هذه الروايات التي تصف يعقوب بالتملق والكذب.

فليت شعري ونحن ننظر إلى ما وصفت به التوراة نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام بالكذب الصريح. كيف يتفق مع مقام النبوة الرفيع الذي يستلزم من النبي المصطفى لهذه المهمة العظيمة الأمانة والصدق والإخلاص في تأديتها وإبلاغها للناس، وكذلك في تعامله مع البشر بالصدق والأخلاق الحسنة. بل كيف يتفق هذا الأمر مع ما قرره اليهود أنفسهم من خلال التوراة "العهد القديم" في الإنكار على الأنبياء الكذبة والتحذير منهم، كما مر معنا في تعريفنا للنبوة عندهم، ولكنه التناقض الصارخ الممقوت الذي لا يقبله عاقل. فنسأل الله السلامة والعافية.

المسألة الخامسة: دعوى وصفه بالمكر والخديعة والغش.

إن المتتبع لتاريخ اليهود يعلم أن الخبث والمكر والخداع سمة من سماتهم وأخلاقهم التي نشأوا عليها ونحن إذ نتصفح ورقات العهد القديم نشعر أن هذا الوصف له جذور عميقة في النفسية اليهودية، فحتى أفضل الناس عندهم قد وصف بهذا الخلق السيء بل إنهم وصفوا أبو الإسرائيليين جميعاً نبي الله يعقوب عليه السلام بذلك، فكيف يستقيم هذا الوصف مع مقام النبوة الذي تبوأه يعقوب عليه السلام.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/١٠٨-١١٠

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٣٣: ١٠-١١

فقد جاء في سفر التكوين:

(وطبخ يعقوب طبيخا فأتى عيسو من الحقل وهو قد أعيا، فقال عيسو ليعقوب: أطعمني من هذا الأحمر لأني قد أعييت، لذلك دعي اسمه أدوم. فقال يعقوب: بعني اليوم بكوريتك، فقال عيسو: ها أنا ماض إلى الموت، فلماذا لي بكورية، فقال يعقوب: احلف لي اليوم فحلف له. فباع بكوريته ليعقوب، فأعطى يعقوب عيسو خبزاً وطبخ عدس فأكل وشرب وقام ومضى، فاحتقر عيسو البكورية) [١]

وجاء في السفر نفسه قصة أخذ يعقوب عليه السلام للبركة بالنصب والاحتيال عن أخيه عيسو، كما ورد في قصة ذبح الجديين وأكل إسحاق عليه السلام منهما، ثم دعاءه ليعقوب بالاحتيال والغش وقد مرت بنا [٢] ثم جاء في سفر التكوين أيضاً:-

(فأخذ يعقوب لنفسه قضباناً خضراً من لبنى ولوز ودلب وقشر، فيها خطوطاً بيضاً كاشطاً عن البياض الذي على القضبان، وأوقف القضبان التي قشرها في الأجران في مساقي الماء، حيث كانت الغنم تجيء لتشرب تجاه الغنم لتتوحم عند مجيئها لتشرب، فتوحمت الغنم عند القضبان، وولدت الغنم مخططات ورقطا وبلقاء، وأفرز يعقوب الخرفان وجعل وجوه الغنم إلى المخطط، وكل أسود بين غنم لابان وجعل له قطعاناً وحده ولم يجعلها مع غنم لابان. وحدث كلما توحمت الغنم القوية أن يعقوب وضع القضبان أمام عيون الغنم في الأجران لتتوحم بين القضبان، وحين استضعفت الغنم لم يضعها، فصارت الضعيفة للابان والقوية ليعقوب، فاتسع الرجل كثيراً جداً وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير) [٣]

وجاء فيه أيضاً: (وخدع يعقوب قلب لابان إذ لم يخبره بأنه هارب فهرب هو كل ما كان له، وقام وعبر النهر وجعل وجهه نحو جبل جلعاد)[٤].

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٢٥ : ٢٩-٣٤.

(٢) أنظر العهد القديم سفر التكوين ٢٧ : ١٨-٣٨

(٣) مقارنة الأديان اليهودية ص ١٧٥

(٤) العهد القديم سفر التكوين ٣١: ٢٠-٢١

فهذه النصوص التي سبق ذكرها والتي وردت في التوراة تظهر نبي الله إسحاق عليه السلام رجل خب مغفل تسهل خديعته والاحتيال عليه، وأن يعقوب عليه السلام خدعه واحتال عليه واستلم بركة أخيه البكر عيسو، والتي استحقها عيسو من أبيه لأنه الولد البكر طبقا للقاعدة التوراتية.

فعجبا لهؤلاء الزنادقة الذي كتبوا هذه الأسفار، كيف يرضون بهذه الأوصاف لأبي الإسرائيليين يعقوب، وماذا بقي من أخلاق النبوة وفضائلها بمثل هذه الروايات التي لا تليق إلا بالصعاليك والعيارين، وكيف يصح أن تروى هذه الأكاذيب في كتاب مقدس بهذه الصورة البشعة، ثم يزعم كاتبه أنه وحي من الله تعالى!!

لذلك نرى أن المنصر سميث قد أنكر هذا الوصف الشنيع الذي جاء في التوراة- والحق ما شهدت به الأعداء، فيحكي عنه الدكتور/ أحمد شلبي قوله:

(وحقد عيسو علي يعقوب وحاول قتله فعرفت أمه ذلك، فأوصت ابنها بالهرب إلى بيت خاله لابان. ويعلق J.WD.Smith على تصرفات يعقوب هذه بقوله: ولا نجد بحال من الأحوال وسيلة لقبول تصرفات يعقوب، فقد كان واضحا أنها غير عادلة، وكان يسلك مختلف السبل وينتهز كل الفرص لينال حقوق أخيه، كان مستعدا أن يستعمل أساليب المكر والختل والحيل ليحقق أهدافه، فيعقوب بهذا يعتبر نموذجا حقيقيا لأخلاق اليهود، وعلى هذا تعتبر تسميتهم بإسمه ميراثا دقيقا فقد ورثوا عنه أكثر مما ورثوا عن إبراهيم الذي كان رجل عقيدة وإيمان وأكثر منه رجل ختل ودنيا) [1]

وتأتي الرواية الثانية فتظهر نبي الله يعقوب وكأنه يربي أبناءه على المكر والخديعة والاحتيال، فأبناء يعقوب يخدعون قوم شكيم بن حمور الحوي بأسلوب سافل، ما يفهم منه إلا الغدر والمكر، هو صفة النفسية اليهودية على مر التاريخ. فبعد الاتفاق الذي تم بين أبناء يعقوب وبين شكيم على أن يتم زواجه من أختهم والتصالح والتعايش بين القومين، ونفذ قوم شكيم ما تعهدوا به، قام أولاد يعقوب بالهجوم على المدينة، وقتلوا كل الذكور وسبوا النساء ونهبوا البيوت. وأما والدهم يعقوب فلم يحتج على فعلهم، بل خشية من كراهية الناس له فقط!! ومن انتصارهم عليه وعلى أولاده وحاشى نبي الله يعقوب من مثل هذه الأكاذيب.

(١) أنظر الله جل جلاله والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في التوراة والقران ص ١٣٦-١٤٤

فهل يصح أن تروى هذه القصة في التوراة ويفتخر بها؟ وعلى فرض صحتها فهي تدل على مدى قسوة وحقد بني إسرائيل ولو صحت فإنها مجزرة تذكرنا بالمجازر التي يرتكبها اليهود اليوم في فلسطين.

فهذه التوراة التي يزعمون أنها كتابهم المقدس تشهد على أنهم مجرمون جزارون منذ قديم الزمان، وإن لم تصح القصة فهي من جملة أكاذيبهم على أنفسهم فيما يدعون أنه وحي من الله، فهاهي التوراة تصف نبي الله يعقوب بهذه الأوصاف من الاحتيال والمكر والغش والخديعة لأبيه إسحاق وأخيه عيسو وخاله لابان، والناس من حوله. وهذا الأوصاف لا يمكن أن نقر بها أو نؤمن بأنها حصلت من نبي الله يعقوب عليه السلام، لما في هذه الأوصاف من أخلاق رذيلة مناقضة مناقضة سافرة لمقام النبوة العظيم، ولمكانة النبي يعقوب عليه السلام صاحب المكانة العالية والاصطفاء الإلهي.فلا يسعنا إلا أن نقول أن كتبة التوراة كانوا بعيدين كل البعد عن معاني النبوة الإلهية الحقه، والله المستعان.

المسألة السادسة: دعوى وصفه بالخوف والجبن.

إن المتأمل في أخلاق وصفات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام يجد أن الشجاعة والقوة من الصفات البارزة فيهم، فهذه الصفة تتسق مع ما يحملون من رسالة عظيمة ويتحملون من مشاق لتبليغها للناس، لا يتحملها إلا الشجعان من خلق الله عز وجل.

وإن صفة الجبن والخوف تتناقض مع مقام النبوة والرسالة، وتستحيل على أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، لكننا نجد هذا الوصف لأنبياء الله وليعقوب عليه الصلاة والسلام خاصة في توراة اليهود، فقد جاء في سفر التكوين:-

(وخدع يعقوب قلب لابان الآرامي إذ لم يخبره بأنه هارب، فهرب هو كل ما كان له وقام وعبر النهر وجعل وجهه نحو جبل جلعاد. فأجاب يعقوب وقال للابان إني خفت لأني قلت لعلك تغتصب ابنتيك مني) [1].

فسبب هروب يعقوب عليه السلام حسب هذه الرواية هو الخوف من خاله لابان من اجل أمور دنيوية، فكيف يمكن لنبي يحمل رسالة ربه ويريد إبلاغها للناس أن

(١) سفر التكوين ٣١: ٢٠-٣١

يخشى على مصالح دنيوية تفوته، فالخوف لا ينبغي أن يكون له طريق على أنبياء الله الشجعان. وجاء في السفر نفسه:

(نجني من يد أخي من يد عيسو لأني خائف منه أن يأتي ويضربني الأم مع البنين، وأنت قد قلت أني أحسن إليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذي لا يعد للكثرة.

وبات هناك تلك الليلة، واخذ مما أتى بيده هدية لعيسو أخيه مئتي عنز، وعشرين تيسا، ومئتي نعجة، وعشرين كبشا، وثلاثين ناقة مرضعة وأولادها، وأربعين بقرة، وعشرة ثيران، وعشرين أتانا وعشرة حمير، ودفعها إلى يد عبيده قطيعا قطيعا على حدة، وقال لعبيده: اجتازوا قدامي واجعلوا فسحة بين قطيع وقطيع، وأمر الأول قائلا: إذا صادفك عيسو أخي وسألك قائلا لمن أنت، والى أين تذهب، ولمن هذا الذي قدامك، تقول: لعبدك يعقوب، هو هدية مرسلة لسيدي عيسو وها هو أيضا وراءنا. وأمر أيضا الثاني والثالث وجميع السائرين وراء القطعان قائلا بمثل هذا الكلام تكلمون عيسو حينما تجدونه، وتقولون هوذا عبدك يعقوب أيضا وراءنا لأنه قال: استعطف وجهه بالهدية السائرة أمامي، وبعد ذلك انظر وجهه عسى أن يرفع وجهي) (١)

وهذه صورة أخرى من صور الخوف والجبن التي تلطخت بها سيرة نبي الله يعقوب عليه السلام في هذه الرواية المحرفة. فنبي الله يعقوب عندما أراد مقابلة أخيه عيسو، أرسل له رسلا تطلب رضاه، وقدم له الكثير من الهدايا ليأمن جانبه، غير أن يعقوب عندما رأى أخاه مقبلا ومعه أربعمائة رجل، ارتعدت فرائصه، وقسم أولاده بين نسائه الأربعة، واجتاز قدامه وسجد إلى الأرض سبع مرات، حتى اقترب إلى أخيه، ثم تقدمت أمتاه وهما في نفس الوقت زوجتاه وأولادهما، وسجدوا لأخيه. فهذا التذلل والخضوع من يعقوب عليه السلام لأخيه كما تذكر التوراة، لا يتفق في ما نعتقده مع مقام النبوة،

(١) سفر التكوين ٣٢: ١١-٢٠

وكيف يمكن وصف يعقوب بهذا الوصف من الجبن وهو الذي يزعمون في توراتهم أنه صارع الرب ليلا، وكاد أن ينتصر عليه، وهذا من التناقض الذي يبين وجه التحريف في هذه الروايات الباطلة.

وختاما فان صفة الخوف والجبن لا تليق بأنبياء الله عز وجل بل هم أشجع الناس في تبليغ رسالة الله، وهذه سيرهم تدل على أنهم يتصفون بالشجاعة والقوة والبسالة، وأن الخوف والجبن ما عرف طريقه إليهم يوما.

وبعد هذا السرد المسهب للصفات التي عمدت التوراة للصقها بنبي الله يعقوب عليه السلام، فأننا نرى أنها تناقض تمام المناقضة لمنصب النبوة المقدس، ولا شك أن صورة التشويه ليعقوب من خلال التوراة نابعة من قلوب كتبة التوراة الأفاكين، حيث تتوافق هذه الصفات مع صفات اليهود بشكل عام، وهي صفات الرذيلة والكذب والتزييف والتحريف نعوذ بالله منها.

المبحث الثاني

دعوة يعقوب عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد من خلال التوراة

إن الدعوة إلى توحيد الله عز وجل هي الغاية التي من اجلها أرسل الله رسله وأنبياءه للناس. وهي دعوة كل الأنبياء والمرسلين من آدم إلى محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام، قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (١) فجميع الأديان السماوية التي جاء بها أنبياء الله إنما تقوم على أصول توحيدية مشتركة، أهمها:

- الإيمان بان لهذا الكون إلها خالقا مدبرا محيطا بالخلق، بالغ القدرة، لا يعزب عن علمه شئ، ولا يعترض قدرته شيء، وأنه هو المستحق للعبادة دون سواه .
- أن هذا الإله لم يخلق الناس عبثا ولن يتركهم سدى، وأنهم لابد راجعون إليه ومحاسبون بين يديه، ومجازون على ما عملوا، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.
- الدعوة إلى العمل الصالح، والأخلاق الفاضلة التي تشع على الإنسانية بالأمن والسلام.

ومن هذه الأصول الثلاثة تتفرع باقي أصول الاعتقاد الصحيح. أما ما يتصل بالشرائع من حيث هي مجموعة سنن تنظم السلوك والأخلاق في المجتمع، فإنها قابلة للتغيير والتبديل من رسول واخر بمقتضى تغير البيئات واختلاف المصالح.

والنبوة الإسرائيلية السابقة للدين اليهودي في عهد موسى عليه السلام قد لعبت دورا مهما، بل ربما كان أهم الأدوار على الإطلاق في التاريخ الإسرائيلي. ذلك لأن هذه النبوة استطاعت أن توجد ما نسميه بالأمة اليهودية ككيان مستقل، وما نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام إلا جزء من هذه النبوات التي تكررت على بني إسرائيل قبل موسى عليه السلام، ولذلك فان نبوة يعقوب هي أساس واصل الأمة اليهودية فهو أبو الإسرائيليين. ولذلك سنبحث في دعوة يعقوب عليه الصلاة والسلام إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له سبحانه من خلال التوراة. وسنتناول دعوة يعقوب للتوحيد من خلال قسميها المعروفين:

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٥

أولا: توحيد المعرفة والإثبات.

إن نصوص التوراة تدل دلالة واضحة على اهتمام يعقوب عليه السلام بترسيخ عقيدة التوحيد بما يتعلق بمعرفة الله عز وجل وإثبات ما يستحق من الصفات في أهل بيته وأبنائه والناس جميعا، فقد جاء في سفر التكوين:-

(ورأى الرب أن لئية مكروهة ففتح رحمها، وأما راحيل فكانت عاقرا. فحبلت لئية وولدت إبنا ودعت اسمه راوبين، لأنها قالت: إن الرب قد نظر إلى مذلتي، إنه الآن يحبني رجلي. وحبلت أيضا وولدت إبنا وقالت: إن الرب قد سمع أني مكروهة فأعطاني هذا أيضا فدعت اسمه شمعون. وحبلت أيضا وولدت إبنا وقالت: الآن هذه المرة يقترن بي رجلي لأني ولدت له ثلاثة بنين، لذلك دعي اسمه لاوي. وحبلت أيضا وولدت إبنا وقالت: هذه المرة أحمد الرب، لذلك دعت اسمه يهوذا ثم توقفت عن الولادة) [1]

وقد فسر شراح العهد القديم ذلك النص بقولهم:-

(رؤابين إلخ في المواليد الأربعة هنا أمور خاصة.....

ان لئية سمت ابنها الرابع يهوذا، أي حمدا، فدل ذلك على تقواها في أحوال حزنها، ولما لم تجد عزاء من الإنسان وجدته من الرب فقالت: هذه المرة أحمد الرب، والرب جعل من هذه المكروهة سلف النسل الموعود به) [2]

فنلمس من خلال النص كيف كانت نظرة زوجة يعقوب لئية في تسميتها لأبنائها، حيث ربطت هذه التسمية بعلاقتها مع ربها ورجائها منه سبحانه وتعالى، و كيف صرفت الحمد والشكر لله وحده. ولا شك أن يعقوب عليه السلام كان له دور كبير في علاقة زوجاته بالله عز وجل، لا سيما إذا قرنا ذلك بأن والدهما كان من المشركين عباد الأصنام- آلهة ناحور- كما تحكي التوراة. وكذلك يظهر جليا رضى يعقوب بهذه الأسماء وما تعنيه من معاني مرتبطة بالإيمان بالله سبحانه وتعالى، بل إننا نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك في مظاهر التوحيد عند يعقوب عليه السلام، من خلال اختيار أسماء الأماكن التي أقامها يعقوب لعبادة الله، وربط تسميتها بالله عز وجل، فقد جاء في سفر التكوين:-

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٢٩: ٣٢-٣٥

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ١٩٦/١

(... فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا: لأني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي)[١] وفسر ذلك القول كما يلي:-

(وأقام هناك مذبحا، كان إبراهيم قد بنى مذبحا في جوار الموضع الذي بنى فيه يعقوب مذبحة "ص٧:١٢" فيعقوب حذا حذو جده، وكان بعض الغاية من بناء هذا المذبح الشكر على رجوعه سالما وملكة تلك الأرض بعضها، وهو الأعظم الاعتراف بإيمانه وبنسبته إلى الله، وهذا مدلول اسم المذبح الوهيم إسرائيل، أي الله إله إسرائيل. ولم يستعمل هنا اسم الرب يهوه، لأن اسم المذبح الذي بني حينئذ يشير إلى بدل اسمه يعقوب بإسرائيل، أي أمير مع إيل أي الله) [٢]

وجاء في سفر التكوين في قصة يوسف عليه السلام:

(ليس هو في هذا البيت أعظم مني ولم يمسك عني شيئا غيرك لأنك امرأته، فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطيء إلى الله) [٣].

فهذا يوسف عليه السلام يرفض جميع الاغراءات التي ظهرت من جانب امرأة العزيز حتى راودته عن نفسه، وما ذاك إلا للعقيدة التي غرسها يعقوب في ابنه يوسف، وهي مراقبته لله وإيمانه بأن الله مطلع على جميع أعماله، وهذه العقيدة العظيمة هي من دروس التربية والتوحيد المشاهدة في سيرة يعقوب عليه السلام، والتي أنشأ أبناءه عليها، وهي من توحيد المعرفة بالله.

وكذلك جاء في سفر التكوين من كلام يعقوب عليه السلام:-

(والله القدير يعطيكم رحمة أمام الرجل، حتى يطلق لكم أخاكم الآخر، وبنيامين وأنا إذا عدمت الأولاد عدمتهم) [٤]

فهذه الوصية من يعقوب عليه السلام لأبنائه فيها تعميق عقيدة الرجاء والتوكل على الله عز وجل، وتسليم الأمر له سبحانه، وهذا نوع من تأصيل العقيدة الحقة في أبنائه فان الاعتماد

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٢: ٣٠

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ١٩٦/١

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٣٩: ٩.

(٤) العهد القديم سفر التكوين ٤٣: ١٤-٢٣

والتوكل عليه سبحانه لا ينبع إلا من معرفة سابقة لمن يستحق التوكل عليه، وهو الله سبحانه وتعالى الذي بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير.

ومثل هذا الأمر قوله عليه السلام في سفر التكوين:-

(فارتحل إسرائيل وكل ما كان له واتى إلى بئر سبع، وذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق، فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال: يعقوب يعقوب، فقال: هاأنذا فقال: أنا الله إله أبيك، لا تخف من النزول إلى مصر لأني أجعلك أمة عظيمة هناك، أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك أيضا، ويضع يوسف يده على عينيك) (١)

فالنص يشير إلى الحال التي كان عليها يعقوب من التوكل على الله سبحانه قبل رحيله إلى أرض لا يعلم مصيره ومصير أهله فيها، والإيمان بمعية الله سبحانه له على كل حال، والتي تجعله ينطلق في هذه الرحلة بلا تردد ولا خوف.

وفي جواب يعقوب عليه السلام لأخيه عيسو عندما سأله عن النساء والأولاد، جاء في سفر التكوين: (ثم رفع عينيه وأبصر النساء والأولاد وقال: ما هؤلاء منك، فقال: الأولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك) (٢).

فكان جوابه عليه السلام بيانا أن النعم كلها من الله الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء وكل شيء له سبحانه. فهذه من آثار يعقوب عليه السلام في أخيه عيسو لتأكيد توحيد المعرفة بالله عز وجل.

وفي نص آخر:-

(..... فقال له لابان ليتني أجد نعمة في عينيك قد تفاءلت فباركني الرب بسببك ....لأن ما كان لك قبلي قليل فقد اتسع إلى كثير، وباركك الرب في أثري والآن متى أعمل أنا أيضا لبيتي) (٣).

فأكد يعقوب عليه السلام أن البركة والزيادة في أموال لابان وأنعامه هي من فضل الله الذي أرسله إليه. وهذا من عظيم عنايته عليه السلام لنشر توحيد المعرفة في كل مناسبة، حتى أثر ذلك في أبنائه وأهله، ومن حوله من الناس عليه الصلاة والسلام.

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٤٦: ١-٤

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٣٣: ٥

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٣٠: ٢٧-٣٠.

ثانيا: توحيد القصد والطلب.

أما هذا النوع من التوحيد وهو توحيد القصد والطلب أو توحيد العبادة، فقائم على شهادة أن لا إله إلا الله، وهذه الشهادة هي دعوة الأنبياء جميعا، فما من نبي إلا وعلم ودعا أمته إلى كلمة التوحيد العظمى لا اله إلا الله. ولازم هذه الشهادة أمران هما: النفي والإثبات.فالنفي هو تنزيه الله سبحانه عن الشريك والند والمثيل. وأما الإثبات فهو إثبات العبادة بجميع أنواعها لله وحده، وعدم صرفها لغيره سبحانه.

ونحن نلمس في دعوة يعقوب عليه السلام اهتماما ظاهرا في نشر شهادة التوحيد ومدلولاتها والدعوة إليها من خلال دراسة النصوص التوراتية.

فأولا: نفي الشريك عن الله وإنكار الشرك بجميع أنواعه وصوره.

فمن أهم النصوص التي يتضح فيها هذا الأمر ما جاء في سفر التكوين من قوله:

(ولنقم ونصعد إلى بيت إيل، فأصنع هناك مذبحا لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي، وكان معي في الطريق الذي ذهبت فيه. فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم، فطمرها يعقوب تحت البطمة التي عند شكيم) (١)

ففي يعقوب عليه السلام دليل على إنكاره لهذه الآلهة التي تعبد من دون الله بالقول والفعل. فقد كان كثير من العبيد والإماء من أهل شكيم يعبدون الأوثان، وكانوا يلبسون الأقراط بغرض غير الزينة بل لاعتقادهم ببعض الأمور الخرافية كاعتبارهم إياها أحرازا وتمائم يظنون أنها تنفعهم أو تضرهم من دون الله. فأنكرعليهم يعقوب كل ذلك ولا شك أن فعله هذا قد نبه أتباعه وحملهم على ترك أوثانهم وأصنامهم واتجه بهم لعبادة الله وحده ربهم رب إسرائيل. وإن كنا ذكرنا هذا النص في بيان دعوة وصف يعقوب عليه السلام بالشرك، إلا أن النص له وجه آخر في إنكار الشرك وكان الأمر الذي جعلنا نذكر النص نفسه في الموضعين المتناقضين لأبين مدى التناقض الموجود عند من كتب هذه الأسفار، وأعطاها صفة القداسة، نعوذ بالله من الخذلان.

وقد علق على هذا النص القس جيس بالدوين بقوله:

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٥: ٣-٤.

(وسبب تأخيره يتضح من أمره أهل بيته، اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا، إنها لصدمة أن نعرف أن حاشية يعقوب وأهل بيته كانوا يعبدون آلهة أخرى وأنه كان يتغاضى عن ذلك، مع أن سرقة راحيل لآلهة بيت أبيها كان يجب أن نتوقع معها حدوث ذلك، لأنها تقدم لنا دليلا على أن التخلص من العبادة الشعبية لم يكن قد تم على نحو قاطع، ولم يساور يعقوب أي شك في أن الالتزام لإله بيت إيل يتضمن الولاء له وحده، لأن لم يكن مجرد إله شعب محلي بل إله كل شعوب الأرض وأممها. وعلى ذلك فهو الإله الوحيد وفضلا عن هذا فإن يعقوب انتهز هذه الفرصة كي يشهد للعائلة كلها، أن إلهه كان يستجيب له في يوم الشدة وكان معه أينما سار.

وعلى ضوء أمانة كهذه أدركت الجماعة كلها الحاجة لأن تمتثل لطلب يعقوب، ومن ثم سلموا له أدوات عبادة الأوثان المكلفة التي كانوا يمتلكونها، فطمرها يعقوب. والعزوف عن الاستغناء عن الممارسات الوثنية والمرتبطة بآلهة غريبة، كان خطرا يجب أخذه في الحسبان في كل مرحلة من مراحل تاريخ إسرائيل) [1]

وهنا نجد صلابة وقوة في موقف يعقوب عليه الصلاة والسلام ضد الشرك بأنواعه وصوره، فها هو يأبى على جميع أهله اتخاذ الآلهة من دون الله، وينكر على أهل لابان تلك التمائم الشركية التي كانوا يضعونها على أجسادهم للحفظ من الشرور والآفات. وإن تأخير الإنكار على هذه الصور من الشرك قد يكون بسبب عدم العلم بوقوع ذلك المنكر.

ثم نجد صورة أخرى في نفي الشرك عن الله، بل ونفي الطرق المفضية إلى ذلك، ومنها الغلو في الصالحين حتى ولو كانوا أنبياء، فالغلو في الصالحين ووضعهم في موضع الرب الذي يهب ويمنع مما لا يقدر عليه إلا الله، كالرزق بالأبناء، فهو نوع من أنواع طرق الشرك، فيعقوب عليه السلام ينكر على زوجته راحيل ما طلبته منه لإعطائها الأولاد وكأنه الخالق والرازق الذي يرزق البشر بالذرية، فقد جاء في سفر التكوين:

(فحمي غضب يعقوب على راحيل وقال ألعلي مكان الله الذي منع عنك ثمرة البطن) [2]

---

(١) الكتاب المقدس يتحدث اليوم ١٨٣/٢

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢١٦/١-٢١٧

فانظر إلى هذا الموقف المتشدد مع زوجته راحيل وهي من أحب الناس إليه، يوضح لنا مفهوم توحيد الألوهية بأن الدعاء لا يجوز صرفه إلا إلى الرازق سبحانه وتعالى، فلا يجوز أن يصرف إلى غيره من المخلوقين، ولو كانوا من الأنبياء أو الرسل.

ثانيا: إثبات العبودية لله وحده دون سواه.

ومن مظاهر شدة اهتمام يعقوب عليه السلام في اثبات العبودية، نذكر:

١- بناء الأماكن المقدسة وإقامة دور العبادة لله عز وجل وحده:-

وردت في التوراة نصوص كثيرة تبين أن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان حريصا على بناء دور العبادة في كل مكان يقطن فيه ومن ذلك ما جاء في سفر التكوين قوله:

(وبكر يعقوب في الصباح، وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عمودا وصب زيتا على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل ولكن اسم المدينة أولا كان لوزه) [١]

وجاء فيه أيضا:

(ولنقم ونصعد إلى بيت إيل فأصنع هناك مذبحا لله الذي استجاب لي في يوم ضيقتي وكان معي في الطريق الذي ذهبت فيه فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم، فطمرها يعقوب تحت البطمة التي عند شكيم.

ثم رحلوا وكان خوف الله على المدن التي حولهم فلم يسعوا وراء بني يعقوب فأتى يعقوب إلى لوز التي في أرض كنعان وهي بيت إيل، هو وجميع القوم الذين معه وبنى هناك مذبحا ودعا المكان إيل بيت إيل، لأنه هناك ظهر له الله حين هرب من وجه أخيه.. فنصب يعقوب عمودا في المكان الذي فيه تكلم معه، عمودا من حجر وسكب عليه زيتا) [٢].

فهذه النصوص توضح حرص يعقوب عليه السلام على إقامة أماكن للعبادة في البقع المقدسة التي لها ميزة عنده، وصب الزيت الذي ورد في النصوص السابقة إنما هو

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٥: ٣-١٤.

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ١٩٢/١

إجراء رمزي يشير إلى أن المكان وقف لاستعمال مقدس، كما جاء تفسير ذلك في تفسير العهد القديم.وقد أكد على هذا المعنى القس/جويس بالدوين بقوله:-

(وقرر أن يخلد ذكرى هذا الحدث ويضع علامة تميز هذه البقعة المقدسة، حيث الأرض لامست السماء، لأن الله تكلم معه حقا، إن الرب في هذا المكان، وأنا لم أعلم. وقد بدا لضميره الروحي الذي استيقظ حديثا أنه لابد وأن يكون هناك شيء له سمة خاصة بالنسبة لهذا المكان الذي يبدو عاديا، لقد رأى نفسه فجأة أمام بيت الله وباب السماء، ولم يكن شيئا مريحا أن يشعر الإنسان بضمير إثم ومع ذلك ظل على قيد الحياة بعد اللقاء بالإله الحي، بل وحصل على اليقين الذي كان يتلهف عليه. أما الآن فكان كل اهتمامه أن يعمل ما هو صواب، كان آباؤه سيقيمون مذبحا لكنه أخذ الحجر الذي سند عليه رأسه ونصبه عمودا، وقد كرسه بأن دهنه بالزيت وهذا إجراء رمزي سوف يطور في وقت لاحق في فوز الممسوحين بالعبرية : المسحاء. واحتفال المسحة كان قاصرا على يعقوب ولم توضع لوحة لتخليده، غير أن الإسم الجديد بيت إيل ومعناه بيت الله سوف يعرف أخيرا) [1]

فإقامة الأماكن لعبادة الله، هي صورة من صور إثبات العبادة لله وحده، وتكريس لمعنى العبودية له سبحانه، وهو ما تحقق في دعوة يعقوب عليه السلام.

٢- سن الشريعة والعبادات بشكل عام:

إن مما يرسخ عبادة الله عز وجل لدى الأمم والشعوب، هو تحديد الشرائع والعبادات التي تجب على الناس. ونحن نجد في التوراة الأمثلة الكثيرة للأحكام والشرائع والعبادات المتعقلة ببني إسرائيل والتي دعا يعقوب إليها قومه. فمن العبادات التي وردت عن يعقوب في روايات التوراة ،الدعاء. والدعاء هو العبادة، كما جاء ذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم [2]،جاء في سفر التكوين:

---

(١) الكتاب المقدس يتحدث اليوم ٢/١٤٦-١٣٧

(٢) رواه أبو داود ،كتاب سجود القرآن،إجماع فضائل القرآن، رقم الحديث ١٤٧٩. وابن ماجة ،باب فضل الدعاء، رقم الحديث ٣٨٢٨.

(وقال يعقوب: يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحاق، الرب الذي قال لي ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليه، صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك، فإني بعصاي عبرت هذا الأردن والآن قد صرت جيشين نجني من يد أخي، من يد عيسو، لأني خائف منه أن يأتي ويضربني الأم مع البنين) (١).

فهو قدوة لأبنائه وأهل بيته، ففي هذا الموقف يلتجئ ويرفع أكف الضراعة إلى مولاه جل وعلا، فهو مثال حي لدعوة الناس جميعا في صرف الدعاء، العبادة العظيمة لله وحده.

ومن ذلك أيضا شريعة الزكاة والنذر لله عز وجل، فقد جاء في سفر التكوين:-

(..... ونذر يعقوب نذرا قائلا، إن كان الله معي وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه وأعطاني خبزا لآكل وثيابا لألبس ورجعت بسلام إلى بيت أبي يكون الرب لي إلها وهذا الحجر الذي أقمته عمودا يكون بيت الله، وكل ما تعطيني فإني أعشره لك) (٢)

فهذه الزكاة التي هي حق الله في المال كانت موجودة في شريعة يعقوب عليه السلام كما في الشرائع التي سبقته، فقد جعل يعقوب عليه السلام عشر ماله زكاة مفروضة عليه وعلى أبنائه من بعده، وفي هذا المعنى يقول القس جويس بالدوين:-

(لقد كانت صلاة رائعة، وإذ لم يكن لديه وقت في عجالته، إلا أن يعقوب مع ذلك أخذ وقتا لمخاطبة الله بطريقة هادفة تماما، ليس كيفما اتفق أو بدا له من جانبه. وفيما قال: يا إله أبي إبراهيم، فإنه وضع حاجته الشخصية في الإطار القوي لقصد الله الكامل للخلاص الذي جاء في العهد الدائم، وانه إذ يسترجع إله أبيه إبراهيم وإله أبيه إسحاق، فإن يعقوب كان يدرك أنه يسترجع إلى الذاكرة ما سبق أن عمله الله نفسه بإعلان نفسه للعائلة. وكان يعقوب في هذه السلسلة لأنه هو أيضا سمع كلمة الرب حين طلب الله منه العودة إلى بيت أبيه.

وحين كان يعقوب يصلي فإنه عوض أن يتعالى ويبرر تصرفاته، نراه يضع نفسه ومشكلته في إطار علاقتهما بقصد الله المعلن، وبطريقة يتوقع معها استجابة، لأن الله لا يمكن أن يتراجع عن كلمته. وتمثل أول اعترافه بالإثم في قوله صغير أنا، الأمر الذي يعلن عن حدة إدراك بكل ما تلقاه من الله منذ أن هرب كشباب مفلس خوفا من انتقام أخيه، وقد اختبر محبة الله الثابتة وأمانته، وهذه المعرفة صغرت من صورته في نظر نفسه وفيما أنه ترك بيت أبيه وفق هواه،

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٢: ٩-١١

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٢٨: ٢٠-٢٢

وكان وحيدا خائفا إلا أنه أصبح جيشين وأخيرا وصل يعقوب إلى التماسه الذي شكل ذروة صلاته، نجني من يد أخي) (١)

ومن العبادات التي سنها يعقوب عليه السلام لقومه، عبادة الذبح لله، فقد جاء في سفر التكوين ما نصه:-

(فارتحل إسرائيل وكل ما كان له، وأتى إلى بئر سبع، وذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق، فكلم الله إسرائيل في روى الليل، وقال: يعقوب يعقوب، فقال: هاأنذا، فقال: أنا الله إله أبيك لا تخف من النزول إلى مصر لأني أجعلك أمة عظيمة هناك، أنا انزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضا، ويضع يوسف يده على عينيك) (٢)

وكذلك الصلاة وهي من أهم العبادات التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام، وكانت مشروعة في جميع الشرائع السابقة التي نزلت من عند الله. فهي الصلة بين العبد وربه يستشعر فيها العبد معنى عبوديته لله عز وجل، فمما جاء عن عبادة الصلاة ما ورد في تفسير العهد القديم:-

(فسجد إسرائيل على رأس السرير، في الترجمة السبعينية، والترجمة السريانية على رأس عصاه، وعن السبعينية أخذ كاتب الرسالة إلى العبرانيين، والكلمة العبرانية بقطع النظر عن الحركات تحتمل المعنيين الفراش أو السرير والعصا، على أن سجوده على رأس فراشه للصلاة أنسب من سجوده على عصاه) (٣)

وأما الطهارة التي تسبق الصلاة فقد أمر يعقوب أهل بيته وقومه بها، فجاء في العهد القديم:-

(فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم) (٤)

---

(١) الكتاب المقدس يتحدث اليوم ١٦٧/٢-١٦٨

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٤٦: ١-٤

(٣) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٠/١

(٤) العهد القديم سفر التكوين ٣٥: ٢

فيعقوب عليه السلام كان يأمر قومه بالطهارة كلما أرادوا الاقتراب من الله، فإن ذلك من الرموز إلى طهارة القلب وقداسة الوجدان، كما ورد ذلك في تفسير العهد القديم[١].

ومن الأحكام التي جاءت في شريعة يعقوب عليه السلام الختان، وهو شريعة الحنفاء من لدن إبراهيم إلى محمد عليهما الصلاة والسلام. ففي قصة زنا شكيم بابنة يعقوب عليه السلام، ذكر لهذا الحكم الشرعي فقد جاء في سفر التكوين:

(.....غير أننا بهذا نواتيكم إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكر) [٢]

وفسر صاحب السنن القويم ذلك الحكم بقوله:

(فحسن كلامهم في عيني حمور.. إلخ التي راق له ما قالوه ورضيه، ولنا مما قيل هنا أن الإسرائيليين كانوا في أيام يعقوب يرون الختان من الواجبات، وأنه كان مكرما أيضا عند الأمم، والألم يرضوا أن يحتملوا ألمه) [٣]

فهذه نماذج من شريعة يعقوب عليه السلام، تشمل الصلاة والطهارة والزكاة والنذر والدعاء والسجود والحلف وسنة الختان وغيرها من الشرائع التي تدل على ترسيخ دعوته إلى الله للتوحيد الخالص وصرف جميع العبادات له سبحانه دون سواه فإن في الشرائع والأحكام والالتزام بها دليل صدق على توحيد الألوهية لا سيما إذا كان العمل خالصا من الرياء والشرك، بل إن في الامتثال بهذه العبادات إثبات لتوحيد المعرفة والإثبات وذلك بالإقتضاء.

٣- الهجرة من بلد إلى آخر استجابة لأمر الله عز وجل:

إن مما يتميز به الأنبياء المصطفون من عند الله عز وجل، هو تحمل هذه الرسالة ونقلها إلى الناس كافة، وهذا يستلزم البحث عن المكان الذي تلاقي فيه الدعوة إلى الله الترحيب والاستجابة. ولذلك يأمر الله عز وجل أنبياءه بالهجرة من مكان إلى مكان لنشر دعوة التوحيد وإصلاح العباد، وفي سيرة يعقوب عليه الصلاة والسلام نجد

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٤: ٧-١٥

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٣٤: ٧-١٥

(٣) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢١٥/١

أن هجرته قد تكررت من بلد إلى آخر و لا نجد تفسيرا مناسبا لهذا الانتقال إلا الاستجابة لأمر الله ولنشر الدين ودعوة الناس إلى عبادة رب العالمين. فمن النصوص التي دلت على ذلك ما جاء في سفر التكوين:-

(إنا إله بيت إيل حيث مسحت عمودا حيث نذرت لي نذرا، الآن قم اخرج من هذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك) (١)

وجاء في الإصحاح السادس والأربعون من السفر نفسه:-

(فارتحل إسرائيل وكل ما كان له وأتى إلى بئر سبع، وذبح ذبائح لإله أبيه إسحاق، فكلم الله إسرائيل في روى الليل وقال: يعقوب يعقوب، فقال: هاأنذا فقال: أنا الله إله أبيك لا تخف من النزول إلى مصر لأني أجعلك أمة عظيمة هناك أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا أصعدك أيضا، ويضع يوسف يده على عينيك) (٢)

وقد فسر القس جويس بالدوين تلك النصوص بقوله:-

(في حين أن إبراهيم هاجر إلى مصر لنقص الطعام في كنعان، وطرد بصفة عاجلة، إلا أن يعقوب حرص بكل دقة على ألا يسافر إلى مصر على الرغم من أنه بعث بأبنائه إلى هناك لشراء الطعام. وقد منع الرب أباه إسحاق بعبارات واضحة من الذهاب إلى مصر بحثا عن القمح، وكان إسحاق حريصا أن يظل في الأرض التي وعدت بها عائلته بالذهاب إلى جرار،(٣) التي كانت تحت سيطرة الفلسطينيين .

لقد سافرت العائلة جنوبا عبر مناطق تثير ذكريات معاملات الرب مع إبراهيم وإسحاق، وارتبطت بئر سبع بكل منهما، ولكن بصفة خاصة بأبيه إسحاق الذي لآلهة قدم يعقوب ذبائح، والذي منه كان يطلب اليقين التام، فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل.

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣١: ١٣.

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٤٦: ١-٤

(٣) اسم عبري معناه جرة وهي انية خزفية وهي مدينة قديمة شهيرة في جنوب فلسطين على بعد ثمانية اميال من جنوب شرقي غزة وهي المكان المعروف الان بخرية ام جرار انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٥٤-٢٥٥.

وبالنسبة ليعقوب فإن الإذن الذي طلبه لمواصلة رحلته أعطى له في رؤى الليل، والأمر الذي كان على إسحاق، أن يطيع لا ينطبق على وضع يعقوب الجديد، وكان يعقوب هو الشخص الذي سيأخذ العائلة إلى أرض ليست لهم، حيث سيصبحون أمة عظيمة يحملون الاسم الذي أعطاه له الله، وهو إسرائيل وأيا كانت المخاطر التي قد تكتنف هذه المجازفة، فقد كان يعقوب يعرف أن إله آبائه كان معه فيها) (١)

وينبغي لنا في هذا المقام أن نفسر هجرة، وتنقل يعقوب عليه السلام تفسيرا صحيحا يتوافق مع مهمة النبوة، وأن هذه الهجرة إنما كانت لأجل نشر الدين الصحيح ودعوة الله في الأرض، لا أن تفسر بأنها انتقال للبحث عن بعض الأغراض الدنيوية، كالبحث عن الرزق أو المرأة أو غير ذلك من متاع الدنيا الزائل، وإنما هي هجرة لنشر دين الله بين الناس. وكذلك فإن الهجرة للدعوة إلى الله لا شك أنها تستلزم وضوح عقيدة توحيد القصد والطلب، وكذلك توحيد المعرفة والإثبات، فإنه لا يمكن أن نصف نبي من أنبياء الله عز وجل يهاجر من بلد إلى آخر في الدعوة إلا وهو مدرك تمام الإدراك لأي شيء يدعوا ولماذا يدعو؟.والله اعلم.

٤- المعاملة الصادقة مع الناس هي الأسلوب الأمثل للدعوة:

إن توحيد الله عز وجل يضفي على المؤمنين الموحدين مراقبة دائمة لله تنعكس في سلوكهم مع الناس بالمعاملة الحسنة والصدق والأمانة. ولا شك بان أسلوب التعامل مع الناس له اكبر الأثر في قبولهم لدعوة الأنبياء عليهم السلام. ولذلك كان يعقوب عليه السلام أنموذج في الصدق والأمانة. والدليل عليه ما جاء في قصة خدمته لخاله لابان عندما كان أمينا على أمواله، فروى سفر التكوين قائلا على لسانه:-

(.....الآن عشرين سنة أنا معك نعاجك وعنازك لم تسقط، وكباش غنمك لم آكل فريسة، لم أحضر إليك، أنا كنت خسرها من يدي، كنت تطلبها مسروقة النهار

(١) الكتاب المقدس يتحدث اليوم ٢/٢٤١-٢٤٢

أو مسروقة الليل، كنت في النهار يأكلني الحر وفي الليل الجليد، وطار نومي من عيني)[1]

فالنص يشير إلى ما تحمله يعقوب خلال السنوات التي قضاها في رعاية أموال خاله لابان، والليالي التي قضاها وقد جافاه النوم خلالها لأنه كان مؤتمنا على هذه الأموال.

فهذه الصفات الحميدة لنبي الله يعقوب، كان لها أكبر الأثر في نشر دعوة الله على يديه، نتيجة أمانته في تعامله مع الآخرين، وهو بهذا يكون القدوة الحسنة التي تحتذى وتقبل منها التعاليم الشرعية و الآداب الإسلامية. فهذه الأخلاق طريق من طرق الدعوة إلى الله والى التمسك بعقيدة التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وان كانت قصة يعقوب عليه السلام مع خاله لابان وما حصل بينهما من أحداث، قد ذكرناها فيما مر معنا في دعوى وصف يعقوب عليه السلام بالأوصاف التي تتناقض مع مقام النبوة، ولكننا ذكرناها هنا لما تحتمله من وجه حق فيما ذكرنا، وكذلك لبيان ما عليه هذه الروايات الإسرائيلية، وما فيها من خلط وتحريف وتبديل يصل بها إلى أن تتناقض في الموضع الواحد نفسه، نعوذ بالله من الضلال.

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٨: ٣١-٤٠

المبحث الثالث

بشارة يعقوب عليه الصلاة والسلام بخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام

جاءت رسالة الإسلام ببعثة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، متممة لرسالة الأنبياء السابقين الذين أرسلهم الله لهداية الناس إلى عبادة الله وتوحيده، وناسخة لجميع الشرائع السابقة ومهيمنة عليها. ولذا فإن البشارة بقدوم خاتم النبيين قد وردت على لسان كثير من الأنبياء الذين سبقوه، من موسى عليه السلام، الى عيسى عليه السلام.

أما نبي الله يعقوب عليه السلام فقد بشر هو الاخر بخاتم النبيين، وأخبر ببعض أوصافه ومزاياه. فجاء في سفر التكوين ضمن بشارة يعقوب ووصيته لأبنائه ما نصه:

(لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب، رابطا بالكرمة حجشة وبالجفنة أين أتانه، غسل بالخمر لباسة وبدم العنب ثوبه، مسود العينين من الخمر ومبيض الأسنان من اللبن). [1]

فهذه الوصية من يعقوب عليه السلام عندما حضرته الوفاة بمصر عند يوسف عليه السلام، فدعا أولاده ووصاهم وباركهم واحدا واحدا، وتنبأ لهم بأمور تحدث لهم في المستقبل.

من بينها ما تنبأ به يعقوب لابنه يهوذا، فقد تضمنت نبوءته عليه السلام الإشارة إلى ظهور خاتم النبيين، وهذه البشارة التي وردت في التوراة قد اختلف أهل الكتاب في ترجمتها، يقول الشيخ رحمه الله الهندي[2] -رحمه الله- في عرضه لتلك الترجمات:

(الآية العاشرة من الباب التاسع والأربعون من سفر التكوين هكذا ترجمة عربية سنة ١٨٢٢م وسنة ١٨٤٤م: "فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من فخذه حتى يجيء الذي له الكل وإياه تنتظر الأمم".ترجمة عربية سنة ١٨١١م: "فلا يزول القضيب من يهوذا والرسم من تحت أمره إلى أن يجيء الذي هو له وإليه تجتمع الشعوب". ولفظ الذي له الكل، أو الذي هو له، ترجمة لفظ شيلوه. وفي ترجمة هذا اللفظ اختلاف كثير فيما بينهم، لأنه جرت عادة أهل الكتاب سلفا وخلفا

---

(١) العهد القديم سفر التكوين٤٩: ٩-١٢

(٢) رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي الحنفي عالم بالدين والمناظرة نزيل الحرمين توفي سنة ١٣٠٦هـ انظر الاعلام للزركلي ١٨/٣

أنهم غالبا يترجمون الأسماء بمعانيها، ويزيدون كلام الله شيئا بطريق التفسير .وقال عبد السلام في الرسالة الهادية هكذا لا يزول الحاكم من يهوذا ولا راسم من بين رجليه حتى يجيء الذي له واليه يجتمع الشعوب). [1]

وأيا ما كان، فإن محور نبوءة يعقوب تدور حول كلمة شيلون فما المقصود بها؟

دار جدل طويل بين اليهود والنصارى والمسلمين حول المقصود بهذه البشارة، واختلفوا في تفسير النص وتحديد المبشر به.

فذهب النصارى إلى أن المراد بالقضيب الملك والسلطة الدنيوية، وزعموا أن المراد بشيلون المسيح عليه السلام، فهو المبشر به. ومعنى النص عندهم: سيبقى الملك مع اليهود إلى أن يأتي المسيح المنتظر، قالوا: وكذلك كان فإنه مازالت لهم ملوك ودول إلى زمن المسيح فلما ظهر بطلت النبوة فيهم، وانقطع الملك عنهم، وصاروا محتقرين مذمومين.

وذهب اليهود إلى أن المراد بشيلون المسيح الذي يأتي في آخر الزمان، وينصر دين موسى عليه السلام، ويظهر الحق على يديه، وهم لا يزالون ينتظرونه إلى اليوم.

ورد ابن كمونه اليهودي[2]على ادعاء النصارى فقال: (إن الملك زال من اليهود قبل المسيح بأكثر من أربعمائة عام، وقال: إن قول النصارى القضيب هو قضيب الملك، والراسم هو النبي غير متيقن، فالنبوة انقطعت قبل ظهور المسيح بما يزيد على ثلاثمائة عام، واللفظة المستعملة في العبرانية بمعنى القضيب تستعمل بمعنى السبط) [3].

ثم قال: (والأظهر أن المراد به البشارة بداود، والمعنى لا يزول السبط من يهوذا ولا الرئاسة من بين ظهرانيهم، إلى أن تبلغ رياستهم في الزيادة إلى أن يملك داود، ويتفق على تمليكه جميع شعوب إسرائيل) [4].

---

(١) إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ١١٣٨/٤

(٢) عز الدين سعد بن منصور بن سعد بن حسن بن هبة الله بن كمونه اليهودي، البغدادي الحكيم الأديب،كان عالما بالمنطق والحساب والأدب، شرح كتاب الإشارات لابن سينا له بعض المؤلفات من أهمها: (تنقيح الأبحاث عن الملل الثلاث) مات سنة ٦٨٣هـ أنظر الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة لابن الفوطي.

(٣) انظر تنقيح الابحاث عن الملل الثلاث لابن كمونه ص ٦٤.

(٤) المصدر السابق ص ٦٤-٦٥.

وقد جانب ابن كمونه الحقيقة في قوله إلى أن يملك داود ويتفق على تمليكه جميع شعوب إسرائيل، لأن داود عليه السلام ليس بصاحب شريعة، بل كان تابعا لشريعة موسى وحاكما بها، وليس في الزبور أي حكم تشريعي غير ما في التوراة. وسياق النص يدل على أن الملك والشريعة تنزع من بني إسرائيل بمجيء المبشر به، لا أنها تزداد وتقوى كما حصل في زمن داود. ثم إن ابن كمونه فسر الشعوب بأسباط إسرائيل، وقد جاء في بعض الترجمات وإياه تنتظر الأمم، فلا يمكن أن يحمل ذلك على أسباط إسرائيل والتفافها حول داود، وإنما يحمل على صاحب شريعة عامة، كانت تنتظره الأمم والشعوب ويحكم بها.

ولو حللنا النص السابق لوجدنا فيه ما يلي:

أولا: أن المراد بالقضيب أو الصولجان الملك والسلطة والحكم، وليس السبط كما قال ابن كمونه، وإلا فما معنى لا يزول السبط من يهوذا، وهل يقصد أن نسله لن ينقرض؟ فهذا بعيد جدا.

ثانيا: أن المراد بقوله: (والراسم من تحت أمره) كما في ترجمة عام ١٨١١م شريعة التوراة التي تظل مع علماء اليهود، وتكون هذه الشريعة من علامات ملك اليهود، فإن الرسم والتدبير إنما هو من التشريع، وأما إن كان النص: (المدبر من فخذه) كما في ترجمة ١٧٢٢م و١٨٤٤م فالمراد به عيسى عليه السلام، لأنه جاء بعد موسى من نسخ أو زاد في شريعته سوى المسيح.

ثالثا: إن المراد بقوله:(حتى يأتي شيلون)أي نبي السلام والأمان، كما ذكرت حاشية الكتاب المقدس المطبوع ببيروت عام ١٩٧٦م، أو الذي له الكل، كما ذكرت بعض الترجمات. فهذا يدل على أن شريعته تكون عامة شاملة ناسخة لما قبلها، وأن كتابه الذي ينزل عليه يكون مهيمنا على الكتب الذي كانت قبله.

رابعا: إن قوله: (وإياه تنتظر الأمم) يدل على أن شريعته عامة ورسالته عالمية، وقد سبق التبشير به قبل مجيئه.

وهذه كلها علامات صريحة وواضحة على أن المبشر به على لسان يعقوب عليه السلام هو محمد خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، لأن الشعوب ما اجتمعت إلا إليه، ورسالته كانت

عامة لجميع الناس كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [2].

وقال رسول الله ﷺ :(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وفي رواية على العدو بين يدي مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) [3]

وقد كان من أصحابه عليه الصلاة والسلام الرومي والفارسي والحبشي، وغير ذلك فدعوته كانت للناس أجمعين، وبناءا عليه فإن معنى بشارة يعقوب عليه السلام يكون: سيبقى الملك والشريعة التي ينزلها الله على موسى عليه السلام مع العلماء من نسل إسرائيل حتى تنتهي مدة البركة الممنوحة لبني إسحاق، وتبدأ مدة البركة لبني إسماعيل، بظهور النبي الذي له الكل، وهو محمد عليه الصلاة والسلام.

ويمكن أن يكون المراد بالحاكم موسى عليه السلام لأنه ما جاء بعد يعقوب صاحب شريعة غيره، وسماه بالحاكم لأن شريعته جبرية وانتقامية. والمراد من الراسم عيسى عليه السلام لأنه ما جاء بعد موسى من نسخ أو زاد في شريعته سوى عيسى، وسماه الراسم لأن شريعته ليس قهرية انتقامية. وجاء من بعدهما أي الحاكم والراسم الذي له الكل، أي صاحب شريعة كاملة عامة وشاملة، وهو محمد عليه الصلاة والسلام. لأنه ما جاء بعد عيسى صاحب شريعة تامة قفل به باب النبوة إلا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، فاجتمع الناس حوله وانتظموا بأحكام شريعته، وبغير هذا التفسير تكون بشارة يعقوب لغوا من القول[4].

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧

(٢) سورة الأنفال آية ٦٣

(٣) أخرجه البخاري برقم ٣٢٨، ومسلم ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم ٣/٥٢١.

(٤) الاستزادة انظر ميثاق البنين لعبد الوهاب طويلة ص ٢٠٧-٢١٣

ويؤكد الإمام القرافي[1] هذا المعنى بقوله:(ولما انتهت النبوة إلى يهوذا قال له : لا يعدم سبط يهوذا ملك مسلط وأفخاذه بنو إسرائيل، حتى يأتي الذي له الكل، ولم يأتي من بعد للكل إلا محمد رسول الله ﷺ ،فيكون هو المراد صونا لكلام يعقوب من الزلل) [2]

وقد تكلم جمع من علماء المسلمين عن هذه البشارة من نبي الله يعقوب بخاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام، وأثبتوا بالأدلة القاطعة أن المقصود بها نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. وننقل هنا كلام الشيخ رحمه الله الهندي وهو كلام نفيس في الرد على من جعل المقصود بشيلون أنه مسيح اليهود أو المسيح عيسى بن مريم، وبين أن هذا لا يتحقق حسب تواريخهم المدونه، وأن المبشر به في كلام يعقوب هو محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، فقال رحمه الله:

(وفي هذه الآية دلالة على أن يجيء سيدنا محمد عليه السلام، بعد تمام حكم موسى وعيسى لأن المراد من الحاكم هو موسى، لأنه بعد يعقوب ما جاء صاحب شريعة إلى زمان موسى إلا موسى. والمراد من الراسم هو عيسى، لأنه بعد موسى إلى زمان عيسى ما جاء صاحب شريعة إلا عيسى. وبعدهما ما جاء صاحب شريعة إلا محمد فعلم أن المراد من قول يعقوب في آخر الأيام هو نبينا محمد عليه السلام، لأنه في آخر الزمان بعد مضى حكم الحاكم والراسم، ما جاء إلا سيدنا محمد عليه السلام، ويدل عليه أيضا قوله حتى يجيء الذي له أي الحكم، بدلالة مساق الآية وسياقها وأما قوله: "وإليه تجتمع الشعوب، فهي علامة صريحة ودلالة واضحة على أن المراد منها هو سيدنا محمد لأنه ما اجتمعت الشعوب إلا إليه، وإنما لم يذكر الزبور لأنه لا أحكام فيه. وداود النبي تابع لموسى، والمراد من خبر يعقوب هو صاحب الأحكام، انتهى كلامه بلفظه.

أقول إنما أراد من الحاكم موسى عليه السلام، لأن شريعته جبرية انتقامية، ومن الراسم عيسى عليه السلام، لأن شريعته ليست بجبرية ولا انتقامية.

---

(١) أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، الملقب بشاب الدين القرافي نسبة لقرافة، توفي سنة ٤٨٦ ودفن في القرافة بمصر. أنظر الأعلام للزركلي ١/٩٤-٩٥.

(٢) الأجوبة الفاخرة عن الأجوبة الفاجرة ص٤١٩.

وإن أريد من القضيب السلطنة الدنيوية، ومن المدبر الحاكم الدنيوي. كما يفهم من رسائل القسيسين من فرقة البروتستانت، ومن بعض تراجمهم، فلا يصح أن يراد بـ"شيلوه" مسيح اليهود كما هو مزعومهم، ولا عيسى عليه السلام كما هو مزعوم النصارى.

أما الأول: فظاهر لأن السلطنة الدنيوية والحاكم الدنيوي زالا من آل يهوذا من مدة هي أزيد من ألفي سنة من عهد بخت نصر، ولم يسمع إلى الآن حسيس مسيح اليهود.

وأما الثاني: فلأنهما زالتا من آل يهوذا أيضا، قبل ظهور عيسى عليه السلام بمقدار ستمائة سنة من عهد بخت نصر، وهو أجلي بني يهوذا إلى بابل، وكانوا في الجلاء ثلاثا وستين سنة لا سبعين كما يقول بعض علماء البروتستانت تغليطا للعوام، قد عرفته في الفصل الثالث من الباب الأول. ثم وقع عليهم في عهد انتيوكس ما وقع فإنه عزل أونياس حبر اليهود وباع منصبه لأخيه ياسون ثلاثمائة وستين وزنة ذهب، يقدمها له خراجا كل سنة، ثم عزله وباع ذلك لأخيه مينالاوس، ستمائة وستين وزنة ثم شاع خبر موته فطلب ياسون أن يسترد لنفسه الكهنوت ودخل أورشليم بألف من الجنود، فقتل كل من كان يظنه عدوا له وهذا الخبر كان كاذبا فهجم أنتيوكس على أورشليم وامتلكها ثانية في سنة ١٧٠ قبل ميلاد المسيح، وقتل من أهلها أربعين ألفا وباع مثل ذلك عبيدا. وفي الفصل العشرين من الجزء الثاني من مرشد الطالبين في بيان الجدول التاريخي في الصفحة ٤٨١ من النسخة المطبوعة سنة ١٨٥٢ من الميلاد أنه نهبت أورشليم وقتل ثمانون ألفا، انتهى وسلب ما كان في الهيكل من الأمتعة النفيسة التي كانت قيمتها ثمانمائة وزنة ذهب، وقرب خنزيره وقودا على الذبح للإهانة، ثم رجع إلى إنطاكية وأقام فيلبس أحد الأرذال حاكما على اليهودية. وفي رحلته الرابعة إلى مصر أرسل أبولونيوس بعشرين ألفا من جنوده وأمرهم أن يخرجوا أورشليم ويقتلوا كل من بها من الرجال، ويسبوا النساء والصبيان. فانطلقوا إلى هناك، وبينما كان الناس في المدينة مجتمعين للصلاة يوم السبت، هجموا عليهم على غفلة فقتلوا الكل إلا من افلت إلى الجبال أو اختفى في المغاير، ونهبوا أموال المدينة وأحرقوها وهدموا وأخرجوا منازلها.

ثم ابتنوا لهم من بسائط ذلك الهدم قلعة حصينة على جبل أكرا، وكانت العساكر تشوف منها على جميع نواحي الهيكل، ومن دنا منه يقتلونه. ثم أرسل أنتيوكس أثانيوس ليعلم اليهود طقوس عبادة الأصنام اليونانية، ويقتل كل من لايمتثل ذلك الأمر، فجاء أثنانيوس إلى أورشليم، وساعده على ذلك بعض اليهود الكافرين، وأبطل الذبيحة اليومية ونسخ كل طاعة للدين اليهودي عمومـــا وخصوصا وأحرق كل ما وجده من نسخ كتب العهد العتيق بالفحص التام، وكرس الهيكل للمشتري، ونصب صورة ذلك على مذبح اليهود. وأهلك كل من وجده مخالفا أمر أنتيوكس، ونجا متاثياس الكاهن مع أبنائه الخمسة في هذه الداهية وفروا إلى وطنهم مودين في سبط دان، فانتقم من هؤلاء الكفار انتقاما ما قدروا عليه على استطاعته، كما هو مصرح به في التواريخ، فيكف يصدق هذا الخبر على عيسى عليه السلام.

وان قالوا أن المراد ببقاء السلطنة والحكومة امتياز القوم كما يقول بعضهم الآن، قلنا هذا الأمر كان باقيا إلى ظهور محمد ﷺ، وكانوا في أقطار العرب ذوي حصون وأملاك غير مطيعين لأحد، مثل يهود خيبر وغيرهم، كما تشهد به التواريخ. وبعد ظهور محمد ﷺ ضربت عليهم الذلة والمسكنة وصاروا في كل إقليم مطيعين للغير، فالأليق أن يكون المراد بـ"شيلوه" النبي ﷺ لا مسيح اليهود ولا عيسى عليه السلام) [1].

وبعد هذا التوضيح من الشيخ رحمه الله عن هذه البشارة يجب الاشارة الى اصل كلمة شيلوه وشيلون، فاصل الكلمة كما وضحها الدكتور/ صلاح الراشد بقوله

(السؤال هو: ما المقصود بشيلون؟ الإجابة على هذا السؤال تتطلب النظر في اللغة وأصل الكلمة عبرية وتلفظ شيلوه ولذا فالتراجم الإنجليزية تكتبها بلفظها "Shiloh" والعبرية قريبة من العربية بكثير، فالعرب تقول "سلام" واليهود تقول "شلوم" جاء في قواميس وتفاسير أهل الكتاب معنى كلمة شيلوم "Shilem" هو "Peace" أي سلام، وكلمة إسلام مقتبسة من السلام، فالعلاقة بين سلام أو إسلام كالعلاقة بين شيلوم وشيلوه أو شايلوه!.

(١) إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ١١٣٨/٤-١١٤٣

ولما لم يعرفوا ما معنى شيلوه، سواء كان هؤلاء العرب الذين ترجموها إلى شيلون أو غيرهم تركوها هكذا غير مشروحة، لأن الإسم غريب، وهذا يدل على خروج دين جديد يحمل اسما جديدا جاء في قاموس وست منستر للإنجيل "تفسير سفر التكوين ١٠:٤٩ مازال المسألة لم تحل" فالحمد لله الذي جعلها محلولة عندنا والمقصود أن النبوة والشريعة لن تزولا عن قدم أو سلالة يهوذا، حتى يأتي الشيلون أي الإسلام). (١)

تلك هي الإجابة على ذلك التساؤل وهي اجابة تفيد بأن المقصود هو دين الإسلام. ودين الإسلام هو علم على دين محمد بن عبد الله ﷺ فالمقصود في هذه البشارة هو محمد بن عبد الله عليه افضل الصلاة وأتم التسليم، وأن يعقوب عليه السلام قد بشر بخاتم النبيين، وما ورد في تفسيرها وتحريفها عن محمد بن عبد الله ﷺ باطل لا نقبل به، والله أعلم.

(١) مجلة النور العدد ١٨٨ ربيع الأول ١٤١٤هـ ص١٠-١٢

الفصل الثاني

نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم

وفيه ثلاث مباحث

المبحث الأول:-

إثبات نبوته عليه السلام في القرآن الكريم وأقوال العلماء فيها.

المبحث الثاني:-

دعوة يعقوب عليه الصلاة والسلام للتوحيد مع ذكر وصيته عند وفاته.

المبحث الثالث:-

صفات النبي يعقوب عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم .

نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام في القرآن

النبوة منحة إلهية لا تنال بمجرد التشهي والرغبة، ولا تنال بالمجاهدة والمعانلة، وقد كذب الفلاسفة الذين زعموا أن النبوة تنال بمجرد الكسب والجد والاجتهاد، وتكلف أنواع العبادات، واقتحام أشق الطاعات، والدأب في تهذيب النفوس، وتنقية الخواطر وتطهير الأخلاق ورياضة النفس والبدن.وقد بين الله في أكثر من آية أن النبوة نعمة ربانية واختصاص إلهي، قال تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾.(١)

وقد طمع أمية بن أبي الصلط(٢)في أن يكون نبي هذه الأمة، وقال الكثير من الشعر متوجها به إلى الله، ولكنه لم يحصل على مراده، وصدق الله القائل:﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾.(٣)ولذلك عندما اقترح أن يختار لأمر النبوة والرسالة أحد الرجلين العظيمين في مكة والطائف، عروة بن مسعود الثقفي(٤)أو الوليد بن المغيرة(٥) أنكر الله ذلك القول على الكفار، فهو الإله العظيم الذي قسم بين الناس معيشتهم في

---

(١) سورة مريم آية ٥٨

(٢) أمية بن عبد الله بن أبي الصلط بن أبي رضيعة الثقفي، شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف، كان مطلعا على الكتب القديمة، يلبس مسوحا تعبدا، وهو ممن حرم على نفسه الخمر ونبذ الأوثان في الجاهلية،أدرك الإسلام ولم يسلم، نلت بالطائف سنة ٢هـ، أنظر الأعلام للزركلي ٢٣/٢.

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٤

(٤) عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، صحابي مشهور، كان كبيرا في قومه بالطائف، أسلم وأستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة قومه، فقال: أخاف أن يقتلوك، قال:لو وجدوني نائما لم يوقظوني، فذهب ودعا قومه فخافوه، فرماه أحدهم بسهم فقتله، مات سنة ٩هـ، الاعلام للزركلي ٢٢٧/٤.

(٥) الوليد بن المغيرة بن عبد شمس من قضاة العرب في الجاهلية ،ومن زعماء قريش وزنادقتها، كان ممن حرم الخمر في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر، أنظر الأعلام للزركلي ١٢٢/٨.

الحياة الدنيا، فكيف لهم أن يتدخلوا في تحديد المستحق لحمل النبوة والرسالة؟ قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[2]

فالنبوة اذن اختصاص من الله واصطفاء منه سبحانه، لمن هو أهل لهذه المهمة العظيمة.

في هذا الفصل سنتناول ثلاثة مباحث:-

الأول: إثبات نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم وأقوال أهل العلم فيها.

الثاني: دعوة يعقوب عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد في القرآن مع ذكر وصيته عند وفاته.

الثالث: صفات يعقوب عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم.

---

(١) سورة الزخرف آية ٣١-٣٢

(٢) سورة الحج آية ٣٥

المبحث الأول

إثبات نبوته عليه السلام في القرآن الكريم وأقوال العلماء فيها

إن المتأمل لسيرة يعقوب عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم، يجد أن ذكره في القرآن قليل، والإشارة إلى حياته كذلك أقل، ولكن بعد استقراء المواضع التي ورد فيها ذكر يعقوب عليه الصلاة والسلام تصريحاً أو تلميحاً، بذكر لقبه أو نحو ذلك، يمكن اثبات نبوته من خلال نصوص القرآن الكريم، وما جاء في تفسير علماء الاسلام لها، وكذلك ما ورد في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ.

والأدلة المثبتة لنبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام هي كما يلي:

الدلالة الأولى: النص الصريح من الله في نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام:

قال تعالى:﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ ..... الآية﴾ (١)

وقال أيضاً:﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ (٢)

وقال عز من قائل سبحانه:﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۝ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (٣)

فهذه الآيات تثبت صراحة أن يعقوب عليه السلام نبي مصطفى من الله عز وجل، اما في الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوة يعقوب جاء عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال:(قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: أكرمهم أتقاهم. فقالوا: ليس عن هذا نسألك.

---

(١) سورة مريم آية ٥٨

(٢) سورة مريم آية ٤٩

(٣) سورة ص آية ٤٥-٤٧

قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله **ابن نبي الله** ابن نبي الله ابن خليل الله. قالوا:ليس عن هذا نسألك قال: نعم فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام)[1].

وجاء أيضاً عن النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

(قال رسول الله ﷺ:

كان **ليعقوب النبي عليه السلام** أخاً مؤاخياً في الله فقال ذات يوم: يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك، قال: فقال: أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا يعقوب إن الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول: أما تستحي تشكوني إلى غيري، قال: فقال: يعقوب إنما أشكو بثي وحزني إلى الله.

قال: فقال جبريل: أعلم ما تشكو يا يعقوب، قال: ثم قال يعقوب: أي رب أما ترحم الشيخ الكبير، أذهبت بصري وقوست ظهري، فأردد عليّ ريحانتي أشمه شماً قبل الموت، ثم اصنع بي ما أردت، قال: فأتاه جبريل فقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أبشر وليفرح قلبك، فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك، فاصنع طعاماً للمساكين، فإن أحب عبادي إلي الأنبياء والمساكين، أتدرى لم أذهبت بصرك وقوست ظهرك، وصنع اخوة يوسف به ما صنعوا، أنكم ذبحتم شاة فأتاكم مسكين يتيم وهو صائم فلم تطعموه منها شيئاً.

وقال: فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً ينادي: ألا من أراد الغداء من المساكين فليتغد مع يعقوب، وإذا كان صائماً أمر منادياً فنادى: ألا من كان صائماً من المساكين فليفطر مع يعقوب عليه السلام)[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه٤/١٧٩-١٨٠و٦/٩٥ ومسلم ٤/١٨٤٦-١٨٤٧ والإمام أحمد في مسنده ٢/٥٦٨ وغيرهم

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/٢٣٠) برقم (٣٤٠٣، ٣٤٠٤، ٣٤٠٥) والحاكم في المستدرك(٢/٣٤٨) وصححه ووافقه الذهبي.

فهذه الايات والاحاديث صريحة في وصف يعقوب عليه الصلاة والسلام بالنبوة والرسالة ، ولذا أكد المفسرون والعلماء على نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام. قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى :-

(وقوله: "وكلاً جعلنا نبياً" يقول:وجعلناهم كلهم، يعني بالكل إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنبياء، وقال تعالى ذكره: "وكلاً جعلنا نبياً " فوحد، ولم يقل أنبياء، لتوحيد لفظ كل) [١].

ويقول القرطبي رحمه الله :-

("وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار" أي الذي اصطفاهم من الأدناس واختارهم لرسالته) [٢].

وكذلك يقول الإمام الرازي :-

(اعلم انه ما خسر على الله أحد، فإن إبراهيم عليه السلام لما أعتزلهم في دينهم وفي بلدهم واختار الهجرة إلي ربه إلى حيث أمره، لم يضره ذلك ديناً ودنيا، بل نفعه فعوضه أولاداً أنبياء، ولا حالة في الدين والدنيا للبشر أرفع من أن يجعل الله له رسولاً إلى خلقه، ويلزم الخلق طاعته والانقياد له مع ما يحصل فيه من عظيم المنزلة في الآخرة، فصار جعله تعالى إياهم أنبياء من أعظم النعم في الدنيا والآخرة) [٣].

هؤلاء العلماء الأجلاء اتفقوا، في تفسيرهم لتلك الآيات على النبوة ليعقوب عليه السلام، مما يؤكد صحة الاستدلال بهذه النصوص في نبوة يعقوب عليه السلام، وأنه من أنبياء الله ومصطفيه الأخيار.

---

(١) جامع البيان في تأويل أي القرآن للطبري ٩٣/٧ وانظر كذلك في التفسير نفسه ١٧٢/١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤١/٨

(٣) التفسير الكبير للرازي ٥٤٧/٧

الدلالة الثانية: الوحي المنزل من عند الله عز وجل على أنبياءه ورسله:

خص الله أنبياءه ورسله دون سائر البشر بوحيه إليهم، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾(١)

وهذا الوحي المنزل على أنبياء الله يقتضي عدة أمور يفارقون بها الناس، فمن ذلك تكليم الله لبعضهم واتصالهم ببعض الملائكة وتعريف الله لهم بشيء من الغيوب الماضية أو الآتية، وإطلاع الله لهم على شيء من عالم الغيب.

قال تعالى مبيناً مقامات الوحي على رسله وأنبياءه الكرام:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

فمقامات الوحي ثلاثة:

المقام الأول: الإلقاء في روع النبي الموحى إليه، بحيث لا يمتري النبي في أن هذا الذي ألقيّ في قلبه من الله تعالى، وذهب ابن الجوزي في تفسيره، إلى أن المراد بالوحي في قوله: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ الوحي في المنام (٣).

وهذا الذي فسر به ابن الجوزي المقام الأول، داخل في الوحي بلا شك، فان رؤيا الأنبياء حق، ولذلك فان خليل الرحمن إبراهيم بادر إلى ذبح ولده عندما رأى في المنام أنه يذبحه، وعد هذه الرؤيا أمراً إلهياً ووحياً من الله تعالى. ولكنه لا يمنع أن يكون هذا الإلقاء في روع النبي أيضاً في حال اليقظة، كما يحصل لنبينا محمد ﷺ فينفك عنه الوحي، وقد عقل منه ما ألقاه عليه، وهذا كثير.

---

(١) سورة الكهف آية ١١٠

(٢) سورة الشورى آية ٥١

(٣) انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٧/٤٧٦

المقام الثاني: تكليم الله لرسله من وراء حجاب، وذلك كما كلم الله تعالى موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾.(١)وممن كلمة الله آدم عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾(٢)كما كلم الله نبينا محمد ﷺ وغيره من الأنبياء الكرام، عليهم افضل الصلاة وأتم السلام.

المقام الثالث: الوحي إلى الرسول بواسطة الملك، وهذا هو الذي عناه الله – تعالى – بقوله:(أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ)(٣)وهذا الرسول هو جبريل عليه السلام، وقد يكون غيره وذلك في أحوال قليلة.

وورد في الكتاب والسنة ما يبين أن الله عز وجل قد أوحى إلى نبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام، وأنزل إليه من الدين ما ينذر به البشر، كما أوحى إلى غيره من الأنبياء، فقال تعالى:﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.(٤)

وقال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.(٥)

---

(١) سورة الأعراف آية ١٤٣
(٢) سورة البقرة آية ٣٣
(٣) سورة الشورى آية ٥١
(٤) سورة البقرة آية ١٣٦
(٥) سورة آل عمران آية ٨٤

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[1] وغيرها من الآيات.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(كان ليعقوب النبي عليه السلام أخاً مؤاخياً في الله، فقال ذات يوم: يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك، وما الذي قوس ظهرك، قال: فقال: أما الذي اذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا يعقوب إن الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول: أما تستحي تشكوني إلى غيري، قال: فقال يعقوب: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله.....الحديث) [2].

فهذا الحديث يتبين منه إحدى صور الوحي المنزل على نبي الله يعقوب عليه السلام، وهي أن يأتيه الملك -جبريل- فيتحدث معه بشيء من الوحي.

فالآيات القرآنية التي مر ذكرها تذكر وحي الله لأنبيائه إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط، فقد أوحى الله إليهم كما أوحى إلى نبينا عليه الصلاة والسلام، ونحن نعتقد بأن الله أوحى إليهم وأنزل عليهم دين الحق، كما أنزله على من بعدهم، والمسلم مأمور بأن يؤمن بما أنزل الله إليهم بالإجمال، وإن لم يثبت لنا شيء مما نزل عليهم، ولم يبقى في أيدي الأمم منه شيء يعتمد على نقله.

فيعقوب عليه السلام والأنبياء المذكورون معه في الآيات السابقة قد أوحى الله إليهم، والمسلمون مأمورون بأن لا يفرقوا بينهم في الإيمان، قال تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾[3]أي لا نفرق بينهم في الدين، فنقول إن بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل، ونفعل

---

(١) سورة النساء آية ١٦٣

(٢) سبق تخريجه انظر ص ١٥٠

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٦

كما يفعل أهل الكتاب، يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل إنهم جميعاً كانوا على الحق ولا خلاف بينهم في المقاصد والأصول.

يقول الإمام الرازي في تفسيره مفصلاً الحديث عن هذه المسألة:

(قدم الإيمان بالله على الإيمان بالأنبياء، لأن الإيمان بالله أصل الإيمان بالنبوة، وفي المرتبة الثانية ذكر الإيمان بما أنزل عليه، لأن كتب سائر الأنبياء حرفوها وبدلوها، فلا سبيل إلى معرفة أحوالها إلا بما أنزل الله على محمد صلى الله عليهم وسلم، فكان ما أنزل على محمد كالأصل لما أنزل على سائر الأنبياء، فلهذا قدمه عليهم، وفي المرتبة الثالثة ذكر بعض الأنبياء وهم الأنبياء الذين يعترف أهل الكتاب بوجودهم ويختلفون في نبوتهم...

وإنما أوجب الله تعالى الإقرار بنبوة كل الأنبياء عليهم السلام لفوائد، إحداها: إثبات كونه عليه السلام مصدقاً لجميع الأنبياء، لأن هذا الشرط كان معتبراً في أخذ الميثاق، وثانيها: التنبيه على أن مذاهب أهل الكتاب متناقضة، وذلك لأنهم إنما يصدقون النبي الذي يصدقونه لمكان ظهور المعجزة عليه، وهذا يقتضي أن كل من ظهرت المعجزة عليه كان نبيا، وعلى هذا يكون تخصيص البعض بالتصديق وبالبعض بالتكذيب متناقضاً، بل الحق تصديق الكل والاعتراف بنبوة الكل، وثالثها: أنه قال قبل هذه الآية: "أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض" آل عمران ٨٣ وهذا تنبيه على إن إصرارهم على تكذيب بعض الأنبياء إعراضا عن دين الله ومنازعة مع الله، فهاهنا أظهر الإيمان بجميع الأنبياء، ليزول عنه وعن أمته ما وصف أهل الكتاب به من منازعة الله في الحكم والتكليف، ورابعها: أن في الآية الأولى ذكر أنه أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا بكل من أتى بعدهم من الرسل، وهاهنا أخذ الميثاق على محمد صلى الله عليه وسلم بأن يؤمن بكل من أتى قبله من الرسل، ولم يأخذ عليه الميثاق لمن يأتي بعده من الرسل، فكانت هذه الآية دالة من هذا الوجه على أنه لا نبي بعده البتة.....

اختلف العلماء في أن الإيمان بهؤلاء الأنبياء الذين تقدموا ونسخت شرائعهم كيف يكون؟ وحقيقة الخلاف أن شرعه لما صار منسوخاً، فهل تصير نبوته منسوخة؟ فمن قال أنها تصير منسوخة قال: نؤمن أنهم كانوا أنبياء ورسلاً ولا نؤمن بأنهم الآن أنبياء ورسل، ومن قال أن نسخ الشريعة لا يقتضي نسخ النبوة قال: نؤمن أنهم أنبياء ورسل في الحال، فتنبه لهذا الموضع). (١)

والذي قرره الإمام الرازي من بقاء النبوة حتى بعد نسخ الشريعة هو الصحيح من أقوال أهل العلم في هذه المسألة، فنبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام ثابتة وشريعته منسوخة، فهو من أنبياء الله الذين ينبغي على المؤمن أن يؤمن بما أنزل الله إليهم من الوحي إجمالاً.

وقد ذكر الإمام الطبري(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ (٣) أن سبب نزول هذه الآية، أن قوماً من اليهود لما فضحهم الله بالآيات التي أنزلها على رسوله ﷺ وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (٤) فتلا ذلك عليهم رسول الله ﷺ فقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء بعد موسى، فأنزل الله هذه الآيات تكذيباً لهم، وأخبر نبيه والمؤمنين به أنه أنزل عليه بعد موسى، وعلى من سماهم في هذه الآية وعلى آخرين لم يسمهم.

فيعقوب عليه الصلاة والسلام من أنبياء الله الذين يوحى إليهم، بل إن درجته في الوحي مثل سائر الأنبياء الكبار، كإبراهيم ونوح وإسحاق وإسماعيل وموسى وعيسى ومحمد عليهم افضل الصلاة والسلام، وهذا دليل من دلائل نبوته عليه السلام.

---

(١) التفسير الكبير للرازي ٤/٢٦٦- ٢٦٧

(٢) جامع البيان في تاويل آي القران للطبري ٤/٢٧-٢٨

(٣) سورة النساء ،آية رقم ١٦٣

(٤) سورة النساء، آية رقم ١٥٣

الدلالة الثالثة: النص الصريح من أحد الأنبياء على نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام:

لم يتوفر في أيدينا من وسائل البحث نص صريح من الأنبياء السابقين ليعقوب عليه السلام يشير إلى نبوته، ولكنه ورد صريحاً في أحاديث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك قوله ﷺ عندما سئل عن أكرم الناس:(فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله) (١)

ومن ذلك أيضاً ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(كان **ليعقوب النبي عليه السلام** أخاً مؤاخياً في الله، فقال ذات يوم: يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك، وما الذي قوس ظهرك، قال: فقال: أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين.....الحديث) (٢)

فالنبي عليه الصلاة والسلام في هذين الحديثين ينص صريحاً على نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام والنص من النبي شهادة منه ﷺ بنبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام، فهذه إحدى الدلائل على نبوته عليه السلام.

الدلالة الرابعة: التنبؤ بالغيب من علامات وبراهين النبوة ليعقوب عليه الصلاة والسلام:

إن المقام الذي يحظى به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقربهم من الله عز وجل واتصالهم بالوحي المنزل من عند الله، يجعل الأنبياء قريبين من معرفة علوم الغيب مما يطلعهم الله عز وجل عليه، كما قال تعالى:﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ۝ ﴾ (٣)

---

(١) سبق تخريجه ص ١٥٠

(٢) سبق تخريجه انظر ص ١٥٠.

(٣) سورة الجن آية ٢٦-٢٩

فهذه الآية وغيرها تدل على أن الله قد يطلع رسله وأنبياءه على بعض علوم الغيب من حاضر أو غائب أو مستقبل، ونبي الله يعقوب قد أكرمه الله بهذه المزية، فقد جاء في سيرة يعقوب عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم، اطلاع الله له على بعض أمور الغيب كما جاء في عدة مواضع من سورة يوسف.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [1] .فالهاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ ﴾ ترجع إلى يعقوب عليه السلام. فالله عز وجل قد أوحي إلى يعقوب ما فعلوه بيوسف، وأنه سيعرفهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون. وهذا من أمور الغيب كما ذكر ذلك القرطبي رحمه الله [2].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [3].

فاخوة يوسف عليه السلام عندما جاءوا إلى أبيهم عشاءً بقميص يوسف ملطخ بدم مكذوب، موهمين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب وقد أصابه من دمه فوقع في نفس يعقوب كذب أبناءه عليه، فقال لهم معرضاً عن كلامهم: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [4] أي فسأصبر صبراً جميلاً على هذا الأمر الذي اتفقتم عليه حتى يفرجه الله بعونه ولطفه، ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [5] أي على ما

(١) سورة يوسف آية ١٥
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٥/٥
(٣) سورة يوسف آية ١٨
(٤) سورة يوسف اية ١٨
(٥) سورة يوسف اية ١٨

تذكرون من الكذب والمحال. فقد وقر في نفسه عليه الصلاة والسلام كذب أبناءه عليه، وهذا قد يكون من علم الغيب الذي أطلعه الله عليه.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١)

فقد قال يعقوب ذلك لأبنائه لما سمع منهم الكلام في حق أخيهم بنيامين. وقد قيل في تفسير قوله تعالى:﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ أي إخراج بنيامين عني والمسير به إلى مصر طلباً للمنفعة فعاد من ذلك شر وضرر، وألححتم علي في إرساله معكم ولم تعلموا أن قضاء الله إنما جاء على خلاف تقديركم. فكان يعقوب عليه السلام في معارضته لهم في البداية إنما هو من قبيل ما وقع في قلبه من احتمال وقوع بعض الضرر الذي قد يحدث لو أرسله معهم، ولكن الله غالب على أمره فأرسله.

ومن ذلك قول الحق جل وعلا: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾(٢)

فالله عز وجل قد أوصل رائحة يوسف ليعقوب على سبيل إظهار المعجزة، لأن وصول الرائحة من هذه المسافة البعيدة أمر خارق على العادة، ولا شك أن يعقوب عليه السلام متصل بالله عز وجل بطريق الوحي، وهو طريق لمعرفة الغيب مما يظهره الله له.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣)

---

(١) سورة يوسف،آية رقم ١٨

(٢) سورة يوسف، آية رقم ٩٤

(٣) سورة يوسف،آية رقم ٦٨

فالله تعالى مدح نبيه يعقوب بقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ في إشارة واضحة إلى علو مرتبة يعقوب، وما كان يتمتع به من علوم علمه الله إياها من علوم الدنيا والآخـــرة، ومن ذلك احترازه من الأمور المستقبلية، ودفع أبنائه لأخذ الحيطة كما جاء في الآية، وهو من العلوم التي لا يمكن إدراكها إلا بإطلاع الله لعباده عليها.

فكل الآيات التي مر ذكرها فيها إشارات إلى اطلاع الله عز وجل لنبيه يعقوب عليـــه السلام على بعض من الغيوب، وهذه من دلائل النبوة له عليه السلام.

الدلالة الخامسة: ميراث الأنبياء لمن يأتي بعدهم كما كان ليعقوب عليه الصلاة والسلام:

نلمح في سيرة يعقوب عليه الصلاة والسلام الواردة في القرآن الكريم بعض الـدلالات التي تثبت نبوته عليه السلام، ومن هذه الدلالات الميراث الذي يحصل لأنبياء الله كمـــا قـــال النبيﷺ:(إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه.....الحديث) [1]

وقد ورد في القرآن الكريم دعاء زكريا عليه السلام وسؤاله لله أن يرزقه الذرية التـــي يكون لها ميراث آل يعقوب، فقال تعـــالى حكايـــة عنـــه:﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[2]

وقد ذكر ابن جرير رحمه الله عدة روايات عن ومجاهد [3]والحسن[4] والسدي،[5] فـــي بيان أن الميراث من آل يعقوب عليه السلام إنما هو النبوة، وهذا إثبات لنبوة يعقـــوب عليـــه

---

(١) رواه أبو داود في سننه كتاب العلم برقم (٣٦٤١) ٣١٧/٣ و الترمذي في جامعة كتـــاب العلـــم برقـــم (٢٦٨٢) ٤٨/٥-٤٩ و ابن ماجه في سننه المقدمة برقم (٢٢٣)٨١/١ والدامي مقدمة برقم (٣٤٢) ١١٠/١

(٢) سورة مريم آية ٦

(٣) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، تابعي إمام في التفسير ، توفي سنة ١٠٤هـــ أنظر الاعلام للزركلـــي ٢٧٨/٥.

(٤) الإمام أبو سعيد البصري، الفقي المشهور، أحد كبار التابعين، ولد في خلافة عمر بن الخطاب، وتوفـــي بالبصرة سنة ١١٠هـــ أنظر الاعلام للزركلي ٢٢٦/٢.

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكبير ولد بالحجاز وتوفي سنة ١٢٨هـــ انظر الاعـــلام للزركلي ٣١٧/١.

السلام وأن النبوة استمرت في آله من بعده، وكما هو معلوم فإن زكريا كان من ولد يعقوب عليهما صلاة الله وسلامه.

ولكن ينبغي أن ننبه إلا أن النبوة لا تنتقل من الآباء إلى الأبناء لزاماً، وإنما بالتربية والدعاء إلى الله للتوفيق على بقاء هذا الخير فيهم، ثم يكون الاصطفاء والاختيار من الله، فيختص الله برحمته من يشاء.

وننقل هنا كلاماً للإمام الرازي، فيه تفصيل لآراء العلماء حول معنى ميراث الأنبياء الذي ورد في القرآن الكريم، فيقول رحمه الله:

(واختلفوا في المراد بالميراث على وجوه **أحدها:** أن المراد بالميراث في الموضعين هو وراثة المال، وهذا قول ابن عباس والحسن والضحاك. **وثانيها:** أن المراد به في الموضعين وراثة النبوة، وهو قول أبي صالح. **وثالثها:** يرثني المال ويرث من آل يعقوب النبوة، وهو قول السدي ومجاهد والشعبي، وروي عن مجاهد. واعلم أن هذه الروايات ترجع إلى أحد أمور خمسة، وهي المال ومنصب الحبورة والعلم والنبوة والسيرة الحسنة، ولفظ الإرث مستعمل في كلها. أما في المال فلقوله تعالى: " أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم" الأحزاب٢٧ وأما في العلم فلقوله تعالى: " ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب" غافر ٥٣ وقال عليه السلام: "العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم" وقال تعالى:" ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين* وورث سليمان داود" النمل ١٥، ١٦ وهذا يحتمل وراثة الملك ووراثة النبوة. وقد يقال أورثني هذا غماً وحزناً، وقد ثبت أن اللفظ محتمل لتلك الوجوه. واحتج من حمل اللفظ على وراثة المال بالخبر والمعقول، أما الخبر فقوله عليه السلام:"رحم الله زكريا ما كان له من يرثه" وظاهره يدل على أن المراد إرث المال. وأما المعقول فمن وجهين. الأول: أن العلم والسيرة والنبوة لا تورث، بل لا تحصل إلا بالاكتساب، فوجب حمله على المال. الثاني: أنه قال:"واجعله رب رضياً" ولو كان المراد من الإرث إرث النبوة، لكان قد سأل جعل النبي ﷺ رضياً، وهو غير جائز، لأن النبي لا يكون إلا رضياً معصوماً. وأما قوله

عليه السلام:"إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة" فهذا لا يمنع أن يكون خاصاً به. واحتج من حملة على العلم أو المنصب والنبوة، بما علم من حال الأنبياء أن اهتمامهم لا يشتد بأمر المال كما يشتد بأمر الدين، وقيل: لعله أوتي من الدنيا ما كان عظيم النفع في الدين، فلهذا كان مهتماً به. أما قوله النبوة كيف تورث قلنا: المال إنما يقال ورثه الابن، بمعنى قام فيه مقام أبيه، وحصل له من فائدة التصرف فيه ما حصل لأبيه، وإلا فملك المال من قبل الله لا من قبل المورث. فكذلك إذا كان المعلوم في الابن أن يصير نبياً بعده فيقوم بأمر الدين بعده، جاز أن يقال ورثه. أما قوله عليه السلام: "إنا معشر الأنبياء" فهذا وإن جاز حمله على الواحد كما في قوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر"الحجر ٩ لكنه مجاز، وحقيقته الجمع والعدول عن الحقيقة من غير موجب لا يجوز، لا سيما وقد روي قوله:"إنا معاشر الأنبياء لا نورث". والأولى أن يحمل ذلك على كل ما فيه نفع وصلاح في الدين، وذلك يتناول النبوة والعلم والسيرة الحسنة والمنصب النافع في الدين والمال الصالح، فإن كانت هذه الأمور مما يجوز توفر الدواعي على بقائها ليكون ذلك النفع دائماً مستمراً) (١).

وما ذكره الإمام الرازي بأن أصح هذه الأقوال أن الإرث هو المال، ليس فيه دلالة ظاهرة. وما ذكره رحمه الله بأن العلم والسيرة والنبوة لا تورث، بل لا تحصل إلا بالاكتساب فيه نظر، بل لا يصح، لأن النبوة اصطفاء من الله لا تكتسب ولا تورث، وإنما الذي ورد عن زكريا عليه السلام هو الدعاء والالتجاء إلى الله بأن يورث ابنه ما كان لآل يعقوب عليه السلام من النبوة، أي أنه تمنى على الله أن يجعل ابنه من الأنبياء الأبرار.

فهذا ما ورد حول ميراث آل يعقوب، حيث كان زكريا عليه السلام يدعو ربه بأن يرزقه الذرية التي تحمل هذا الميراث. فظاهر أن ميراث آل يعقوب هو النبوة والعلم، ولذا قال الله عز وجل في سورة العنكبوت: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ

(١) التفسير الكبير للرازي ٧/٥١٠-٥١١

وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١).

فالآية تشير إلى ما وهب الله نبيه إبراهيم من الذرية المباركة التي تحمل من بعده رسالة النبوة والكتاب المنزل من عند الله. فهذا هو الميراث الذي ورث من يعقوب عليه السلام، أي العلم والنبوة.

الدلالة السادسة: إتمام النعمة على الإنسان لا يكون إلا باصطفائه لمقام النبوة:

إن النعمة العظمى التي يحصل عليها البشر والتي لا يضاهيها نعمة أخرى، لا بد أن تكون فيها الغاية والكمال للإنسان، وإن أعظم ما يتصف به الإنسان هو العقل الذي يميزه ويفضله على سائر المخلوقات. وإن لهذا العقل مراتب ودرجات، أعلاها مرتبة وأعظمها رفعة هي كمال العقل، الذي يحصل بكمال العلم الذي هو تمام النعمة، وهو حظ الأنبياء عليهم السلام. ولذا قال الله عز وجل في سورة يوسف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٢).

فهذا الخطاب الذي وجهه يعقوب لابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام، ظاهر في بيان تمام النعمة التي حصلت ليوسف عليه الصلاة والسلام، والتي حصلت ليعقوب ووالديه إبراهيم وإسحق من قبل، وهي نعمة النبوة، وفي ذلك يقول الإمام القرطبي عند تفسير هذه الآية بان المراد بتمام النعمة أي النبوة(٣) ويقول الرازي في معنى اتمام النعمة:-

(فهاهنا يفسر إتمام النعمة بالنبوة، ويتأكد هذا بأمور، **الأول:** أن إتمام النعمة عبارة عما به تصير النعمة تامة كاملة خالية عن جهات النقصان، وما ذاك في حق البشر إلا بالنبوة، فإن جميع مناصب الخلق دون منصب الرسالة ناقص بالنسبة إلى كمال النبوة. فالكمال المطلق

---

(١) سورة العنكبوت آية ٢٧

(٢) سورة يوسف آية ٦

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٦/٥ ١٦٣

والتمام المطلق في حق البشر ليس إلا النبوة، **والثاني:** قوله:" كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق" ومعلوم أن النعمة التامة التي بها حصل امتياز إبراهيم وإسحاق عن سائر البشر، ليس إلا النبوة، فوجب أن يكون المراد بإتمام النعمة هو النبوة).(١)

وعلى أي حال فالنص القرآني قد أشار إلى إتمام النعمة على يعقوب عليه السلام، وهذه النعمة العظمى ما هي إلا النبوة و الرسالة.

الدلالة السابعة: دعوة يعقوب إلى توحيد الله عز وجل من دلائل نبوته عليه السلام:

إن لب دعوات الرسل وجوهر الرسالات السماوية هو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ ما يعبد من دونه. وقد عرض القرآن هذه القضية وأكدها في مواضع متعددة، فجميع أنبياء الله قد دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده وتوحيده وتنزيهه عن الشركاء والأنداد، فينص القرآن على وحدة الدين الذي شرعه الله لرسله الكرام بقوله تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ (٢)

فنوح عليه السلام يخاطب قومه بقوله:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (٣) وإبراهيم عليه السلام قال لقومه: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) وهود عليه السلام قال لقومه:﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ (٥) وصالح عليه السلام قال لقومه: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (٦) وغيرهم من الأنبياء على هذا النهج القويم.

---

(١) التفسير الكبير للرازي ٤٢١/٦

(٢) سورة الشورى آية ١٣

(٣) سورة الأعراف آية ٥٩

(٤) سورة العنكبوت آية ١٦

(٥) سورة الأعراف آية ٦٥

(٦) سورة الأعراف آية ٧٣

و ينص القرآن الكريم على أن الله سبحانه أرسل رسله جميعا بهذه المهمة الواحدة قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (١) و يسرد القرآن سيرة الأنبياء وأتباعهم، وينظمهم في سلك واحد جاعلاً منهم أمة واحدة لها إله واحد، قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٢) ثم يدعو للاستجابة لأمر الله وتحقيق العبودية له في الدين والملة، ويحكم على من يأباها بالسفه والضلال قال تعالى:﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾(٣)وملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام حددها بقوله: ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٤)

فالدعوة إلى الله وتوحيده الخالص هي منهج الرسل المستقيم الذي لا يحيدون عنه ولا يختلفون فيه، فطريقتهم واحدة فيما يأمرون به من عبادة الله والعمل بطاعته والتصديق باليوم الآخر والإيمان بجميع الكتب والرسل، فلا يمكن خروج واحد منهم على ما اتفقوا عليه، فهم صلوات الله عليهم، يصدق متأخرهم متقدمهم، ويبشر متقدمهم بمتأخرهم. وهذا ما نلمسه في سيرة يعقوب عليه الصلاة والسلام من خلال القرآن فقال تعالى في شأن يعقوب: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٥) وقال سبحانه:﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ

(١) سورة الأنبياء آية ٢٥
(٢) سورة الأنبياء آية ٩٢
(٣) سورة البقرة آية ١٣٠
(٤) سورة الانعام آية ٧٩
(٥) سورة البقرة آية ١٣٢

لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [1] وقال سبحانه:﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [2] وقال سبحانه:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[3]

فمظاهر دعوة يعقوب إلى التوحيد واضحة في كتاب الله، فوصيته لأبنائه بالالتزام بالتوحيد صريح لا مراء فيه، ونبذ الشرك عن الله بجميع صوره وأشكاله، أساس وسمة بارزة في رسالته، وأمره ودعوته لعبادة الله بأنواع العبادات كالصلاة والزكاة ونحوها ظاهر لا غموض فيه. فهو على نهج سائر الأنبياء في الدعوة إلى الله، وهذا دليل ظاهر على سيره في طريق إخوانه الأنبياء، وهو من دلائل نبوته عليه السلام.وسيأتي الحديث مفصلاً عن مظاهر دعوته وصورها في المبحث الثاني من هذا الفصل، إن شاء الله تعالى.

الدلالة الثامنة: الابتلاء الذي حصل ليعقوب من دلائل نبوته عليه السلام:

لما كان رسل الله وأنبياؤه هم صفوة خلقه الذين اجتباهم على عباده لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، تحتم عقلاً وشرعاً أن يكونوا أكمل الناس إيماناً ويقيناً وصبراً. فاقتضت حكمة الله أن تكون حياة الرسل والأنبياء نماذج بشرية سامية بهذه التجارب الإبتلائية حتى يكونوا النموذج والمثال العظيم للناس في الصبر والاحتساب. وقد ابتلي أنبياء الله جميعاً بأنواع من المحن، وكان ديدنهم التحمل لهذا البلاء، والصبر على قضاء الله. ولم يسلم يعقوب عليه الصلاة والسلام من ابتلاء الله الذي تحتم على عباده، فقد قص علينا القرآن محنته العظيمة بدخول الشحناء والحسد بين أبنائه، والذي أثر في حياة يعقوب عليه الصلاة والسلام زمناً طويلاً يتجاوز العشرات من السنين، ولم يكن لهذا النبي العظيم إلا الصبر والتحمل لما يجريه

(١)سورة البقرة آية ١٣٣

(٢)سورة يوسف آية ٣٨

(٣) سورة الأنبياء آية ٧٢-٧٣

الله عليه من المحن والبلايا، كما في قصة ابنه يوسف عليه الصلاة والسلام مع اخوته، بعد أن نزغ الشيطان بينهم، وما حدث فيها من عجائب وأمور عظام. حتى نرى في ثنايا هذه القصة الموقف العظيم لهذا النبي الكريم، من الصبر والالتجاء والرجاء للمولى جل جلاله، كما حكى الله تعالى عن قوله:﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [2] وقوله:﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [3]

فكان موقف يعقوب عليه السلام، عندما أخبره بنوة بأن الذئب أكل أخاهم يوسف، مع يقينه بكذب بنيه هؤلاء، وأن يوسف قد تعرض لامتحان عسير، كان موقف يعقوب عليه السلام هو الصبر على البلاء، وتفويض الأمر لله وعدم الجزع، وفي ذلك قدوة لكل عبد صالح يبتلى ويمتحن.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ وصف لشدة محنة يعقوب في فقده لولديه، والتجائه لله عز وجل، فقال عليه الصلاة والسلام:

(كان **ليعقوب النبي عليه السلام** أخا مؤاخيا في الله فقال ذات يوم: يا يعقوب، ما الذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك، قال: فقال: أما الذي اذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين. فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا يعقوب، إن الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول: أما تستحي تشكوني إلى غيري، قال: فقال يعقوب: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) [4].

فيا لها من ابتلاءات عظيمة توالت على نبي الله يعقوب عليه السلام، أضعفت قواه وشاب رأسه وابيضت عيناه، غير أنه صبر واحتسب مع يقينه بأن بعد كل عسر

---

(١) سورة يوسف آية ١٨

(٢) سورة يوسف آية ٨٧

(٣) سورة يوسف،آية ٨٦

(٤) سبق تخريجه ص ١٥٠

يسرا. فالابتلاء سنة الله في أنبيائه ورسله، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم في الفضل والتقوى، فمن علامات النبوة ابتلاء الله لرسله بأنواع من المحن والبلايا، بالنعمة والنقمة، ليرى صبرهم على النقم وشكرهم على النعم. ويعقوب عليه الصلاة والسلام قد ابتلي في حياته فصبر، بل أصبح قدوة لعباد الله المتقين في هذا الباب، فهذا من دلائل النبوة وإن كانت هذه الدلالة لوحدها لا تكفي في إثبات النبوة، وإنما لابد من اقترانها بدلائل أخرى تجعلها من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام.

هذه هي أهم الدلالات التي من خلالها نثبت نبوة يعقوب عليه السلام، ونحن نؤكد هنا أن النص الصريح في القرآن الكريم والسنة النبوية على نبوة يعقوب، هو وحده دليل كاف على إثبات نبوته، ولكننا آثرنا أن نذكر كل الدلائل والقرائن المشيرة إلى نبوته عليه السلام، حتى يكون بحثنا موضوعيا في معرض المقارنة بين سيرة يعقوب عليه السلام كما جاءت في القرآن الكريم من جانب، والعهد القديم من جانب آخر، والله سبحانه أعلم وأحكم.

المبحث الثاني

دعوة يعقوب عليه الصلاة والسلام للتوحيد مع ذكر وصيته عند وفاته

الرسالات التي جاء بها الأنبياء جميعا منزلة من عند الله العليم الحكيم الخبير، ولذلك فإنها تمثل صراطا واحدا يسلكه السابق واللاحق، ومن خلال تتبعنا لدعوة الرسل التي أشار إليها القرآن الكريم، نجد أن الدين الذي دعت إليه الرسل جميعا واحد هو الإسلام،قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (١) والإسلام في لغة القرآن ليس اسما لدين خاص بنبي معين، وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء. فنوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢).

والإسلام هو الدين الذي أمر الله به أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣) ويوصي كل من إبراهيم ويعقوب أبناءه قائلين: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٤) وأبناء يعقوب يجيبون أباهم: ﴿ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٥) وموسى عليه السلام يقول لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ (٦) والحواريون يقولون لعيسى عليه السلام:﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩
(٢) سورة يونس آية ٧٢
(٣) سورة يونس آية ٧٢
(٤) سورة البقرة آية ١٣١
(٥) سورة البقرة آية ١٣٢
(٦) سورة البقرة آية ١٣٣

وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [1] وحين سمع فريق من أهل الكتاب القرآن قالوا: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [2].

فالإسلام شعار عام، كان يدور على ألسنة الأنبياء جميعا وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية. والإسلام هو الطاعة والانقياد والاستسلام لله تعالى بفعل ما يأمر به وترك ما ينهى عنه، ولذلك فإن الإسلام في عهد نوح يكون باتباع ما جاء به نوح، وكذلك الإسلام في عهد يعقوب يكون باتباع ما جاء به يعقوب عليه الصلاة والسلام، وهكذا جميع الأنبياء.

والدعوة إلى الإسلام هي لب دعوات الرسل وجوهر الرسالات السماوية، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونبذ ما يعبد من دونه.والمتأمل في حياة يعقوب عليه الصلاة والسلام من خلال القرآن يجدها مليئة بالدعوة إلى الله، وإلى توحيده الخالص بأنواع مختلفة وصور متعددة، هي:

الصورة الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ .... الآية ﴾ [3]

إن النذارة من الأنبياء ورسل الله إلى أقوامهم هو التخويف من عذاب الله وحلول سخطه في الدنيا والآخرة على الناس إذا أعرضوا عن عبادته، ولذلك نجد أن دعوة الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه إلى عبادة الله وتوحيده سبحانه وتعالى، إنما كانت لإخراجهم وإنقاذهم من مغبة الشرك والضلال، وصدهم عن الخسران المبين، الذي يكون جزاء لكل من خالف أمر الله عز وجل في الدنيا و الآخرة .

وبناء على ذلك فان لازم من اختارهم الله لرسالته ودعوته و لنذارة بني البشر، هو الدعوة إلى توحيد الله الخالص بكل اجتهاد وإخلاص.وهذا ما يؤكده الشيخ رشيد رضا بقوله:-

---

(١) سورة يونس آية ٨٤

(٢) سورة آل عمران آية ٥٢

(٣) سورة فاطر آية ٢٤

(بين في آيات متعددة وفي سور متفرقة أن المرسلين لم يرسلوا إلا مبشرين ومنذرين، فمن آمن بهم وعمل بما يرشدون إليه كان ناجيا وإن بعد عنهم في النسب، ومن أعرض عن هديهم كان هالكا، وإن أدلى إليهم بأقرب سبب)[1]

ويعقوب عليه الصلاة والسلام كما مر معنا في المبحث السابق هو من أنبياء الله المصطفين الأخيار، بل هو من أعظم الأنبياء والرسل السابقين لنبينا محمد ﷺ. ويعقوب عليه الصلاة والسلام قد قام بمهمة الدعوة إلى الله وإلى توحيده الخالص خير قيام، وأنذر الناس من عذاب الله، حتى وإن لم يصلنا من خبره شئ، فكيف وقد رأينا ما قام به من أعمال في سبيل ذلك كما قص علينا القرآن الكريم.

الصورة الثانية: قوله تعالى:﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[2]

تدل الآيتان السابقتان دلالة صريحة وقوية على اهتمام يعقوب عليه السلام في دعوته إلى الإسلام، كما هو ظاهر قوله تعالى:﴿ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ ﴾ على القراءة بالرفع، أي أن يعقوب قد أوصى بنيه كذلك، وشاهد ذلك في سؤاله واختباره لأبنائه عمن يعبدون من بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، والآية التي بعدها. خطاب من الله سبحانه وتعالى لليهود والنصارى في دعواهم في إبراهيم ويعقوب أنهم كانوا على ملتهم، فقال لهم: أكنتم يا معشر اليهود والنصارى المكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم، الجاحدين نبوته، حضور يعقوب وشهوده إذ حضره الموت، أي أنكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل وتنحلوهم اليهودية والنصرانية، فإني ابتعثت خليلي إبراهيم وولده إسحاق وأبنائهم وذريتهم بالحنيفية المسلمة، وبذلك وصوا بنيهم وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم، فلو حضرتموهم

---

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ٤٧٩/١

(٢) سورة البقرة آية ١٣٢ -١٣٣

فسمعتم منهم ذلك علمتم أنهم على الاسلام دعاة إليه، وأنهم يراء مما تنحلوهم به من الأديان والملل.

ويقول الإمام الطبري في تفسير هاتين الآيتين:-

(وأما من قرأ: " ووصى" مشددة، فإنه يعنى بذلك أنه عهد إليهم عهدا بعد عهد وأوصى وصية بعد وصية.القول في تأويل قوله تعالى:" يا بني إن الله اصطفى لكم الدين" يعنى تعالى ذكره بقوله: "إن الله اصطفى لكم الدين" أن الله اختار لكم هذا الدين الذي عهد إليكم فيه، واجتباه لكم، وإنما أدخل الألف واللام في الدين لأن الذين خوطبوا من ولدهما وبنيهما بذلك كانوا قد عرفوه بوصيتهما إياهم به، وعهدهما إليهم فيه، ثم قالا لهم بعد أن عرفاه لهم: إن الله اصطفى لكم هذا الدين الذي قد عهد إليكم فيه، فاتقوا الله أن تموتوا إلا وأنتم عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:" فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون"

إن قال لنا قائل أنه يجوز تمني الموت والحياة، فيتمنى أحدهم أن يموت إلا على حالة دون حالة، قيل له: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننت، وإنما معناه فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، أي فلا تفارقوا هذا الدين وهو الإسلام أيام حياتكم، وذلك أن أحدا لا يدري متى تأتيه منيته. فلذلك قالا لهم: "فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" لأنكم لا تدرون متى تأتيكم مناياكم من ليل أو نهار، فلا تفارقوا الإسلام فتأتيكم مناياكم وأنتم على غير الدين الذي اصطفاه لكم ربكم، فتموتوا وربكم ساخط عليكم فتهلكون)[1]

فالإمام الطبري يقرر في هاتين الآيتين كيف كانت وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه، وأمره لهم بلزوم عبادة الله وحده لا شريك له. وكيف كان يوصيهم المرة بعد الأخرى من شدة حرصه على دعوتهم إلى توحيد الله وعبادته وطاعته، فهم أقرب الناس إليه، ولذلك جاءت وصيته من قلب صادق مشفق رحيم في أحرج الأوقات، وهو وقت احتضاره عليه السلام.

وسبق أن بينا بأن الذي وصى به إبراهيم بنيه، هو الأمر نفسه الذي وصى به يعقوب عليه السلام بنيه كما في قراءة الرفع للآية. ولذلك فقد جاءت وصية يعقوب عليه

(١) جامع البيان في تأويل أي القرآن،١/٥٦١-١٧٢٥٦٣

السلام قوية وعظيمة لأبنائه الذين شهدوا حال وفاته، رغم أنهم قد عرفوا دين الإسلام من قبل، ومع ذلك أكد لهم عليه الصلاة والسلام هذه العبادة التي يجب أن يتمسكوا بها حتى وفاتهم.

وفي بعض الروايات عن ابن عباس أن أبناء يعقوب عليه السلام كانوا يعبدون الأوثان والنيران، وأنه عليه السلام قد وجههم لعبادة الله في وصيته عند وفاته[1]، غير ان هذا لا يصح في حق أبناء يعقوب عليه السلام، بل الصحيح أنهم كانوا مؤمنين موحدين على دين الإسلام، وإنما أراد عليه السلام أن يختبر ثباتهم على عقيدة الإسلام، وتطمئن نفسه بذلك، وقد قال الإمام القرطبي في تفسيره في هذا الموضع:

(ومعنى:"حضر يعقوب الموت" أي مقدماته وأسبابه. وإلا فلو حضر الموت لما أمكن أن يقول شيئا، وعبر عن المعبود بـ:"ما" ولم يقل: "من" لأنه أراد أن يختبرهم، ولو قال: "من" لكان مقصوده أن ينظر من لهم الاهتداء منهم، وإنما أراد تجربتهم فقال "ما". وأيضا فالمعبودات المتعارفة من دون الله، جمادات كالأوثان والنار والشمس والحجارة، فاستفهم عما يعبدون من هذه. ومعنى من بعدي، أي من بعد موتي. وحكي أن يعقوب حين خير كما تخير الأنبياء اختار الموت وقال: أمهلوني حتى أوصي بني وأهلي، فجمعهم وقال لهم هذا فاهتدوا، وقالوا: " نعبد إلهك..... الآية " فأروه ثبوتهم على الدين ومعرفتهم بالله تعالى).[2]

فهذه الصورة من صور دعوة يعقوب عليه السلام إلى توحيد الله، واهتمامه البالغ بهذا الأمر، ظاهرة في وصيته لأبنائه، مما يوحي لنا بأن هذه الدعوة كانت هي الهاجس الوحيد الذي يخفق في قلب يعقوب عليه الصلاة والسلام. وما أروعها من صورة عظيمة تجسد لنا مكانة هذا النبي الكريم في دعوته إلى دين الله، بل

(١) التفسير الكبير للرازي ١/٦٤-٦٦

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ١/٥٦٣-٥٦٦١

وأثر دعوته على أبنائه حتى أصبحوا من بعده، دعاة لها متمسكين بها حتى الموت.

الصورة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (١)

إن البعد عن الشرك بكافة صوره، هو الشرط الثاني من شروط صحة شهادة التوحيد. فلازم شهادة أن لا إله إلا الله نبذ الند والشريك عن الله عز وجل، وإخلاص العبادة لله وحده. ومن هذا المنطلق يتجه الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه نحو قومهم في دعوتهم إلى توحيد الله الخالص الذي لا تشوبه شائبة، ونحن عند الحديث عن سيرة يعقوب عليه الصلاة والسلام ودعوته إلى التوحيد نجد هذا ظاهرا في قول ابنه يوسف عليه الصلاة والسلام، في بيان سيرة آبائه وأجداده يعقوب وإسحاق وإسماعيل وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام، في نبذ الشرك والبعد عنه بجميع صوره وأشكاله.

ففي هذه الآية التي وردت في ثنايا حديث يوسف عليه السلام لصاحبي السجن، يقول يوسف عليه السلام مبينا اتباعه دين الإسلام لا دين أهل الشرك، ودين الإسلام هو دين آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وقد ذكر آباءه ليري صاحبي السجن أنه من بيت النبوة، بعد أن عرفهم أنه نبي يوحى إليه بما ذكر لهما من إخباره بالغيوب. ثم قوله عليه السلام: ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء، ليبين لهم أنه لا يجوز أن يجعل لله شريكا في عبادته وطاعته، ذلك لأن أصناف الشرك كثيرة، فمن الناس من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد النار، ومنهم من يعبد الكواكب وغير ذلك. فهو يرد على جميع هذه الطوائف بأنه لا ينبغي أن يعبد أحد من دون الله، فإنه لا موجد ولا خالق ولا رازق إلا

(١) سورة يوسف ، آية٣٨

هو سبحانه، ولا معبود بحق إلا هو. ثم بين لهما أن هذا التوحيد والبعد عن الشرك باتباع ملة آبائه هو فضل الله عليه وعليهم، ولكن أكثر الناس لا يشكرون فضل الله، فيشركون به ولا يتنبهون. فدل هذا على أنه يجب على كل مؤمن أن يشكر الله تعالى على نعمة الإيمان.

ومن كلام يوسف عليه السلام، يتضح أن الشرك بمختلف أنواعه وصوره لا يصلح أن يقع منهم البتة، وهم الأنبياء المقربون لذلك عبر بقوله:"من شيء" فشيء هنا نكرة، فهي شاملة لجميع أنواع الشرك وصوره، وإن كانت صغيرة جدا. وكذلك لا ينبغي أن يقع هذا الشرك من غيرهم من سائر الناس.

الصورة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (١)

تتبين دعوة يعقوب عليه الصلاة والسلام إلى توحيد الله من خلال سنه للشرائع، وإقامة العبادات كالصلاة والزكاة والتهيئة لها ببناء المعابد، كبناء بيت المقدس، وجعل هذا المكان من الأماكن المقدسة لعبادة الله إلى يوم الدين، وبيان الحلال والحرام في المأكل والمشرب، وفعل سائر الخيرات والدعوة إليها.

فهذه الشرائع وما تحمل من سنن لعبادة الله، ما هي إلا نوع من العمل الدؤوب في الدعوة الصريحة إلى توحيد العبادة، وهو ما يسمى بتوحيد القصد والطلب، يظهر جليا في النصوص التالية:

قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ .... الآية﴾ (٢) وقال جل شأنه:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٣

(٢) سورة آل عمران آية ٩٣

مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [1] وقال عز من قائل سبحانه: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ۝ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴾ [2] وغيرها من الآيات.

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ:

(فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر مناديا ينادي: ألا من أراد الغداء من المساكين ليتغد مع يعقوب، وإذا كان صائما أمر مناديا فنادى: ألا من كان صائما من المساكين فليفطر مع يعقوب عليه السلام) [3].

فمما سبق يتبين كيف كان يعقوب عليه السلام يحمل هم دعوة الناس إلى عبادة الله وطاعته. ففي قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴾ عنى سبحانه بقوله (كلا) إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، فجعلهم الله سبحانه عاملين بطاعته مجتنبين محارمه. وقوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي أئمة يقتدى بهم في أمر الله، ويهدون الناس ويدعونهم لعبادته. ثم قال سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴾ [4].

---

(١) سورة مريم آية ٥٨

(٢) سورة الأنبياء آية ٩٢-٩٣

(٣) سبق تخريجه ص ١٥٠

(٤) سورة الأنبياء آية ٩٣

فأنبياء الله عليه السلام يطبقون شرع الله على ذواتهم قبل الآخرين، ولذا نجدهم خير مثال للاقتداء بهم والسير على هديهم، فهم العباد الممتثلون لشرع الله. وفي الآيتين أيضا بيان للجائز من المأكل والمشرب والحرام منه، وبيان للعبادة لله بالسجود له سبحانه وتعالى، فهي شريعة لعبادة الله، و صورة من صور الدعوة إلى الله.

ومما سبق نخلص إلى أن وضع الشريعة وسن العبادات هو التطبيق العملي لتوحيد العبادة، الذي هو توحيد القصد والطلب. فيعقوب عليه الصلاة والسلام قد جاء بشريعة من عند الله عز وجل كما هو نص قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ ..... الآية﴾ لإقامة العبادة الحقة لله عز وجل وحده دون سواه، والتحذير من اتخاذ الشركاء والأنداد لله سبحانه وتعالى، فهذه صورة براقة من صور دعوة يعقوب عليه السلام إلى دين الله عز وجل.

الصورة الخامسة: قوله تعالى:﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٧ ﴾ (١)

إن من صور الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، ما ذكره الله عز وجل من اشتهار يعقوب عليه الصلاة والسلام ووالديه إبراهيم وإسحاق عليهما أفضل الصلاة وأتم السلام، واتصافهم جميعا باليد الطولى على الناس، وأثرهم الجلي في أقوامهم. وشاهد ذلك أنهم أصحاب قوة في أمر الله، ودعوة الناس إلى عبادة الله، ولذلك وصفهم الله عز وجل بقوله: **﴿ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾.**

فمن ذلك قصة قتال يعقوب عليه السلام وأبناءه لقوم شكيم بن حمور، والتي ذكرها الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في كتابه البداية والنهاية، وملخصها أن شكيم بن حمور قهر دينة بنت يعقوب على نفسها وأدخلها منزله، ثم خطبها من أبيها واخوتها، فقال اخوتها: إلا أن تختتنوا كلكم فنصاهركم وتصاهرونا، فإنا لا نصاهر قوما غلفا.

(١) سورة ص آية ٤٥-٤٨

فأجابوهم إلى ذلك واختتنوا كلهم، فلما كان اليوم الثالث واشتد وجعهم من ألم الختان، مال عليهم بنو يعقوب فقتلوهم عن آخرهم، وقتلوا شكيما وأباه حمور، لقبيح ما صنعوا إليهم، مضافا إلى كفرهم وما كانوا يعبدونه من أصنامهم. بل إن بعض المؤرخين يذكر أن يعقوب عليه الصلاة والسلام كان يدعو إلى الله وممن دعاه إلى الإسلام شكيم هذا فلم يقبل دعوته، فقام يعقوب عليه السلام بقتاله وانتصر عليه.(١).

وجاء في سفر التكوين في خطاب يعقوب لولده يوسف عليه السلام قوله:(..ها أنا أموت ولكن الله سيكون معكم ويردكم إلى أرض آبائكم، وأنا قد وهبت لك سهما واحدا فوق أخوتك أخذته من يد الأمور بسيفي وقوسي)(٢)فهذا النص يبين ما كان عليه يعقوب عليه السلام من حرصه على نشر هذا الدين، حتى لو اقتضى هذا الأمر استخدام السلاح وهو إشارة إلى جهاده في سبيل الله. فهذه النصوص شواهد على جهاد يعقوب عليه السلام في دعوته إلى دين الله وتوحيده، وهي صورة من صور شجاعته في الجهاد لإعلاء دين الله.

الصورة السادسة: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣)

وقال سبحانه: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٤)

---

(١)انظر البداية والنهاية لابن كثير ١/١٨٤

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٤٨: ٢١-٢٢

(٣) سورة يوسف آية ٦

(٤) سورة يوسف آية ٣٨

وقال جل شأنه: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١)وقال عزمن قائل سبحانه: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (٢).

إن من هدي الأنبياء في تبليغ دعوتهم للناس أن يبدءوا بدعوة الأقربين وإنذارهم، ولذا قال الله عز وجل موجها الخطاب لنبيه محمد ﷺ :﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (٣)

فالأصل أن يبدأ النبي بدعوة أقرب الناس إليه، فيبدأ النبي بدعوة أهل بيته قبل الخروج في دعوة الناس جميعا، ونبي الله يعقوب عليه السلام قد سار على هذا المنوال، فكلماته وتوجيهاته وأوامره ونواهيه لأبنائه وأهل بيته ظاهرة في بيان أن العبادة التي تنطلق من البشر لا ينبغي أن تصرف إلا لله وحده خالق السماوات والأرض، كما هو في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (٤) ولـه: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ...الآية﴾ (٥) قد انعكست هذه التوجيهات في تربية أبنائه حتى أصبحت ظاهرة

(١) سورة يوسف آية ٦٦-٦٧
(٢) سورة يوسف آية ٨٥-٨٧
(٣) سورة الشعراء آية ٢١٤
(٤) سورة يوسف آية ٨٧
(٥) سورة يوسف آية ٨٦

في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام، وذلك دعته امرأة العزيز وراودته عن نفسه. فنجد أن يوسف عليه السلام في هذا الموقف الشديد قد غذي بدروس النبوة وارتضع أفاويق الرسالة، فقد نشأة أبوه على التقوى ورشحه بالصلاح، وتعهده بالأخلاق النبوية الكريمة، فنشأ أصلح نشأة وأحس من صغره بمجد آبائه وأجداده، وأبوه يذكره بأولئكم الآباء الصالحين المصطفين الأخيار، ويمنيه أن يلحق بهم ويسير على قدمهم، فنجد يوسف عليه السلام يذكر فضل الله عليه ويقول:﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (١).

وتلك التربية ليست قاصرة على يوسف عليه السلام وحده، بل على سائر أبناء يعقوب عليه السلام، كما في قصة وصية يعقوب لأبنائه، فهذه التربية صورة من صور دعوة يعقوب عليه السلام إلى التوحيد.

فما أعظم هذه التربية الذي سلكها يعقوب عليه السلام في تربية أبنائه التربية الحقة، التي تجعلهم ثابتين على لزوم طاعة الله وعبادته، حتى بعد وفاة يعقوب عليه الصلاة والسلام، كما هو ظاهر في الوصية العظيمة التي ذكرها يعقوب لأبنائه عند موته، وقد سبق الحديث عنها في الصورة الثانية من هذا المبحث.

الصورة السابعة: قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ..... الآيات﴾ (٢) قال: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ .....الآيات﴾ (٣)

إن الدعوة إلى دين الله هو الأمر الذي حمل أعباءه الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهذه المهمة تستلزم البحث عن أرض تقبل هذه الدعوة فتنصرها وترعاها. فإذا

---

(١) سورة يوسف آية ٣٨

(٢) سورة يوسف،آية رقم ٩٣

(٣) سورة يوسف،آية رقم ٩٩

ما كانت الدعوة محاصرة في أرض ما، فلا بد للنبي أن ينتقل بها إلى أرض أخرى بعد أن يأذن الله له، وهذا ما يسمى بالهجرة لتبليغ دعوة الله. وقد حصل هذا لعدد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، منهم إبراهيم الخليل عليه السلام، فقد تنقل من أرض العراق إلى الشام و مصر و الحجاز ليبلغ دعوة الله للناس. وقد حدث كذلك لنبينا محمد ﷺ عندما هاجر من مكة إلى المدينة، و قد ذهب قبل ذلك إلى الطائف ليبحث عن أنصار لدعوته عليه السلام.

ولم يرد في القران والسنة ما يشير إلى تنقله وهجرته، اللهم إلا ما جاء في قصة يوسف عليه السلام، وأنه انتقل من أرض البادية بفلسطين إلى أرض مصر. وينبغي علينا أن ننظر لهذا الحدث من باب الاستجابة لأمر الله عز وجل له في الهجرة، فإن الأنبياء حينما يرسلون إلى بلاد معينة وأقوام معينين لا يجوز لهم الانتقال منها إلا بإذن ربهم، وينبغي كذلك أن نعلم انهم لا ينتقلون إلا وهم يحملون هم الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده.

فهجرة يعقوب عليه السلام كانت لتبليغ دعوة الله للناس في أرض مصر. ولا ينبغي أن ننظر إلى أن هجرته كانت من أجل دنيا يصيبها أو رزق يحصله فقط، كما قد يتصوره البعض.وكذلك هجرته عليه السلام لفلسطين إنما كانت بأمر من الله بعد أن أوحى الله إليه واصطفاه رسولا نبيا، فأخذ يعقوب يدعو الناس لعبادة الله على دين جده إبراهيم وأبيه إسحاق، واستجاب أناس كثير لدعوته عليه السلام، كما ذكر ذلك الثعالبي ونقله عنه الاستاذ/ علي اللبابيدي.(١)

من هنا نعلم أن الدعوة التي حملها يعقوب ومن قبله إبراهيم ومن بعده يوسف عليهم الصلاة والسلام وأثرها على أهل مصر، هي نتيجة تلك الهجرات المتتالية لدعوة الناس إلى دين الله، ولذلك فقد أثرت دعوتهم هذا الأثر البالغ في أهل مصر ما حولها. وهذه النقلة التي

(١) انظر مجلة الهداية الصادرة عام ١٤١٣هـ في شعبان العدد ١٨٦ في مقال له عن يعقوب عليه السلام ٨٧-٨٩

حصلت ليعقوب من بلاد فلسطين إلى مصر ما هي إلا نوع من أنواع الهجرة لأجل تبليغ دعوة التوحيد، فهي صورة من صور دعوة يعقوب عليه السلام إلى دين الله.

الصورة الثامنة: قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ۝ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾

إن التذكير بالآخرة والإيمان بالبعث والنشور بعد الموت، من أسس دعوة الأنبياء والرسل. فالأنبياء الذين أرسلهم الله عز وجل لإنذار البشرية وهداية الناس، لابد لهم من تعميق عقيدة الإيمان باليوم الآخر وما فيه من أحداث عظيمة وأهوال جسيمة في قلوب الناس، فالكفار والملاحدة ينكرون القيامة و البعث بعد الموت، فهم لا يؤمنون إلا بما هو مشاهد محسوس في هذه الدنيا، فيحكي عنهم الله عز وجل قولهم: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ الآية﴾ (١)﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾. (٢)

فعقيدة الإيمان باليوم الأخر من أسس دعوات الأنبياء والرسل، ونبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام من الذين أخلصوا في حمل هذه العقيدة، حتى قال الله عز وجل في حقه وحق أبويه إبراهيم واسحق عليهما السلام:﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ (٣) حيث وصفهم الله عز وجل بأنهم آمنوا بالدار الآخرة، واستغرقوا في ذكرها حتى أنستهم الدنيا، فأصبحت سمة بارزة يعرفون بها بين الناس في تذكرهم الدار الآخرة، بل وتذكيرهم الناس بما في ذلك اليوم العصيب من أهوال وأحوال، نسأل الله السلامة منها.

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية:

---

(١) سورة الجاثية آية ٢٤

(٢) سورة التغابن ٧

(٣) سورة ص آية ٤٧

(إنا أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة، فعملوا لها في الدنيا فأطـــاعوا الله وراقبوه. وقد يدخل في وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضا الدعاء إلى الله وإلى الدار الآخرة، وأنها لأن ذلك من طاعة الله والعمل للدار الآخرة) [١]

فالآية الكريمة تبين لنا كيف كانت دعوة يعقوب عليه السلام إلى الإيمان بعقيـــدة الآخرة، وأنها من أسس دعوته إلى التوحيد. ولذلك فإن مبدأ الاستغفار وطلب التوبة من الله عز وجل ظاهر في تعامل يعقوب عليه السلام مع أبنائه. فحينما اتضح الحـــق فـــي قصة يوسف واعترف أخوته بخطئهم وندموا على ما حصل منهم من تعد وتجاوز فـــي حق أبيهم وأخيهم عليهما الصلاة والسلام، فاستغفروا الله عز وجل وطلبوا مـــن أبيـــهم يعقوب عليه السلام أن يستغفر لهم مما بـــدر منـــهم بقولـــهم:﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴾ [٢] فكان الاستغفار من هذه الذنوب والمعاصي وطلب المغفـــرة من الله، حتى لا يحصل ما يترتب على هذه السيئات من عقوبة في يوم القيامة، وهـــذا مرتبط ارتباط وثيق بمعنى عقيدة الإيمان باليوم الآخر. وهذا ما أشار إليه أيضا الدكتور الحاج محمد وصفي في بيان معنى الاستغفار في هذا الموضع[٣]،الله أعلم.

الصورة التاسعة: قوله تعالى:﴿ قَالَ يَـٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [٤] وقال سبحانه:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن ١٧٢/١٢

(٢) سورة يوسف،آية ٩٧

(٣) أنظر الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل ص١٤٨

(٤) سورة يوسف آية ٥

أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١)

إن العداوة بين الإنسان والشيطان قديمة منذ أن خلق الله آدم عليه السلام، وأمر الملائكة أن يسجدوا له، فأبى إبليس واستكبر وكان من الكافرين، فأصبحت العداوة حاصلة ومتحققة بين المؤمنين والشياطين. ولذا فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يحملون في دعوتهم للناس عقيدة التحذير من كيد الشيطان، وتنبيه المؤمنين ليتخذوا الشيطان عدوا ويحذروا من مكائده ووساوسه، لأن وقوع الإنسان في حبائل الشيطان يرديه إلى الخسران في الدنيا والآخرة. فقد ورد عن النبي ﷺ قوله:(إن الشيطان يجري في بني آدم مجرى الدم..... الحديث) (٢)

وحذر يعقوب عليه السلام بنيه من الوقوع في وساوس الشيطان ومكائده الخطيرة، حيث قال ليوسف: (لا تقصص رؤياك على اخوتك)(٣)، حتى لا يقع بينكم الحسد والبغض الذي تأججه الشياطين في قلوب بني آدم، وهذه صورة ظاهرة من صور دعوة يعقوب عليه السلام إلى الله.

بل إننا نجد هذه العقيدة ظاهرة ومتأصلة في حياة يعقوب عليه السلام، حتى أثر هذا الأمر في أبنائه من بعده، فيقول يوسف عليه السلام:﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ..... الآية﴾ (٤) فيوسف عليه السلام يوضح هنا سبب ما حصل بينه وبين اخوته، وأنه من فعل الشيطان، حتى يغرس موضع العداء بين الإنسان والشيطان.

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٠

(٢) رواه ابن ماجه في الاعتكاف والصوم والسنة (٤٧١٩) ٢٣٠/٤ والإمام احمد في مسنده ١٥٦/٣ – ٣٨٥ وأخرجه الدارمي في سننه الرقائق برقم (٢٧٨٢) ٤١١/٢-٤١٢ و الترمذي في سننه الرضاع برقم (١١٧٢)٤٧٥/٣

(٣) سورة يوسف اية ٥

(٤) سورة يوسف آية ١٠٠

فهكذا كان نبي الله يعقوب يرشد الناس إلى صراط الله المستقيم، الذي يسير عليه عباد الله الذين لا سلطان للشيطان عليهم، وإنما سلطانه على الغاوين الذين يتبعونه. ولا شك في أن البعد عن اتباع الشيطان ووساوسه، هي صمام الأمان لقلب المسلم وأفعاله وجوارحه ولسانه، من الوقوع في معصية الرب تبارك وتعالى، والانحراف عن صراطه المستقيم، فما أجمله من اسلب راقي في الدعوة إلى الله.

الصورة العاشرة: قوله تعالى:﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ (١)

إن من وسائل الدعوة إلى الله عز وجل امتثال الآداب والأخلاق النبيلة والتحلي بالفضائل والسجايا الكريمة. فقد أشار القرآن الكريم إلى عظيم الصفات التي تحلى بها يعقوب عليه السلام، ومن ذلك الصبر على فقد ابنه يوسف. فكان يعقوب ذلك العبد المؤمن الصابر الراضي بقضاء الله وقدره، وقد حكى الله تعالى عنه قالـه تعالى:﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٢)

ومن صفات يعقوب عليه السلام العلم بأمور الدين والدنيا معا، ففي الدين هو النبي الذي يأتيه الوحي من الله عز وجل، وأما في الدنيا هو ذلك الحكيم بوصاياه وتوجيهاته لأبنائه قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. (٣)

---

(١) سورة ص آية ٤٥-٤٧

(٢) سورة يوسف،آية ١٨

(٣) سورة يوسف آية ٦٨

(٤) سبق تخريجه ص ١٥٠

ومن صفاته عليه السلام أيضا الكرم كما قال رسول الله ﷺ في حق يوسف:(الكريم ابن الكريم) [٤] فوصف ﷺ يوسف وأبيه يعقوب بالكرم.ومن شواهد كرم يعقوب عليه السلام ما أخبر به رسول الله ﷺ في قوله:(فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر مناديا ينادي: ألا من أراد الغداء من المساكين فليتغد مع يعقوب، وإذا كان صائما أمر مناديا فنادى ألا من كان صائما من المساكين فليفطر مع يعقوب عليه السلام).[١]

فالأخلاق الرفيعة والصفات الحميدة التي تمتع بها يعقوب عليه السلام كثيرة حتى أصبحت علامة بارزة في حياته وسيرته، وكانت البوابة التي دخل بها إلى قلوب الناس، ومن ثم دعوتهم إلى دين الله سبحانه، فهي من صور دعوته إلى الله عز وجل.

وسنتحدث عن صفات يعقوب عليه السلام كما جاءت في القرآن والسنة بشيء من التفصيل، وهو موضوع للبحث الثالث من هذا الفصل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) سبق تخريجه انظر ص ١٥٠

المبحث الثالث

صفات النبي يعقوب عليه الصلاة والسلام في القرآن

إن سيرة يعقوب عليه السلام كما جاءت في القرآن الكريم تدور على عدة أحداث ومعاني نذكرها إجمالا فمن أهم هذه الأحداث:

١- التبشير بولادته عليه الصلاة والسلام.

٢- بيان نبوته وذكره مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٣-نفي الشبه التي ألصقت به بأنه كان يهوديا أو غير ذلك.

٤- التأكيد على نبوته ونزول الوحي عليه.

٥- بيان شيء مما جاء به من الشريعة إلى من أرسل إليهم.

٦- بيان شيء من دعوته إلى التوحيد.

٧-قصة وفاته ووصيته لأبنائه.

٨- قصة ابنه يوسف وأخوته.

٩- بيان الميراث الذي خلفه لمن بعده.

١٠- ذكر شيء من صفاته وأخلاقه النبيلة التي تميز بها.

وهذه الموضوعات التي وردت في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه الصحيحة، قد تطرقنا إلى الحديث عنها فيما مضى، وبقي أن نذكر صفات وأخلاق يعقوب عليه الصلاة والسلام، وهي مجال بحثنا، حيث ننقل أقوال أهل العلم من المفسرين والاستنباطات التي ذكرت في ثنايا الآيات التي تتحدث عن صفات يعقوب عليه السلام.

إن من أهم الصفات التي يتمثل بها الأنبياء والمرسلون هي امتلاك الكمال في العقل الذي يفضي إلى كمال العلم المعنوي والحسي، و كمال القدرة التي تمكن الإنسان من صنائع الخير، نلمح هذا جليا في حياة يعقوب حيث قال تعالى عنه: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [1] فهذه الآية العظيمة تبين لنا مدى الكمال

(١) سورة ص آية ٤٥

الذي بلغه يعقوب عليه السلام، من الصفات الحميدة والأخلاق النبيلة، التي تحلى بـــها حتـــى أصبح من الأنبياء الكبار في قرب المنزلة عند الله كإبراهيم الخليل عليه السلام.

ونشرع الآن في ذكر الايات القرانية، التي وردت فيها صفات يعقوب عليه السلام.

فيقول الله تعالى:

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) وقـــال ســـبحانه: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ (٢) وقـــال تعـــالى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٣) وقـــال ســـبحانه: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٤)

وقولـــه تعـــالى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى

(١) سورة يوسف آية ٦٨
(٢) سورة مريم آية ٥٠
(٣) سورة الأنبياء آية ٧٢-٧٣
(٤) سورة مريم آية ٥٨

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (١)

فالآيات السابقة تبين لنا بعضا من الصفات التي كان يتحلى بها يعقوب عليه السلام وهي:

١- الهداية ب- الإحسان ج-العبادة لله د- الاجتباء والاصطفاء من الله هـ- القدوة.

فهذه الصفات ذكرت في الايات الواردة في حق عدد من الأنبياء في نسق واحد ومن بينهم يعقوب عليه السلام:

يقول الشيخ / رشيد رضا في تفسيره لتلك الايات المذكورة:-

(ومن وراء إسحاق ولده يعقوب، نبيا نجيبا منجبا للأنبياء والمرسلين. وهدينا كلا منهما كما هدينا إبراهيم بما آتيناهما من النبوة والحكمة وقوة الحجة. وتقديم "كلا" على"هدينا" لإفادة اختصاص كل منهما بما ذكر من الهداية على سبيل الاستقلال لا التبع، لأن كلا منهما كان نبيا هاديا مهديا...

"وكذلك نجزي المحسنين" أي بالجمع بين نعم الدنيا ورياستها بالحق، وهداية الدين وإرشاد الخلق ...

(١) سورة الأنعام آية ٨٣-٩٠

أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة، ذهب ابن جرير والرازي إلى أن الإشارة في أولئك، إلى من ذكر في الآيات من أنبياء الله تعالى ورسله. وذهب آخرون إلى شمولها من ذكر بعدهم إجمالا من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم. وقال ابن جرير: إن المراد بالكتاب ما ذكر في القرآن من صحف إبراهيم وموسى وزبور داود وإنجيل عيسى، وان المراد بالحكم الفهم بالكتاب ومعرفة ما فيه من الأحكام. وروي عن مجاهد أن الحكم هو اللب "قال": وعني بذلك مجاهد، إن شاء الله ما قلت، لأن اللب هو العقل، فكأنه أراد أن الله آتاهم العقل بالكتاب.، غير هذا القول عن مجاهد. والحكم يطلق في أصل اللغة على حكم العقل بإثبات شئ لشيء، أو نفيه عنه قطعا، وهو العلم اليقيني بالمعنى اللغوي الذي بيناه من قبل، وهو يستلزم فقه المعلوم وفهم سره وحكمته، فهو بمعنى الحكمة والفلسفة، ويطلق على القضاء لخصم على خصم بأن هذا حقه أو ليس بحقه...) [1]

وأما قوله تعالى:﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [2]

وقوله سبحانه:﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [3] فقد تضمن صفتين عظيمتين لهذا النبي الكريم يعقوب عليه السلام هما:

أ- الصبر ب- العلم

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ٧/٥٨٤-٥٩١

(٢) سورة يوسف آية ١٨

(٣) سورة يوسف آية٦٨

فهاتان الصفتان من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها من تحملوا مهمة حمل الأمانة وتبليغ الرسالة وتأديتها للناس كافة، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. وهذا ما نراه جليا في حياة يعقوب عليه السلام في قصة فقد ابنه، وما حصل بعد ذلك من أمور بين أبنائه، وكيف كان يتلقى يعقوب عليه السلام هذه الحوادث بصبر لا تطيقه الجبال، فأصبح إماما يقتدى به في الصبر. ولذا قالت الصديقة بنت الصديق عائشة[١] رضى الله عنها حينما اتهمت في حادثة الإفك الشهيرة: [٢](والله لا أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف " فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون") [٣] .

وأما صفة العلم، فقد شهد له الله عز وجل بالعلم الذي آتاه إياه، فهو متميز عن سائر الخلق بالمعرفة والعلم الدقيق بأمور الدين والدنيا معا، وكذلك العمل بهذا بالعلم، وهو معنى قوله تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾كما قال قتادة والثوري رحمهما الله[٤].

وأما قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [٥]

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية، أم عبد الله ، من أفقه نساء المسلمين،زوج النبي صلى الله عليه وسلم،أم المؤمنين، من المكثرين في الرواية، توفيت في المدينة سنة ٦٠ هـ ،أنظر الاعلام للزركلي ٢٤٠/٣.

(٢) الحادثة الشهيرة التي برأ الله فيها عائشة رضي الله عنها، والتي أفاض فيها وتولى كبره رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، فأنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات بقوله تعالى:(إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم...الآيات) سورة النور ٢٤-٢٦،أنظر البداية والنهاية لابن كثير.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير سورة يوسف ٩٦/٦

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥١٦/٢

(٥) سورة مريم آية ٤٩-٥٠

فتشير هذه الآية إلى نعم الله التي حباها لإسحاق وولده يعقوب عليهما السلام، وقد مضى الحديث عنها فيما سابق. ثم تذكرنا هذه الآية بما وهبه الله عز وجل لإسحاق ويعقوب من الرحمة وهي السعة والبركة في الرزق، وكذلك اختصاصهم بالنبوة في الذرية وحوزة الأرض المقدسة.

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا ﴾

(يقول جل ثناؤه: ورزقنا جميعهم يعنى إبراهيم ويعقوب من رحمتنا، وكان الذي وهب لهم من رحمته ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه وأغناهم بفضله) [1]

وقوله سبحانه:﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [2] أي ورزقناهم الثناء الحسن والذكر الجميل من الناس. فكانوا صادقين في دعوتهم مسموعي الكلمة في قومهم، يؤخذ قولهم بالطاعة وبالتبجيل والاحترام.

يقول الشيخ/ جمال الدين القاسمي :-

("وجعلنا لهم لسان صدق عليا" أي ثناء حسنا عبر بـ"اللسان" عما يوجد باللسان كما عبر بـ"اليد" عما يطلق باليد وهي العطية، وإضافته إلى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثني عليهم وإن مجاهدتهم لا تخفى) [3]

فهذه الصفات المذكورة في هاتين الآيتين وهي:

أ- سعة الرزق والغنى ب- الصدق مع الناس ج- الذكر الجميل والطاعة لهم.

قد تميز بها يعقوب عليه السلام حتى أصبحت فيه علامات بارزة في شخصيته ودعوته بين الناس.

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٩٣/٩

(٢) سورة مريم آية ٥٠

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ١٣٣/٧

وأما قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴾[1]

ففيه وصف إسرائيل عليه السلام بالخضوع والخشوع والتهجد والعبادة والبكاء من خشية الله، وهذا دليل على رقة القلب والتذلل والاستكانة لله عز وجل، وهو تجسيد لمعنى العبودية الحقة، وهذه صفة عظيمة من صفات أنبياء الله ورسله المقربين.

ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى:﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴾ : [2] (أي إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه سجدوا لربهم خضوعا واستكانة حمدا وشكرا على ما هم فيه من النعم العظيمة، والبكي جمع باك، فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا اقتداء بهم واتباعا لمنوالهم) [3]

وقال سيد قطب في وصفه لهذه الحالة الإيمانية التي وصف الله بها أنبياءه:-

(أولئك النبيون ومعهم من هدى الله واجتبى من الصالحين من ذريتهم، صفتهم البارزة "إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا" فهم أتقياء شديدو الحساسية بالله ترتعش وجدانياتهم حين تتلى عليه آياته، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثر فتفيض عيونهم بالدموع، ويخرون سجدا وبكيا، أولئك الأتقياء الحساسون الذين تفيض عيونهم بالدموع وتخشع قلوبهم لذكر الله) [4]

---

(١) سورة مريم آية ٥٨

(٢) سورة مريم آية ٥٨

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤١/٣

(٤) في ظلال القرآن لسيد قطب ٢٣١٤/٤

فهذه الصفة العظيمة وهي رقة القلب وخضوعه لله عز وجل حتى يظهر أثر هذه الرقة على الجوارح، فتفيض العيون دموعا ويسكن البدن لرب العالمين، وهي من اعظم ما اتصف به يعقوب عليه السلام، وسائر أنبياء الله، من صفات تميزوا بها عن سائر الناس بالخضوع والخشوع لله رب العالمين.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝ وَجَعَلْنَٰهُمْ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ۝ ﴾ (١)

فيفيد أن الله عز وجل ذكر أربع صفات عظيمة تميز بها يعقوب عليه الصلاة والسلام هي:

أ-الصلاح ب- الإمامة والقدوة في الدين ج- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر د-العبادة لله عز وجل.

فقوله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ يعني أن الله جعل إبراهيم واسحق ويعقوب، أئمة يؤتم بهم في الخير في طاعة الله وفي إتباع أمره ونهيه، ويقتدى بهم في الخير والصلاح.وقوله سبحانه:﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ إشارة إلى خضوعهم لله وكونهم خاشعين لا يستكبرون عن طاعتة وعبادته.

ويقول الإمام ابن كثير في تفسير الآية الكريمة :-

("وكلا جعلنا صالحين": أي الجميع أهل خير وصلاح، " وجعلناهم أئمة": أي يقتدى بهم، " يهدون بأمرنا": أي يدعون إلى الله بإذنه ولهذا قال:" وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة و إيتاء الزكاة" من باب عطف الخاص على العام، " وكانوا لنا عابدين": أي فاعلين لما يأمرون الناس به) (٢)

---

(١) سورة الأنبياء آية ٧٢-٧٣

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٠٥/٣

وأما قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ۝ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ (١)

فيستفاد منها بيان ما تحلى به يعقوب عليه السلام من نبل الأخلاق وحسن الصفات، فقد ذكرت الآيات بعضا من صفاته عليه السلام، وهي:

أ- عبوديته لله عز وجل ب- أنه صاحب يد بالكرم والقوة ج- أنه صاحب بصر نافذ في العلم والخبرة د- أنه أهل ذكر الدار الآخرة هـ- وصفه بالخيرية المطلقة.

فالعبودية هنا في وصف يعقوب عليه السلام هي أعلى مقامات العبودية بمعناها الشامل من التذلل والخضوع لله رب العالمين، في جميع أوامره ونواهيه صغيرة كانت أم كبيرة. والإضافة هنا إضافة تشريف لما تحلى به من العبودية الحقة لله رب العالمين. ثم هذه الأيدي الكريمة والقوية في دين الله تستحق أن تفرد بالذكر من الله عز وجل، وقد مر معنا حديث رسول الله ﷺ وفيه:(فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر مناديا ينادي:ألا من أراد الغداء من المساكين فليتغد مع يعقوب، وإذا كان صائما أمر مناديا ألا من كان صائما من المساكين فليفطر مع يعقوب عليه السلام) (٢) ففي الحديث إشارة إلى كرمه عليه السلام. و تصف الآية الكريمة يعقوب وأبويه إبراهيم وإسحاق بالبصر النافذ والعلم الثاقب في أمور الدين والدنيا معا، ثم ما أجمل أن يصحب هذه السمات صفة الخضوع والخوف من الله في تذكر الدار الآخرة وكأنها نصب العينين لا تفارقها، حتى ترق القلوب وتنصرف عن ملذات الدنيا التي أصبح من المقدور عليها، بما أعطاهم الله من الأيادي القوية والبصيرة في الأمور، ومن كان كذلك فقد كملت فيه مزايا الخير كله فاستحق أن يكون من الأخيار.

ويجمل الحديث عن هذه الآية الأستاذ/ سيد قطب رحمه الله بقوله:-

---

(١) سورة ص آية ٤٥-٤٧

(٢) سبق تخريجه ١٥٠

(ويصف الله سبحانه: إبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنهم: " أولي الأيدي والأبصار" كناية عن العمل الصالح بالأيدي، والنظر الصائب أو الفكر السديد بالأبصار، وكأن من لا يعمل صالحا لا يد له، ومن لا يفكر تفكيرا سليما لا عقل له أو لا نظر له.
كما يذكر من صفتهم التكريمية أن الله أخلصهم بصفة خاصة ليذكروا الدار الآخرة، ويتجردوا من كل شئ سواها: "إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار" فهذه ميزتهم ورفعتهم وهذه جعلتهم عند الله مختارين أخيارا:"وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار") [1]
وبعد هذا السرد للآيات الواردة في صفات يعقوب عليه السلام فإننا نجملها كالتالي:

١-الهداية.
٢-الإحسان.
٣-الاجتباء والاصطفاء من الله .
٤- الصبر.
٥- سعة الرزق والغنى.
٦- الصدق مع الناس.
٧- الذكر الجميل والطاعة له.
٨-الصلاح.
٩- الإمامة والقدوة في الدين.
١٠- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
١١-العبودية لله عز وجل.
١٢- صاحب اليد من الكرم والقوة.
١٣- صاحب البصر النافذ في العلم والخبرة.
١٤- أهل ذكر الدار الآخرة.
١٥- الخيرية المطلقة.
١٦- رقة القلب والخشوع لله.

هذه بعض صفاته عليه السلام فيما يظهر لي، وإلا فان المتتبع الدقيق لصفات يعقوب عليه السلام قد يجد الكثير غير ما ذكرنا هنا، فإن الغرض من هذا المبحث هو الإشارة إلى مكانة هذا النبي العظيم يعقوب عليه الصلاة والسلام، وليس الاستقصاء الكامل لصفاته.

وإن المتأمل لهذه الصفات النبوية العظيمة التي وردت في ثنايا آيات الله عز وجل، لا يملك إلا أن يقف محترما ومعظما لنبي الله يعقوب عليه السلام، وهذه المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة التي استحقها بشهادة الله عز وجل في كتابه. فليت شعري أين

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٣٠٢٢/٥

هذا الوصف القرآني من الوصف الذي ورد في العهد القديم لهذا النبي الكريم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الباب الثالث

بنو يعقوب عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن الكريم

ويشمل على فصلين:

الفصل الأول : يوسف عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن الكريم.

المبحث الأول: قصة يوسف عليه الصلاة والسلام من التوراة والقرآن الكريم إجمالاً مع عقد المقارنة بينهما.

المبحث الثاني: نبوة يوسف عليه الصلاة والسلام ودعوته إلى التوحيد في التوراة والقرآن الكريم.

الفصل الثاني: إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن الكريم.

المبحث الأول: ويشتمل على أسمائهم وعددهم وأنسابهم وسيرتهم إجمالاً.

المبحث الثاني: إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام ودعوى الأسباط.

من مكملات هذه الدراسة التي تتناول- يعقوب عليه الصلاة والسلام وبنوه في التوراة والقرآن الكريم دراسة عقدية-، الكلام عن أبناءه وعلى رأسهم نبي الله يوسف عليه السلام، وسنقسمه إلى قسمين:

القسم الأول :

نتحدث فيه عن نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام.

والقسم الثاني:

نتحدث عن باقي أبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام .

وإن الحديث عن أبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام من الناحية العقدية، يستلزم البحث في مصداق نبوة أبناء يعقوب جميعاً، يوسف وباقي الأبناء الإحدى عشر، كما ورد في التوراة، خاصة في سفر التكوين، وكذلك في القرآن الكريم، وسوف نقتصر في ذلك على النصوص الواردة في يوسف وإخوته، لنتعرف من خلالها على أبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام، وما ورد فيهما عن سيرهم إجمالاً، وما مدى ارتباطهم بموضوع النبوة.

وإن تحرير مثل هذا الأمر يعتبر من مكملات البحث في سيرة نبي الله يعقوب عليه السلام، فهم أبناءه عليه السلام. ولذلك سيكون تحرير مسائل هذا الباب تحريراً إجمالياً فيما يتعلق بموضوع النبوة، إلا أن الحديث عن يوسف عليه السلام سيأخذ حجماً أكبر لوجود المادة العلمية عنه في كلا المرجعين: "القرآن الكريم والتوراة"، والله أسأل التوفيق والسداد.

الفصل الأول

يوسف عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن الكريم

وفيه مبحثان

المبحث الأول : قصة يوسف عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن الكريم إجمالاً مع عقد المقارنة بينهما.

المبحث الثاني: نبوة يوسف عليه الصلاة والسلام ودعوته إلى التوحيد في التوراة والقرآن الكريم.

المبحث الأول: قصة يوسف عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن الكريم إجمالاً مع عقد المقارنة بينهما:

ذكر اسم يوسف في ستة وعشرين موضعاً من كتاب الله الكريم، منها أربع وعشرون موضعاً في سورة يوسف وموضع واحد في كل من سورة الأنعام و غافر، تلك هي المواضع التي ذكر فيها إسم يوسف صريحاً في القرآن الكريم.

أما سيرة نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن الكريم في شكلها العام، فتكاد تكرر من حيث الإجمال، وإلا فإن الفروقات الكبيرة بين التوراة والقرآن الكريم تكاد لا تحصى، كما سيأتي بيان ذلك من خلال البحث في سيرة يوسف عليه السلام. وهي تنقسم الى ثلاث مراحل:

الأولى: منذ نشأة يوسف عليه الصلاة والسلام عند والده وحتى بيعه.

الثانية: منذ قدومه إلى مصر وحتى تفسيره لرؤيا ملك مصر.

الثالثة: منذ خروجه من السجن إلى آخر قصته عليه السلام.

والمراحل الثلاث موجودة في كل من التوراة والقرآن الكريم، وسوف أذكر النصوص المتشابهة من التوراة والقرآن الكريم في كل مرحلة، ثم أبين الفروقات بينها، وأثر ذلك في المعاني، ثم بعد ذلك أذكر ما تفرد به القرآن الكريم من أحداث عن التوراة، و بعدها ما تفردت به التوراة من أحداث عن القرآن الكريم.

المرحلة الأولى: منذ نشأة يوسف عليه الصلاة والسلام عند والده

تحدث القران الكريم عن قصة يوسف منذ نشأته حتى بيعه لأهل مصر وذلك في قوله تعالى من سورة يوسف:﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ

فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ (١)

وأما التوراة فقد ارخت لهذه المرحلة فجاء في سفر التكوين:

(وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان، هذه مواليد يعقوب يوسف إذ كان ابن سبع عشرة سنة، كان يرعى مع إخوته الغنم وهو غلام عند بني بلهة وبني زلفة امرأتي أبيه، وأتى يوسف بنميمتهم الردئية إليهم. وأما إسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه إبن شيخوخته، فصنع له قميصا ملونا، فلما رأى إخوته أن أباهم أحبه أكثر من جميع إخوته أبغضوه، ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام.

وحلم يوسف حلما وأخبر إخوته فازدادوا أيضا بغضا له، فقال لهم: اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت، فها نحن حازمون حزما في الحقل وإذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي، فقال له إخوته: ألعلك تملك علينا ملكا أم تسلط علينا تسلطا، وازدادوا أيضا بغضا له من أجل أحلامه ومن أجل كلامه. ثم حلم أيضا حلما آخر وقصة على إخوته، فقال: إني قد حلمت حلما أيضا وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي، وقصه على أبيه وعلى إخوته، فانتهره أبوه وقال له: ما هذا الحلم الذي حلمت، هل نأتي أنا وأمك وإخوتك نسجد لك إلى الأرض، فحسده إخوته وأما أبوه فحفظ الأمر.

ومضى إخوته ليرعوا غنم أبيهم عند شكيم فقال إسرائيل ليوسف: أليس إخوتك يرعون عند شكيم، تعال فأرسلك إليهم فقال له: هاأنذا، فقال له: إذهب أنظر سلامة إخوتك وسلامة الغنم ورد لي خبرا، فأرسله من وطاء حبرون، فأتى إلى شكيم فوجده رجل وإذا هو ضال في الحقل، فسأله الرجل قائلا: ماذا تطلب، فقال: أنا طالب إخوتي أخبرني أين يرعون، فقال الرجل: قد ارتحلوا من هنا لأني سمعتهم يقولون لنذهب إلى

(١) سورة يوسف آية ١٩-٢٠

دوثان، [1] فذهب يوسف وراء إخوته فوجدهم في دوثان.

فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه، فقال بعضهم لبعض: هـوذا صاحب الأحلام قادم، فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحش رديء أكله، فنرى ماذا تكون أحلامه. فسمع روآبين وأنقذه من أيديهم وقال: لا نقتله، وقال لهم روآبين: لا تسفكوا دما، اطرحوه في هذه البئر التي في البرية، ولا تمدوا إليه يدا لكي ينقذه من أيدهم ليرده إلى أبيه، فكان لما جاء يوسف إلى إخوته أنهم خلعوا عن يوسف قميصه القميص الملون الذي عليه وأخذوه وطرحوه في البئر، وأما البئر فكانت فارغة ليس فيها ماء.

ثم جلسوا ليأكلوا طعاما، فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيرة وبلسانا ولاذنا، ذاهبين لينزلوا بها إلى مصر، فقال يهوذا لاخوته: ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه، تعالوا فنبيعه للإسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه، لأنه أخونا ولحمنا، فسمع إخوته واجتاز رجال مديانيون تجارة فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة، فأتوا بيوسف إلى مصر، ورجع روآبين إلى البئر وإذا يوسف ليس في البئر، فمزق ثيابه ثم رجع إلى إخوته وقال: الولد ليس موجود وأنا إلى أين أذهب.

فأخذوا قميص يوسف، وذبحوا تيسا من المعزى، وغمسوا القميص في الدم، وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم وقالوا: وجدنا هذا حقق أقميص إبنك هو أم لا؟ فتحققه وقال: قميص إبني وحش رديء أكله، افترس يوسف افتراسا. فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحا على حقويه، وناح على إبنه أياما كثيرة، فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال: إني أنزل إلى ابني نائحا إلى الهاوية. وبكى عليه أبوه. وأما المديانيون فباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط) [2]

---

(١) مكان صغير تقع شمالي شرق السامرة مكانها اليوم تل لا يسكنه أحد يسمى تل دوثان بالقرب منه بئر أنظر قاموس الكتاب المقدس، مادة دوثان ص ١٣٧٩.

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٣٧ :١ -٣٦

فمن دراسة النصين السابقين يتبين لنا عدة فروق بين النص القرآني والنص التوراتي، من أهمها:

- على من قص يوسف عليه السلام رؤياه؟

جاء في التوراة أن يوسف قد قص رؤياه على إخوته وأبيه، وأما القرآن الكريم فقد بين أن يوسف عليه السلام قد قصها على أبيه لوحده، وأن أباه أرشده إلى عدم ذكر هذه الرؤية لأخوته خشية مكائدهم، كما أن يوسف قد سمع كلام أبيه ولم يذكر تلك الرؤيا لإخوته قال تعالى:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (١).

فقول يوسف:﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ ﴾ قد أفرد الخطاب فيه لأبيه فقط، وإن كان خطابه قبل ذلك شاملا لجميع من حضر ذلك المجلس، فلم يخاطب بها إخوته لأنهم لا يعرفون عنها شيئا. مع أنه قال بعدها:﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ ﴾ فالخطاب هنا جاء بخطاب الجمع، مما يدل على أن الرؤيا لم يعلم عنها إلا يعقوب عليه الصلاة والسلام.

وأما التوراة فذكرت أن يوسف قد قص رؤياه على إخوته حتى انتهره أباه، ولا شك أن في ذكر يوسف رؤياه لأخوته زيادة في البغض له كما تنص التوراة على ذلك. والأصح في المعنى هو ما جاء في القرآن الكريم.

كيف كان ترتيب سجود الشمس والقمر والكواكب في رؤيا يوسف عليه السلام؟

يذكر القرآن الكريم الترتيب في السجود ليوسف في الرؤيا، بسجود الكواكب ثم بعد ذلك سجود الشمس والقمر له عليه الصلاة والسلام، وأما التوراة فانها تذكر سجود

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٠

الشمس والقمر قبل الكواكب، وهذا الفرق له أثر في المعنى، حيث ان أحداث سيرة يوسف عليه السلام في هذه القصة تؤكد لنا أن سجود الكواكب ، قد حصل في الواقع قبل سجود الشمس والقمر، والمعني بهما أبوي يوسف عليه السلام كما هو جلي في تلك القصة. حيث أن إخوة يوسف قد دخلوا على يوسف ثلاث مرات، وفي كل مرة يحصل منهم السجود للملك يوسف عليه السلام قبل مجيء يعقوب عليه السلام إلى مصر، ثم سجودهم جميعا ليوسف عليه السلام.

ومما يؤيد صحة ما في القرآن الكريم من أن الابتداء بالكواكب، وهي تعني إخوة يوسف أولى من الابتداء بالشمس والقمر وهي تعني والداه، لأنه لو ابتدأ القول بما معناه والداي لي يسجدان لذهبت فجأة العجب من سجود الوالدين بالعجب من سجود الإخوة، ولما عاد لخبر سجود الإخوة بعد سجود الوالدين وقع تأثير أكبر في الخبر، بمعنى أن الإخبار بأن الكواكب وهي أقل شأنا من الشمس والقمر قد سجدت له، ثم إخبار المخاطب بأن هناك ما هو أعجب وأغرب من ذلك وهو سجود الشمس والقمر، التي هي أعظم من الكواكب، أبلغ في التعبير والرواية.

-كيف كانت صياغة يوسف لرؤياه؟

إن في قوله تعالى: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ وقول النص التوراتي:(ساجدة لي) فرق، وهو أن النص القرآني استخدم ضمير العاقل، وأما نص التوراة فقد استخدم ضمير غير العاقل. والحكمة في ذلك أنها لما وصفت بأفعال العقلاء ناسب أن تأتي على ضمائرهم، وهو ما اتضح عند تفسير هذه الرؤيا، فإن الذين سجدوا في الواقع هم إخوة يوسف وأبويه، وهؤلاء يستخدم معهم ضمير العاقل، وهذا فرق واضح.

-ماذا كان موقف يعقوب بعد سماع رؤيا ولده يوسف عليهما السلام؟

ذكرت التوراة ان يعقوب نهر يوسف بعد ذكره للرؤيا، أما في القرآن الكريم فإن موقف يعقوب عليه السلام بعد أن قص يوسف رؤياه عليه مختلف تماما، حيث بشره وطمأنه بهذه الرؤيا العظيمة. وإن أخلاق الأنبياء لا يمكن أن تكون كما وردت في التوراة، ويدل على ذلك تعامل يعقوب عليه السلام مع أبنائه الباقين حيث وقعوا في

الخطأ المتعمد تجاه أخيهم يوسف عليه السلام، ومع ذلك استغفر لهم ولم ينتهرهم كما تخبرنا التوراة، فخلق يعقوب عليه السلام في تعامله مع أبناءه كان في غاية الأدب والإحترام المتبادل بين الأب وأبناءه.

هل حيكت المؤامرة ضد يوسف عليه السلام مسبقا؟

يبين لنا القرآن الكريم أن المؤامرة التي حصلت من إخوة يوسف تجاه أخيهم كانت مؤامرة مدبرة قد سبق الإعداد والتخطيط لها، وأما ما ورد في التوارة فإنه يشير إلى أنها قد وقعت مفاجأة دون تخطيط مسبق، ولم يكن قد تم الإعداد لها إلا من حين وصول يوسف عليه السلام إلى إخوته في البرية، وهذا غير صحيح. حيث أن مثل هذا الأمر وهو الاعتداء على أحد الاخوة وإبعاده عن وجه أبيه لابد ان يكون باتفاق مسبق حتى يحصل هذا الإبعاد دون إثارة لأبيهم.

إن القرائن في القرآن الكريم و التوارة تشير إلى أن مثل هذا الأمر لايمكن أن ينفذ إلا بدقة وإعداد محكم، حتى يحصل لهم ما أرادوا من إبعاد الابن يوسف عليه السلام عن أبيه يعقوب عليه السلام، ومن هذه القرائن الحب الذي يكنه يعقوب عليه السلام لولده يوسف، وهذا أمر متفق عليه. وكذلك صغر سن يوسف عليه السلام الذي يجعل الخوف عليه أكبر والمتابعة له أكثر، فكيف يقع الأمر بدون تخطيط مسبق.

-كيف خرج يوسف مع اخوته بعد أن حيكت المؤامرة؟

تثبت التوراة أن يعقوب عليه السلام هو الذي أرسل يوسف عليه السلام للبحث عن إخوته والإستفسارعن خبرهم واستقصاء أثرهم، وأما القرآن الكريم فانه يبين أن إخوة يوسف قد إحتالوا على أبيهم يعقوب عليه السلام حتى يقنعوه بأن يسمح لهم بأخذ يوسف معهم الى البرية عند الرعي والسباق واللعب، كما قال تعالى:﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾[1].

(١) سورة يوسف آية ١١-١٢

ولا شك أن ما جاء في القرآن الكريم هو الأصوب، حيث أن العداوة بين إخوة يوسف ويوسف عليه السلام قد ظهرت آثارها، مما يجعل يعقوب عليه السلام يخشى على إبنه يوسف من الشر، فيكف يرسله بهذه السهولة مع إخوته.

-كم كان عمر يوسف عليه السلام عندما غدر به اخوته؟

جاء في التوراة أن يوسف عليه السلام لما ألقي في البئر كان عمره سبعة عشرة عاما، وهذا يعني أنه قد بلغ الحلم، وهذا فرق بينها وبين رواية القرآن الكريم فقد نصت على أنه كان غلاما كما قال تعالى:﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾[1] فالنص هنا على أنه غلام، ويطلق الغلام في العربية على الولد الصغير الذي لم يصل إلى حد البلوغ[2].والأقرب إلى معنى القصة هو صغر سن يوسف، حتى لا يستطيع الدفاع عن نفسه من المخاطر.

-موقف المعارض من إخوة يوسف لقتله عليه السلام؟

موقف المعارض من إخوة يوسف الذين كانوا يخططون لقتله أو طرحه في الصحراء حيث الهلاك، فإن القرآن يبين لنا أن الذي قد عارض مسألة قتله هو أحد الاخوة دون التنصيص على واحد منهم، اللهم إلا ما ورد من إشارة تبين أن المقصود به هو كبيرهم، كما قال تعالى:﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [3]

فهذه الإشارة تبين أن الذي عارض هو كبيرهم، وكما هو معلوم من نصوص التوراة فإن أكبر أبناء يعقوب عليه السلام هو روابين، حيث أبعد عن نفسه في هذه الآية

(١) سورة يوسف آية ١٩

(٢) أنظر المفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٦٤ وغيره.

(٣) سورة يوسف آية ٨٠

جريمة التفريط في قصة يوسف عليه السلام.

وأما التوراة فقد نصت على أن المعارض هو روابين وأخوه يهوذا، فبين أن المعارض كان شخصان وليس واحدا.

والذي يتفق مع سياق القصة هو ما جاء في القرآن الكريم، لأن الأمر يصبح عسيرا جدا على باقي الاخوة في تنفيذ ما أرادوا، فعندما يكون واحدا فإنه سيتأثر بالباقي، ولو كان معه أحد لما تراجع عن معارضته للموقف بهذه البساطة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الطلب الذي طلبه المعارض كما جاء في القرآن الكريم هو حفظ يوسف وإبعاده عن جريمة القتل التي كانت تحاك ضده، فقد قصد المعارض مجرد إبعاد يوسف عن أذية القتل فقط، وأما ما في التوراة فإن النص يبين أن الذي عارض لم يرد مجرد إبعاده عن القتل و إنما أراد إرجاعه إلى أبيه، ولذا رجع مرة ثانية حتى يخرجه من البئر، فهذا الأمر يحتاج إلى إثبات. و حيث أن القرآن قد بين الموقف المشرف لذلك المعارض، فمن الإنصاف الذي يحفظ له، الإخبار بأن المعارض كان يريد إرجاع يوسف عليه السلام إلى أبيه، فلما لم يذكر القرآن ذلك وهو في موقف ذكر فضائل ذلك المعارض دل على أن تلك الإرادة غير صحيحة، ويؤيد ذلك أن هذا المعارض عنده شيء من الميل إلى بغض يوسف، وكذلك الرغبة في إبعاده عن وجه أبيه، وإلا لما سكت عن فعل إخوته، والله أعلم.

- كيف كان حال البئر التي ألقي فيها يوسف عليه السلام؟

حال البئر التي ألقي فيها يوسف عليه السلام، فإن القرآن ذكرها بلفظ الجب، والجب في اللسان العربي هي البئر التي لم تطو، فتكون حديثة الحفر وبها ماء كثير[1].وأما في التوارة فقد جاء النص على أنها بئر خالية من الماء، وهذا غير صحيح، بل مما يدل على صحة ما جاء في القرآن أن البئر التي ألقي فيها يوسف عليه السلام فيها ماء، ورود الناس عليها للاستسقاء، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾[2] فهي بئر يردها المسافرون، ولا تكون هذه البئر إلا بئرا معروفة ومشهورة لدى الناس

(١) أنظر القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٨٣

(٢) سورة يوسف آية ١٩

فهي بئر يردها المسافرون، ولا تكون هذه البئر إلا بئرا معروفة ومشهورة لدى الناس أن بها ماء.

-من الذي باع يوسف عليه السلام؟

ذكر القرآن الكريم أن الذي باع يوسف عليه السلام هم السيارة، وهم القوم الذين يسيرون في الطريق، وهم الذين ألقوا دلوهم في تلك البئر واستخرجوا يوسف و حملوه معهم وقاموا ببيعه، كما هو ظاهر الآية. وإن كان هناك خلاف بين أهل التفسير في تحديد الذي باع يوسف، غير ان الذي يظهر من خلال الآيات الكريمة في القرآن الكريم أن الحديث عن إخوة يوسف قد انقطع تماما بعد إلقاءه في الجب، وانتقل الى السيارة الذين فرحوا باستخراج هذا الغلام.

وأما التوراة فقد تعددت النصوص التي تكشف من باع يوسف، فمرة يثبتون أن إخوة يوسف هم الذين باعوه الى المديانيين، وأن المديانيين قد باعوه بدورهم إلى الإسماعيليين، وأن الإسماعيليين قد باعوه في مصر. وهناك نص آخر يؤكد ان الميدانيين باعوه مباشرة الى لفوطيفار خصي فرعون ورئيس الشرط، و في هذا تناقض ظاهر، بل وتناقض حتى مع رواية التوراة عن موقف المعارض الذي كانت لديه الرغبة في إرجاعه إلى أبيه. والأقرب الى الصحة والله أعلم، أن دور إخوة يوسف قد انتهى عند إلقاءه في الجب، والذين وجدوه هم على الأرجح قوم من العرب، حملوه معهم وباعوه في مصر، والله أعلم.

- كيف واجه اخوة يوسف أباهم يعقوب عليه السلام بعد تنفيذ المؤامرة؟

يتحدث القرآن الكريم عن الحوار الذي دار بين إخوة يوسف وأبيهم يعقوب عليه السلام بعد رجوعهم وادعائهم موت يوسف، فيثبت لنا أن إخوة يوسف عليه السلام أظهروا حالة تشعر بالخطأ والذنب الذي ارتكبوه، والأدب والخوف والهيبة لأبيهم يعقوب عليه السلام، حتى لا يظهر ما حصل من فعلهم تجاه يوسف عليه السلام، لذلك جاؤوا إلى أبيهم عشاء أي في الليل لكي لا تتضح معالم وجوههم الكاذبة فيما ادعوه من أن يوسف قد أكله الذئب، وأظهروا حال البكاء وأسلوب الخطاب الذي حاولوا فيه إقناع يعقوب عليه السلام بذلك.

وفي التوراة كان أسلوب وحوار أبناء يعقوب مع أبيهم بعد الحادثة في غاية الوقاحة والجرأة، فانظر إلى قولهم:(حقق اقميص أبنك هذا أم لا)، وهذا أمر لا يمكن تصديقه، لأننا نعلم مكانة يعقوب عليه السلام النبي الكريم عند أبنائه، اذ كانوا يكنون له الاحترام والتقدير والتعظيم.

- ماذا كان موقف يعقوب عليه السلام بعد سماعه خبر يوسف؟

من الفروقات التي بين رواية القرآن الكريم ورواية التوراة، موقف يعقوب عليه السلام بعد سماعه نبأ أكل الذئب ليوسف عليه السلام، فإن القرآن الكريم يبين لنا العلاقة العظيمة والقوية بين نبي الله يعقوب عليه السلام وربه سبحانه وتعالى في قوله تعالى:﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (١) فهو لم يصدق ما ذكره أبناءه، وذلك بما أطلعه الله عز وجل من الوحي بأن يوسف عليه السلام سيكون له شأن عظيم، كما ورد في تفسيره للرؤيا التي قصها عليه يوسف عليه السلام.

أما التوراة فقد صورت يعقوب على صورة لا تليق بالعقلاء فضلا عن الأنبياء، حيث جاء فيه:(فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحا على حقوية وناح على إبنه أياما كثيرة، فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه، فأبى أن يتعزى وقال إني أنزل إلى إبني نائحا إلى الهاوية) (٢).

فهذا النص يجعل يعقوب عليه السلام جاهلا بربه وبنفسه، وجاهلا بمصير يوسف عليه السلام، وبخداع أبنائه له. وكلمة الهاوية هذه تعني جهنم(٣)، وهذا يعني أن يعقوب عليه السلام يحكم على نفسه وعلى إبنه يوسف بدخولها، وهذا أمر محال، وفيه اعتراض واضح على قدر الله، وهذا باطل لا يمكن إقراره.

فهذه هي أهم الفروق التي ظهرت لنا، بين نص القرآن الكريم ونص التوراة، في هذه المرحلة من مراحل حياة يوسف عليه السلام، والله أعلم.

---

(١) سورة يوسف آية ١٨

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٣٧: ٣٤-٣٥

(٣) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٢٩/١

المرحلة الثانية: منذ قدومه الى مصر وحتى تفسيره لرؤيا ملك مصر:

اما المرحلة الثانية في مراحل قصة يوسف عليه السلام فقد رواها القـــران فـــي قولـــه:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ

أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ

يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (١)

وتحدثت التوراة عن هذه المرحلة من مراحل حياة يوسف عليه السلام حيث ورد في سفر التكوين ما نصه:

(وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط، رجل مصري من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك. وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحا، وكان في بيت سيده المصري.ورأى سيده أن الرب معه، وأن كل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده، فوجد يوسف نعمة في عينيه، وخدمه فوكله على بيته، ودفع إلى يده كل ما كان له، وكان من حين وكله على بيته وعلى كل ما كان له أن الرب بارك بيت المصري بسبب يوسف، وكان بركة الرب على كل ما كان له في البيت وفي الحقل، فترك كل ما كان له في يد يوسف، ولم يكن معه يعرف شيئا إلا

(١) سورة يوسف آية ٢١-٥٣

الخبز الذي يأكل. وكان يوسف حسن الصورة وحسن المنظر. وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت: اضطجع معي فأبى، وقال لامرأة سيده: هوذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت، وكل ماله قد دفعه إلى يدي، ليس هو في هذا البيت أعظم مني، ولم يمسك عني شيئا غيرك لأنك امرأته، فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى ال.له وكان إذ كلمت يوسف يوما فيوما أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها.

ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله، ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت، فأمسكته بثوبه قائلة: اضطجع معي، فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج. وكان لما رأت أنه ترك ثوبه في يدها وهرب إلى خارج، أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة: انظروا قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا، دخل إلي ليضطجع معي، فصرخت بصوت عظيم ،وكان لما سمع أني رفعت صوتي وصرخت، أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب وخرج إلى خارج.

فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة: دخل إلي العبراني الذي جئت به إلينا ليداعبني، وكان لما رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي وهرب إلى خارج.

فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذي كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام، صنع بي عبدك أن غضبه حمي، فأخذ يوسف سيده ووضعه في بيت السجن، المكان الذي كان أسرى الملك محبوسين فيه وكان هناك في بيت السجن.

ولكن الرب كان مع يوسف وبسط إليه لطفا وجعل نعمة له في عيني رئيس بيت السجن، فدفع رئيس بيت السجن إلى يد يوسف جميع الأسرى الذين في بيت السجن، وكل ما كانوا يعملون هناك، كان هو العامل ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئا البتة مما في يده، لأن الرب كان معه ومهما صنع كان الرب ينجحه.

وحدث بعد هذا الأمور أن ساقي ملك مصر والخباز أذنبا إلى سيدهما ملك مصر، فسخط فرعون على خصبيه رئيس السقاة ورئيس الخبازين فوضعهما في حبس بيت

رئيس الشرط، في بيت السجن، المكان الذي كان يوسف محبوسا فيه، فأقام رئيس الشرط يوسف عندهما فخدمهما وكانا أياما في الحبس.

وحلما كلاهما حلما في ليلة واحدة، كل واحد حلمه كل واحد بحسب تعبير حلمه، ساقي ملك مصر وخبازه المحبوسان في بيت السجن، فدخل يوسف إليهما في الصباح ونظرهما وإذا هما مغتمان فسأل خصي فرعون اللذين معه في حبس بيت سيده قائلا: لماذا وجهاكما مكمدان اليوم، فقالا له: حلمنا حلما وليس من يعبره فقال: لهما يوسف أليست لله التعابير قصا علي.

فقص رئيس السقاة حلمه على يوسف وقال له: كنت في حلمي وإذا كرمة أمامي، وفي الكرمة ثلاثة قضبان، وهي إذ أفرخت طلع زهرها وأنضجت عناقيدها عنبا، وكانت كأس فرعون في يدي فأخذت العنب وعصرته في كأس فرعون، وأعطيت الكأس في يد فرعون. فقال له يوسف: هذا تعبيره الثلاثة القضبان هي ثلاثة أيام في ثلاثة أيام أيضا، يرفع فرعون رأسك ويردك إلى مقامك فتعطي كأس فرعون في يده كالعادة الأولى حين كنت ساقيه، وإنما إذا ذكرتني عندك حينما يصير لك خير تصنع إلي إحسانا وتذكرني لفرعون وتخرجني من هذا البيت، لأني قد سرقت من أرض العبرانيين، وهنا أيضا لم أفعل شيئا حتى وضعوني في السجن.

فلما رأى رئيس الخبازين عبر جيدا قال ليوسف: كنت أنا أيضا في حلمي وإذا ثلاثة سلال حواري على رأسي، وفي السلة الأعلى من جميع طعام فرعون من صنعة الخباز والطيور تأكله من السلة عن رأسي، فأجاب يوسف وقال: هذا تعبيره الثلاثة السلال هي ثلاثة أيام في ثلاثة أيام أيضا، يرفع فرعون رأسك عنك ويعلقك على خشبة وتأكل الطيور لحمك عنك.

فحدث في اليوم الثالث يوم ميلاد فرعون، أنه صنع وليمة لجميع عبيده ورفع رأس رئيس السقاة ورأس رئيس الخبازين بين عبيده، ورد رئيس السقاة إلى سقيه فأعطى الكأس في يد فرعون، وأما رئيس الخبازين فعلقه كما عبر لهما يوسف، ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه.

وحدث من بعد سنتين من الزمان أن فرعون رأى حلما وإذا هو واقف عند النهر، وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر وسمينة اللحم فأرتعت في روضة، ثم هوذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها من النهر قبيحة المنظر ورقيقة اللحم، فوقفت بجانب البقرات على شاطئ النهر فأكلت البقرات القبيحة المنظر والرقيقة اللحم، البقرات السبع الحسنة المنظر والسمينة. واستيقظ فرعون ثم نام فحلم ثانية، وهوذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد سمينة وحسنة، ثم هوذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها، فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع السمينة الممتلئة، واستيقظ فرعون وإذا هو حلم. وكان في الصباح أن نفسه انزعجت فأرسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها وقص عليهم فرعون حلمه، فلم يكن من يعبره لفرعون.

ثم كلم رئيس السقاة فرعون قائلا: أنا أتذكر اليوم خطاياي، فرعون سخط على عبديه فجعلني في حبس بيت رئيس الشرط أنا ورئيس الخبازين، فحلمنا حلما في ليلة واحدة أنا وهو، حلمنا كل واحد بحسب تعبير حلمه، وكان هناك معنا غلام عبراني عبد لرئيس الشرط فقصصنا عليه فعبر لنا حلمينا، عبر لكل واحد بحسب حلمه وكما عبر لنا هكذا حدث ردني أنا إلى مقامي وأما هو فعلقه.

فأرسل فرعون ودعا يوسف، فأسرعوا به من السجن فحلق وأبدل ثيابه ودخل على فرعون، فقال فرعون ليوسف: حلمت حلما وليس من يعبره وأنا سمعت عنك قولا أنك تسمع أحلاما لتعبرها، فأجاب يوسف فرعون قائلا: ليس لي، الله يجيب سلامة فرعون.

فقال فرعون ليوسف: إني كنت في حلمي واقفا على شاطئ النهر، وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر سمينة اللحم وحسنة الصورة فأرتعت في روضة، ثم هوذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها مهزولة وقبيحة الصورة جدا ورقيقة اللحم، لم أنظر في كل أرض مصر مثلها في القباحة، فأكلت البقرات الرقيقة والقبيحة البقرات السبع الأولى السمينة، فدخلت أجوافها ولم يعلم أنها دخلت أجوافها، فكان منظرها قبيحا كما في الأول.

واستيقظت ثم رأيت في حلمي وهوذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد ممتلئة وحسنة، ثم هوذا سبع سنابل يابسة رقيقة ملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها، فابتلعت السنابل

الرقيقة السنابل السبع الحسنة، فقلت للسحرة ولم يكن من يخبرني.
فقال يوسف لفرعون: حلم فرعون واحد، قد أخبر الله فرعون بما هو صانع البقرات السبع الحسنة في سبع سنين والسنابل السبع الحسنة هي سبع سنين هو حلم واحد، والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التي طلعت وراءها في سبع سنين والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعا، هو الأمر الذي كلمت به فرعون قد أظهر الله لفرعون ما هو صانع هوذا سبع سنين قادمة شبعا عظيما في كل أرض مصر، ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعا فينسى كل الشبع في أرض مصر، ويتلف الجوع الأرض ولا يعرف الشبع في الأرض من أجل ذلك الجوع بعده لأنه يكون شديدا جدا، وأما عن تكرار الحلم على فرعون مرتين فلأن الأمر مقرر من قبل الله والله مسرع ليصنعه.
فالآن لينظر فرعون رجلا بصيرا وحكيما ويجعله على أرض مصر، يفعل فرعون فيوكل نظارا على الأرض ويأخذ خمس غلة أرض مصر في سبع سني الشبع، فيجمعون جميع طعام هذه السنين الجيدة القادمة ويحزنون قمحا تحت يد فرعون طعاما في المدن، ويحفظون فيكون الطعام ذخيرة للأرض لسبع سني الجوع التي تكون في أرض مصر، فلا تنقرض الأرض بالجوع).[1]
إن رواية القرآن وراوية سفر التكوين يبدوان متشابهين من الوهلة الأولى، ولكن بعد امعان النظر في الروايتين يتبين لنا الكثير من أوجه الاختلاف بينهما، نذكر منها أهمها:-

-من الذي اشترى يوسف عليه السلام؟ يصف

يصف القرآن الكريم الرجل المصري الذي اشترى يوسف عليه السلام بأنه كان متزوجا ولذا قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ

(١) سفر التكوين ٣٩: ١ -٢٣ و ٤٠: ١-٢٣ و ٤١: ١-٣٦

نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [1] فقد كان متزوجا، وبناء عليه ينبغي أن يكون قادرا على حقوق العشرة الزوجية ومن أهمها حق الجماع.

وأما التوراة فنصت على أن الذي اشتراه " فطيوفار خصي فرعون " والخصي هو الذي لا يستطيع القيام بحق من حقوق الزوجية وهو الجماع، وهذا فرق واضح.

- ما هو سبب رفض يوسف عليه السلام لدعوة امرأة العزيز؟

ذكر القرآن الكريم أن سبب رفض يوسف للوقوع في ما دعته إليه امرأة العزيز هو ما جاء في قوله تعالى:﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [2]

فالسبب الظاهر في هذه الآية من امتناع يوسف عليه السلام عن اتيان الفحشاء، هو خوفه من الله الذي أحسن مثواه.

وأما التوراة فقد نصت على أن هناك سببان في ترك يوسف لهذا المنكر:

الأول: احترام يوسف عليه السلام وحفظه لمحارم ذلك الرجل المصري أي العزيز.

الثاني: مخافة فعل الخطأ لله عز وجل، ولذا قال:

(هو ذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت وكل ماله قد دفع إلى يدي ليس هو في هذا البيت أعظم مني ولم يمسك عني شئ غيرك لأنك امرأته، فكيف أصنع هذا الشر وأخطأ إلى الله) [3]، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فان يوسف عليه السلام بدأ في سرد سبب امتناعه وهو الخوف من الله عز وجل أولا وبدون ذكر سبب آخر. أما التوراة فقد ذكرت اولا مخافة الرجل أي العزيز، ثم بعد ذلك مخافة الله.

---

(١) سورة يوسف آية ٢١

(٢) سورة يوسف آية ٢٣

(٣)

-كيف انسحب يوسف من الموقف مع إمرأة العزيز؟

في حادثة هروب يوسف عليه السلام من امرأة العزيز، نص القرآن الكريم على أن امرأة العزيز قد أمسكت بثوب يوسف حتى قطعته من الخلف، كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ﴾(١) .

أما التوراة فاشارت إلى أن يوسف عليه السلام قد خلع ثوبه وتركه عندها حينما أمسكته، ولا أدري كيف لنا أن نصدق بأن يوسف عليه السلام هو الذي خلع ثوبه بارادته، وهو في حال عجل وهروب من الموقف، وكذلك كيف يخلع ثوبه ليفسح بفعله هذا مجالا للظن السيء به، وهو نبي الله ومثال العفة والشرف.

-ما هو سبب دخول يوسف عليه السلام الى السجن؟

كان دخول يوسف عليه السلام الى السجن بسبب انتشار السمعة السيئة عن امراة العزيز، وافتتان نساء مصر بيوسف عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم، قوله: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾(٢) فهذه الاية تدل على أن الطبقة الحاكمة من أهل مشورة العزيز قد وضعوا التهم المزورة والمكذوبة على يوسف عليه السلام لوضعه في السجن، حتى تنقطع الشائعات في المدينة و يحصل الكتمان للفضائح التي حلت بأهل بيت العزيز ونساء المدينة الأثرياء، اللواتي حصل منهن الافتتان بيوسف عليه السلام.

أما التوراة فقد جعلت من حادثة امرأة العزيز التي دعته فيها إلى الفاحشة، وما حصل بعد ذلك من اتهامها ليوسف عليه السلام، وأنه أراد الاعتداء عليها السبب في دخوله السجن، ولذلك جاء في النص أن فطيوفار:

(حمي غضبه على يوسف وأخذه فوضعه في بيت السجن) (٣).

---

(١) سورة يوسف آية ٢٥

(٢) سورة يوسف اية ٣٥

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٣٩: ١٩-٢٠

وهذا فرق ظاهر بين الروايتين.

- هل كان دخول يوسف وصاحبيه الى السجن في وقت واحد؟

نص القرآن الكريم على أن الفتيين الذين كانا مع يوسف في السجن قد دخلا مع يوسف السجن في وقت واحد، ولذا قال الله تعالى:﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ...الآية﴾ (١) أي أنهما دخلا بدخوله فإن "دخل" فعل ماضي و "معه" ظرف بمكان الإجتماع وزمانه، وهو متعلق بـ " دخل" ،والمعنى أنهما دخلا السجن مع يوسف عليه السلام في ساعة واحدة.

أما التوراة فتنص على أن الفتيين قد دخلا السجن بعد يوسف بزمن مقدر، فجاء في النص التوراتي:

(وحدث بعد هذه الأمور أن ساقي ملك مصر والخباز أذنبا إلى سيدهما ملك مصر، فسخط على خصييه ورئيس السقاة ورئيس الخبازين فوضعهما في حبس بيت رئيس الشرط في بيت السجن، المكان الذي كان يوسف محبوسا فيه) (٢).

فهذا فرق بين الخبرين، وإن لم يكن له تأثير في معنى القصة ومجريات الاحداث، والله أعلم.

- من الذي بدأ بالحوار بين يوسف عليه السلام وصاحبي السجن؟

يرى القرآن الكريم على أن الفتيين قد بادرا يوسف بالسؤال عن تفسير مارأياه في المنام، كما قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) وهذا يتفق مع وصف يوسف بالنبوة، فما أن سمع يوسف

(١) سورة يوسف آية ٣٦

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٤٠: ١-٤

(٣) سورة يوسف آية ٣٦

عليه السلام رؤى الرجلين ، حتى استغل هذا الموقف في دعوتهم إلى الله، ثم بعد ذلك فسر لكل منهما حلمه.

وأما التوراة فإنها تجعل يوسف هو الذي بادر الساقي والخباز بالسؤال عن سبب اغتمامهما وتغير وجهيهما وحزنهما، وعندما اجاباه انهما رايا حلما وليس من يعبره لهما ذلك الحلم. فيوسف عليه السلام حسب هذا النص هو الذي بادر بالسؤال، وهذا فرق ، وإن كان في الأمرين وجه من الحق، والله أعلم.

-كيف روى صاحبي السجن رؤياهما ليوسف عليه السلام؟

تختلف رواية صاحبي يوسف عن حلمهما في القران الكريم عن رواية التوراة، فالقرآن يذكرها باختصار شديد كأن لم تكن إلا إشارة أو رمزا، تاركا بذلك المجال لإظهار علم يوسف عليه السلام بالتأويل لتقديم حجة نبوته على الرجلين.

أما التوراة فإنها تذكر الرواية على لسان صاحبيها كأنها مفسرة ومشروحة، فتذكر الاحلام في التوراة مطولة جدا، مما لايجعل مجالا لاظهار علم يوسف عليه السلام بتأويل الرؤى، فكأن الرؤى في التوراة قد جاءت مفسرة قبل أن يوضح يوسف عليه السلام معناها ومدلولها.

-ماهي طريقة تفسير يوسف عليه السلام لرؤيا صاحبي السجن؟

استخدم القرآن الكريم في تفسير يوسف لرؤيا صاحبيه في السجن ضمير الغائب، فقال تعالى: ﴿ فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ [1] وكذلك قوله:﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ﴾ وكذلك قوله:﴿ أَمَّآ أَحَدُكُمَا ﴾ وقوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلْآخَرُ ﴾.

وفي هذا الأسلوب من يوسف عليه السلام مراعاة لمشاعر لذلك الخباز الذي مصيره القتل والصلب فجعل الخطاب مبهما، وهذا يتفق مع أخلاق الأنبياء ذوي الرحمة والحكمة والحياء.وأما التوراة فانها جعلت يوسف يفسر الرؤيا بضمير المخاطب، اي ان يوسف خلطب الناجي والمقتول منهما مباشرة دون مراعاة للمشاعر، مما يتنافى مع أخلاق الأنبياء وحكمتهم.

---

(١) سورة يوسف آية ٤١

-لماذا نسي الساقي ذكر يوسف عليه السلام؟

بين القران أن سبب نسيان الساقي لذكر يوسف عليه السلام حتى يخرج من السجن هو الشيطان، فقال تعالى: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾. (١)

وأما نص التوراة فإنه يجعل رئيس السقاة وكانه نسيه من تلقاء نفسه إذ يقول:(ولكن لم يذكر رئيس السقاة بل نسيه) (٢).

وهذا فرق بين الروايتين. وهو بلا شك تحريف من كتبة التوراة للقصة في هذا الموضع، اذ لم تذكر القصة معنى العداوة بين الإنسان والشيطان .

-كم كانت مدة بقاء يوسف في السجن؟

ينص القرآن الكريم على أن يوسف عليه السلام قد لبث في السجن بضع سنين، والبضع في اللغة العربية هو مابين الثلاثة والعشرة،(٣) قال تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (٤) أما التوراة فإنها تنص على أن يوسف عليه السلام قد لبث في السجن سنتين، وهذا خطا والصواب ما أثبته القران.

-كيف روى الملك رؤياه؟

اختصر القران رؤيا الملك، تاركا المجال لإظهار معجزة يوسف عليه السلام في التأويل، فقد وردت رؤيا الملك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ﴾(٥) أي بلغ عدد كلماتها احدى عشر كلمة، أما رؤيا الملك فقد زادت في التوراة على سبعين كلمة، ومفسرة ومشروحة، بحيث لا يبقى ليوسف فضل ولا مزية في تفسيرها وتاويلها.

---

(١) سورة يوسف آية ٤٢

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٢٣:٤٠

(٣) أنظر المفردات للراغب الأصفهاني ص ٥٠

(٤) سورة يوسف آية ٤٢

(٥) سورة يوسف آية ٤٣

-ماذا كان لقب حاكم مصر في عهد يوسف عليه السلام؟

ذكر القرآن الكريم النص ملك مصر بإسم الملك فقط، مقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ .....الآية﴾ (١) وقال أيضا: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ .....الآية﴾(٢)وقال أيضا: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا ... الآية﴾ (٣)

فهناك اذن تاكيد على لفظ الملك دون سواه من الألفاظ الأخرى. التى يحملها الحكام أما التوراة، فإنها تذكر أحيانا ملك مصر والأكثر فرعون، وهذه خطأ تاريخي، كما أشار الى ذلك عدد من المحققين،(٤)بأن زمن يوسف عليه السلام هو عصر الهكسوس الذين حكموا مصر وليس زمن الفراعنة الذين جاؤوا بعدهم، وعصر الهكسوس يطلق على الحاكم لفظ الملك، وليس لفظ فرعون.

- هل تعددت رؤى حاكم مصر؟

إن رؤيا الملك في القرآن الكريم تبين أن مارآه الملك من بقرات وسنابل كانت رؤيا واحدة في منام واحد، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ ﴾ (٥) أما النص التوراتي فإنه يجعل الرؤيا في منامين اثنين وفي فترتين زمنيتين مختلفتين ، بحيث ان فرعون كان يستيقظ بينهما ثم يعاود النوم مرة أخرى،

وهذا فرق في رواية القصة، والصحيح ما رواه القران وهو ان الرؤيا واحدة وهي التي فسرها يوسف.

---

(١) سورة يوسف آية ٤٣

(٢) سورة يوسف آية ٥٠

(٣) سورة يوسف آية ٥٤

(٤) انظر بنو اسرائيل من عصر ابراهيم الى عصر موصى عليهما السلام للدكتور محمد بيومي مهران ٢١٤/١ وما بعدها.

(٥) سورة يوسف آية ٤٣

-ماذا كان موقف الساقي من يوسف عليه السلام بعد خروجه من السجن؟

لما خرج الساقي من السجن ورجع إلى ملك مصر وسقاه الخمر، ورأى الملك رؤياه وطلب تأويلها، فإن القرآن الكريم يجعل من الساقي يستبشر بتذكره ليوسف الصديق عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ... الآية﴾ (١) فهذا الموقف يبين لنا أن ساقي الملك قد صدق بيوسف عليه السلام وآمن بدعوته.

أما في رواية التوراة فلم تتغير نظرة الساقي عن يوسف في كونه عبد عبراني، رغم تصديقه له حين عبر له عن رؤياهما، مما لا يجعلنا نحكم بإيمان هذا الساقي بيوسف عليه السلام ودعوته إلى الله، وإننا لا نستريب في تأثير الإنسان لمن أحسن إليه، فعلى الاقل أن يحفظ له المودة ويظهر له الإحترام، كما عبر القرآن الكريم بذلك على لسان الساقي.

-كيف تصرف يوسف عليه السلام في مواجهة المجاعة؟

اتخذ يوسف عليه السلام طريقة مثلى في مواجهة المجاعة جاء ذلك في قوله لمن يعنيهم تدبير شؤون الناس: ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ (٢).

ففي هذا النص القرآني البديع اصدر عليه السلام توجيهين اثنين لتفادي المجاعة القادمة.

الأول منهما: التخزين الصحيح للحبوب الذي لم تعرف طريقته إلا في هذا العصر الحديث، حيث أثبت العلم أن ترك الحب في سنبله وتخزينه هكذا يحميه من التسوس والتلف ويبقى على قيمته الغذائية.

الثاني منهما: في الإدارة والتنظيم حيث يواجه المجاعة في حال اليسر والسعة في السبع سنين الأولى، بأن يكون الأكل قليلا والأكثر يحول إلى المخازن التي أعدت لحفظ الحبوب في المستقبل.

---

(١) سورة يوسف آية ٤٦

(٢) سورة يوسف آية ٤٧

أما التوراة فإنها تذكر أن الطعام يؤخذ فيخزن في المدن دون الإشارة إلى الأسلوب الأمثل في طريقة تخزينه، جاء فيه:(أن يوسف قدر لهم أن يخزنوا خمس غلة أرض مصر في سبع سنين) [١] وهذا يعني أن الأكثر يستهلك في السبع السنين الأولى وهي سني الشبع والسعة والقليل منه هو الذي يدخر ويخزن، وهذا يتنافى مع طبيعة الإستعداد لمواجهة المجاعة لأهل أرض مصر وما حولها. فالحمد لله الذي حفظ القرآن الكريم من التحريف.

-كيف فسر يوسف عليه السلام حال الناس بعد سني مجاعة؟

جاء في النص التوراتي قول يوسف لما سيحدث لأهل مصر(ولا يعرف الشبع في الأرض من أجل ذلك الجوع بعده لأنه يكون شديدا جدا) [٢]. فلم يشر هذا النص إلى الفرج الذي سيأتي لأهل الأرض بعد سني المجاعة، بل اشار إلى بقاء الجوع في الأرض.

أما القرآن الكريم فأكد على أنه سيأتي بعد سني المجاعة عام فيه يغاث الناس ويجدون الخير والفرج بعد تلك الشدة، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [٣] ومن هذا النص يتضح أن ذلك العام هو الذي تكون فيه نهاية المجاعة التي حصلت لأهل ذلك الزمان، وغالبا ما يكون اليسر بعد العسر، وهذا ما يوافق القرآن الكريم.

تلك هي أهم الفروق التي جاءت بين الروايتين في هذه المرحلة من مراحل حياة يوسف عليه الصلاة والسلام.

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٤١: ٣٤-٣٦

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٤١: ٣١

(٣) سورة يوسف آية ٤٩

المرحلة الثالثة: منذ خروجه من السجن إلى آخر قصة يوسف عليه الصلاة والسلام:

تحدث القرآن الكريم عن هذه المرحلة من حياته عليه السلام بقوله تعالى:-

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا

حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَـِٔسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۙ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ

أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ

جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ ۞ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝ ﴾ (١)

أما التوراة فقد تحدثت عن هذه المرحلة من حياة يوسف عليه السلام، حيث جاء في سفر التكوين مانصه:-

(فحسن الكلام في عيني فرعون وفي عيون جميع عبيده فقال فرعون لعبيده: هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله، ثم قال فرعون ليوسف: بعد ما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك وأنت تكون على بيتي وعلى فمك يقبل جميع شعبي، إلا أن الكرسي أكون فيه أعظم منك ثم قال فرعون ليوسف: أنظر قد جعلتك على كل أرض مصر. وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف، وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه وأركبه في مركبته الثانية، ونادوا أمامه اركعوا وجعله على كل أرض مصر. وقال فرعون ليوسف: أنا فرعون فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله في كل أرض مصر. ودعا فرعون اسم يوسف صفنات فعانيح، وأعطاه أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون زوجة، فخرج يوسف على أرض مصر، وكان يوسف ابن ثلاثين سنة لما وقف قدام فرعون ملك مصر. فخرج يوسف من لدن فرعون واجتاز في كل أرض مصر، وأثمرت الأرض في سبع سني الشبع بحزم. فجمع كل طعام السبع سنين التي كانت في أرض مصر، وجعل طعاما في المدن طعام حقل المدينة الذي حواليها جعله فيها وخزن يوسف قمحا كرمل البحر كثيرا جدا، حتى ترك العدد إذ لم يكن عدد. وولد ليوسف إبنان قبل أن تأتي سنة الجوع ولدتهما له أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون،

(١) سورة يوسف آية ٥٤-١٠١

ودعا يوسف إسم البكر منسي لأن الله أنساني كل تعبي وكل بيت أبي، ودعا إسم الثاني أفرايم لأن الله جعلني مثمرا في أرض مذلتي.

ثم كملت سبع سني الشبع الذي كان في أرض مصر، وابتدأت سبع سني الجوع تأتي كما قال يوسف، فكان جوع في جميع البلدان، وأما جميع أرض مصر فكان فها خبزه. ولما جاعت جميع أرض مصر وصرخ الشعب إلى فرعون لأجل الخبز، قال فرعون لكل المصريين: اذهبوا إلى يوسف والذي يقول لكم افعلوا، وكان الجوع على كل وجه الأرض، وفتح يوسف جميع ما فيه وباع للمصريين. واشتد الجوع في أرض مصر وجاءت كل الأرض إلى مصر إلى يوسف لتشتري لأن الجوع كان شديدا في كل الأرض.

فلما رأى يعقوب أنه يوجد قمح في مصر قال يعقوب لبنيه: لماذا تنظرون بعضكم إلى بعض، وقال إني قد سمعت أنه يوجد قمح في مصر انزلوا إلى هناك واشتروا لنا من هناك لنحيا ولا نموت. فنزل عشرة من أخوة يوسف ليشتروا قمحا من مصر، وأما بنيامين أخو يوسف فلم يرسله يعقوب مع إخوته لأنه قال لعله تصيبه أذية.

فأتى بنو إسرائيل ليشتروا بين الذين أتوا لأن الجوع كان في أرض كنعان. وكان يوسف هو المسلط على الأرض وهو البائع لكل شعب الأرض. فأتى إخوة يوسف وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض. لما نظر يوسف إخوته عرفهم فتنكر لهم وتكلم معهم بجفاء وقال لهم: أين جئتم، فقالوا: من أرض كنعان لنشتري طعاما. وعرف يوسف إخوته وأما هم فلم يعرفوه.

فتذكر يوسف الأحلام التي حلم عنهم وقال لهم: جواسيس أنتم لتروا عورة الأرض جئتم. فقالوا له: لا ياسيدي بل عبيدك جاؤوا ليشتروا طعاما، نحن جميعنا بنو رجل واحد، نحن أمناء ليس عبيدك جواسيس. فقال لهم: كلا بل لتروا عورة الأرض جئتم، فقالوا: عبيدك اثنا عشر أخا، نحن بنو رجل واحد في أرض كنعان وهوذا الصغير عند أبينا اليوم والواحد مفقود. فقال لهم يوسف ذلك ما كلمتكم به قائلا :جواسيس أنتم بهذا تمتحنون، وحيوة فرعون لا تخرجون من هنا ألا جئتم بأخيكم الصغير إلى هنا، أرسلوا

منكم واحد ليجيئ بأخيكم وأنتم تحبسون فيمتحن كلامكم هل عندكم صدق وإلا فوحياة فرعون إنكم لجواسيس. فجمعهم إلى حبس ثلاثة أيام.

ثم قال لهم يوسف في اليوم الثالث: إفعلوا هذا وأحيوا أنا خائف الله إن كنتم أمناء فليحبس أخ واحد منكم في بيت حبسكم وانطلقوا أنتم وخذوا قمحا لمجاعة بيوتكم أحضروا أخاكم الصغير إلي فيتحقق كلامكم ولا تموتوا، ففعلوا هكذا وقالوا بعضهم لبعض: حقا إننا مذنبون إلى أخينا الذي رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع لذلك جاءت علينا هذه الضيقة، فأجابهم راوبين قائلا: ألم أكلمكم قائلا لا تأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا، فهوذا دمه يطلب وهم لم يعلموا أن يوسف فاهم لأن الترجمان كان بينهم، فتحول عنهم وبكى ثم رجع إليهم وكلمهم وأخذ منهم شمعون وقيده أمام عيونهم.

ثم أمر يوسف أن تملأ أوعيتهم قمحا وترد فضة كل واحد إلى عدله وأن يعطوا زادا للطريق، ففعل لهم هكذا، فحملوا قمحهم على حميرهم ومضوا من هناك، فلما فتح أحدهم عدله ليعطي عليقا لحماره في المنزل رأى فضته وإذا هي في فم عدله فقال لإخوته: ردت فضتي وهاهي في عدلي، فطارت قلوبهم وارتعدوا بعضهم في بعض قائلين: ماهذا الذي صنعه الله بنا؟.

فجاؤوا إلى يعقوب أبيهم إلى أرض كنعان وأخبروه بكل ما أصابهم قائلين: تكلم معنا الرجل سيد الأرض بجفاء وحسبنا جواسيس الأرض، فقلنا له نحن أمناء لسنا جواسيس نحن إثنا عشر أخا بنو أبينا الواحد مفقود والصغير اليوم عند أبينا في أرض كنعان، فقال لنا الرجل سيد الأرض: بهذا أعرف أنكم أمناء دعوا أخا واحدا منكم عندي وخذوا المجاعة بيوتكم وانطلقوا وأحضروا أخاكم الصغير إلي فأعرف أنكم لستم جواسيس بل أنكم أمناء، فأعطيكم أخاكم وتتجرون في الأرض، وذا كانوا يفرغون عدالهم إذا صرة فضة كل أحد في عدله فلما رأوا صرر فضتهم هم وأبوهم خافوا.

فقال لهم يعقوب: أعدمتموني الأولاد، يوسف مفقود وشمعون مفقود، وبنيامين تأخذونه، صار كل هذا علي. كلم راوبين أباه قائلا: أقتل إبني إن لم أجي به إليكم، سلمه بيدي

وأنا أرده إليك فقال: لا ينزل إبني معكم لأن أخاه قد مات وهو وحده باق فإن أصابته أذية في الطريق التي تذهبون فيها تنزلون شيبتي بحزن إلى الهاوية.

وكان الجوع شديدا في الأرض، وحدث لما فرغوا من أكل القمح الذي جاؤوا به من مصر أن أباهم قال لهم إرجعوا إشتروا لنا قليلا من الطعام فكلمه يهوذا قائلا: إن الرجل قد أشهد علينا قائلا لا ترون وجهي بدون أن يكون أخوكم معكم، إن كنت ترسل أخانا معنا ننزل ونشتري لك طعاما، ولكن إن كنت لا ترسله لا ننزل لأن الرجل قال لنا: لا ترون وجهي بدون أن يكون أخوكم معكم.

فقال إسرائيل: لماذا أسأتم إلي حتى أخبرتم الرجل أن لكم أخا أيضا، فقالوا: إن الرجل قد سأل عنا وعن عشيرتنا قائلا هل أبوكم حي، بعد هل لكم أخ؟ فأخبرناه بحسب هذا الكلام، هل كنا نعلم أنه يقل إنزلوا بأخيكم.

وقال يهوذا لإسرائيل: أرسل الغلام معي لنقوم ونذهب ونحيا ولا نموت ونحن وأنت وأولادنا جميعا، أنا أضمنه من يدي تطلبه إن لم أجيء به إليك،وأوقفه قدامك أصر مذنبا إليك كل الأيام، لأننا لو لم نتوان لكنا قد رجعنا الآن مرتين.

فقال لهم إسرائيل أبوهم: إن كان هكذا فافعلوا هذا خذوا من أفخر جني الأرض في أوعيتكم وانزلوا للرجل هدية قليلا من البلسان وقليلا من العسل وكثيراء ولاذنا وفستقا ولوزاء، وخذوا فضة أخرى في أياديكم والفضة المردودة في أفواه عدالكم ردوها في أياديكم لعله كان سهوا، وخذوا أخاكم وقوموا ارجعوا إلى الرجل والله القدير يعطيكم رحمة أمام الرجل حتى يطلق لكم أخاكم الآخر وبنيامين، وأنا إذا عدمت الأولاد عدمتم.

فأخذ الرجل هذه الهدية وأخذوا ضعف الفضة في أياديهم وبنيامين وقاموا ونزلوا إلى مصر، ووقفوا أمام يوسف فلما رأى يوسف بنيامين معهم قال للذي على بيته: أدخل الرجال إلى البيت وإذبح ذبيحة وهبى لأن الرجال يأكلون معي عند الظهر، ففعل الرجل كما قال يوسف وأدخلوا الرجال الى بيت يوسف.

فخاف الرجال إذ أدخلوا الى بيت يوسف وقالوا لسبب الفضة التي رجعت أولا في عدالنا نحن قد أدخلنا ليهجم علينا ويقع بنا ويأخذنا عبيدا وحميرنا، فتقدموا إلى

الرجل الذي على بيت يوسف وكلموه في باب البيت وقالوا: استمع ياسيدي، إننا قد نزلنا أولا لنشتري طعاما وكان لما أتينا إلى المنزل أننا فتحنا عدالنا وإذا فضة كل واحد في فم عدلة فضتنا بوزنها فقد رددناها في أيادينا وأنزلنا فضة أخرى في أيادينا لنشتري طعاما، لا نعلم من وضع فضتنا في عدالنا.

فقال سلام لكم لا تخافوا إلهكم وإله أبيكم أعطاكم كنزا في عدالكم فضتكم وصلت إلي ثم أخرج إليهم شمعون وأدخل الرجل الرجال إلى بيت يوسف، أعطاهم ماء ليغسلوا أرجلهم وأعطى عليفا لحميره، وهيأوا الهدية إلى أن يجيء يوسف عند الظهر لأنهم سمعوا أنهم هناك يأكلون طعاما.

فلما جاء يوسف إلى البيت أحضروا إليه الهدية التي في أياديهم إلى البيت وسجدوا له إلى الأرض، فسأل عن سلامتهم وقال: أسألم أبوكم الشيخ الذي قلتمأاخي هو بعد فقالوا: عبدك أبونا سالم هو حي بعد وخروا وسجدوا.

فرفع عينيه ونظر بنيامين أخاه إبن أمه وقال: أهذا أخوكم الصغير الذي قلتم لي ثم قال: الله ينعم عليكم يا ابني، واستعجل يوسف لأن أحشاءه حنت إلى أخيه وطلب مكانا ليبكي فدخل المخدع وبكى هناك.

ثم غسل وجهه وخرج وتجلد وقال: قدموا طعاما، فقدموا له وحده ولهم وحدهم وللمصريين الآكلين عنده وحدهم، لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاما مع العبرانيين[1] لأنه رجس عن المصريين، فجلسوا قدامه البكر بحسب بكوريته والصغير بحسب صغره، فبهت الرجال بعضهم إلى بعض، ورفع حصصا من قدامه إليهم فكانت حصة بنيامين أكثر من حصص جميعهم خمسة أضعاف وشربوا ورووا معه.

ثم أمر الذي على بيته قائلا: إملأ عدال الرجال طعاما حسب ما يطيقون حمله وضع فضة كل واحد في فم عدله، وطاسي طاس الفضة تضع في فم عدل الصغير

(١) هم أحد فروع الشجرة السامية وينسب اسمهم إلى عابر أحد أجداد إبراهيم عليه السلام التي أتى بهم إلى فلسطين وقيل أن الذي قد منحهم هذا اللقب هم الكنعانيون، إذ سمو إبراهيم عليه السلام العبراني بعد عن عبر نهر الفرات إلى فلسطين. أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٦-٥٩٨.

وثمن قمحه. ففعل بحسب كلام يوسف الذي تلكم به، فلما أضاء الصبح انصرف الرجال هم وحميرهم ولما كانوا قد خرجوا من المدينة ولم يبتعدوا قال يوسف للذي على بيته قم إسع وراء الرجال ومتى أدركتهم فقل لهم لماذا جازيتم شرا عوضا عن خير، أليس هذا هو الذي يشرب سيدي فيه وهو يتفاءل به أساتم في ماصنعتم.

فأدركهم وقال لهم هذا الكلام فقالوا له: لماذا يتكلم سيدي مثل هذا الكلام، حاشا لعبيدك أن يفعلوا مثل هذا الأمر، هوذا الفضة التي وجدنا في أفواه عدالنا رددناها إليك من أرض كنعان فكيف نسرق من بيت سيدك فضة أو ذهبا، الذي يوجد معه من عبيدك يموت ونحن أيضا نكون عبيدا لسيدي، فقال: نعم الآن بحسب كلامكم هذا يكون الذي يوجد معه يكون لي عبدا، وأما أنتم فتكونون أبرياء. فاستعجلوا وأنزلوا كل واحد عدله إلى الأرض وفتحوا كل واحد عدله ففتش مبتدئا من الكبير حتى انتهى إلى الصغير، فوجد الطاس في عدل بنيامين، فمزقوا ثيابهم وحمل كل واحد على حماره ورجعوا الى المدينة.

فدخل يهوذا وإخوته إلى بيت يوسف وهو بعد هناك ووقعوا أمامه على الأرض فقال لهم يوسف: ما هذا الفعل الذي فعلتم، ألم تعلموا أن رجلا مثلي يتفاءل؟ فقال يهوذا ماذا نقول لسيدي ماذا نتكلم وبماذا نتبرر الله قد وجد أثم عبيدك ها نحن عبيد لسيدي نحن والذي وجد الطاس في يده جميعا فقال: حاشا لي أن أفعل هذا، الرجل الذي وجد الطاس في يده هو يكون لي عبدا، وأما أنتم فاصعدوا بسلام إلى أبيكم. ثم تقدم إليه يهوذا وقال: استمع ياسيدي ليتكلم عبدك كلمة في أذني سيدي ولا يحم غضبك على عبدك لأنك مثل فرعون سيدي، سأل عبيده قائلا: هل لكم أب وأخ، فقلنا لسيدي لنا أب شيخ وإبن شيخوخة صغير مات أخوه وبقى هو وحده لأمه وأبوه يحبه، فقلت لعبيدك إنزلوا به إلي، فاجعل نظري عليه، فقلنا لسيدي لا يقدر الغلام أن يترك أباه وأن ترك أبانا يموت، فقلت لعبيدك إن لم ينزل أخوكم الصغير معكم لا تعودوا تنظرون وجهي، فكان لما صعدنا إلى عبدك أبي أننا أخبرناه بكلام سيدي ثم قال أبونا: إرعوا إشتروا لنا قليلا من الطعام، فقلنا لا نقدر أن ننزل إذا كان أخونا الصغير معنا ننزل لأننا لا نقدر

أن ننظر وجه الرجل وأخونا الصغير ليس معنا فقال لنا: عبدك أبي أنتم تعلمون أن امرأتي ولدت لي اثنين فخرج الواحد من عندي، وقلت إنما هو قد افترس افتراسا ولم أنظره إلى الآن فاذا أخذتم هذا أيضا من أمام وجهي وإصابته أذية تنزلون شيبتي بشر إلى الهاوية. فالآن متى جئت الى عبدك أبي الغلام ليس معنا ونفسه مرتبطة بنفسه يكون متى رأى أن الغلام مفقود إنه يموت، فينزل عبيدك شيبة عبدك أبينا بحزن إلى الهاوية، لأن عبدك ضمن الغلام لأبي قائل:ا إن لم أجيء به إليك أصر مذنبا إلى أبي كل الأيام، فالآن ليمكث عبدك عوضا عن الغلام عبدا لسيدي، ويصعد الغلام مع إخوته، لأني كيف أصعد إلى أبي والغلام ليس معي لئلا أنظر الشر الذي يصيب أبي.

فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده فصرخ أخرجوا كل إنسان عني، فلم يقف أحد عنده حين عرف يوسف إخوته بنفسه فأطلق صوته بالبكاء فسمع المصريون وسمع بيت فرعون وقال يوسف لأخوته: أنا يوسف أخي أبي بعد فلم يستطيع إخوته أن يجيبوه لأنهم ارتاعوا منه.

فقال يوسف لإخوته: تقدموا إلي، فتقدموا فقال: أنا يوسف أخوكم الذي بعتموه إلى مصر والآن لا تتاسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتموني إلى هنا لأنه استبقاء حيوة، أرسلني الله فدامكم لأن للجوع في الأرض الآن سنتين وخمس سنين أيضا، لا تكون فيها فلاحة ولا حصاد، فقد أرسلني الله قدامكم ليجعل لكم بقية في الأرض وليستبقي لكم نجاة عظيمة، فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله وهو قد جعلني أبا لفرعون وسيدا لكل بيته ومتسلطا على كل أرض مصر، أسرعوا وأصعدوا إلى أبي وقولوا له هكذا يقول إبنك يوسف، قد جعلني الله سيدا لكل مصر، أنزل إلي لا تقف فتسكن في أرض جاسان وتكون قريبا مني أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وكل مالك وأعولك هناك، لأنه يكون أيضا خمس سنين جوعا لئلا تفتقر أنت وبيتك وكل مالك وهوذا عيونكم ترى وعينا أخي بنيامين أن في هو الذي يكلمكم وتخبرون أبي بكل مجدي في مصر وبكل ما رأيتم، وتستعجلون وتنزلون بأبي إلى هنا. ثم وقع على عنق بنيامين أخيه وبكى بنيامين على عنقه، وقبل جميع إخوته بكى عليهم بعد ذلك تكلم إخوته معه.

وسمع الخبر في بيت فرعون وقيل جاء أخوة يوسف، فحسن في عيني فرعون وفي عيون عبيده فقال فرعون ليوسف: قل لأخوتك إفعلوا هذا حملوا دوابكم وانطلقوا ذهبوا إلى أرض كنعان وخذوا أباكم وبيوتكم وتعالوا لي فأعطيكم خيرات أرض مصر وتأكلا دسم الأرض، فأنت قد أمرت إفعلوا هذا خذوا لكم من أرض مصر عجلات لأولادكم ونسائكم واحملوا أباكم وتعالوا، ولا تحزن عيونكم على أثاثكم لأن خيرات جميع أرض مصر لكم.

ففعل بنوا اسرائيل هكذا وأعطاهم يوسف عجلات بحسب أمر فوعون وأعطاهم زادا للطريق وأعطى كل واحد منهم حلل ثياب، وأما بنيامين فأعطاه ثلث مئة من الفضة وخمس حلل ثياب وأرسل لأبيه هكذا عشرة حمير حاملة من خيرات مصر وعشر اتن حاملة حنطة وخبزا وطعاما لابيه لأجل الطريق. ثم صرف إخوته فانطلقوا وقال لهم: لا تتغاضبوا في الطرق .

فصعدوا من مصر وجاءوا إلى أرض كنعان إلى يعقوب أبيهم وأخبروه قائلين: يوسف حي بعد وهو متسلط على كل أرض مصر، فجمد قلبه لأنه لم يصدقهم ثم كلموه بكل كلام يوسف الذي كلمهم به وأبصر العجلات التي أرسلهم يوسف لتحمله فعاشت روح يعقوب أبيهم فقال إسرائيل: كفى يوسف إبني حي بعد أذهب وأراه قبل أن أموت.

فارتحل إسرائيل وكل ماكان له وأتى إلى بئر سبع وذبح ذبائح له أبيه إسحاق فكلم الله إسرائيل في روى الليل وقال: يعقوب يعقوب فقال:هاأنذا فقال: أنا لاله إله أبيك لا تخف من النزول إلى مصر لأني أجعلك أمة عظيمة هناك، أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضا، ويضع يوسف يده على عينيك.

فقام يعقوب من بئر سبع وحمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم وأولادهم ونساءهم في العجلات التي أرسل فرعون لحمله، وأخذوا مواشيهم ومقتناهم الذي اقتنوا في أرض

كنعان وجاؤوا إلى مصر يعقوب وكل نسله معه بنوه وبنو بنيه معه وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه إلى مصر)[1].

بهذه المرحلة من مراحل حياة يوسف عليه الصلاة والسلام تنتهي قصة ذلك الغلام الذي لاقى ما لاقاه من ابتلاءات في حياته، من تآمر إخوته عليه في إبعاده عن أبيه يعقوب عليه السلام، ثم دخوله السجن لسنوات عديدة، غير أن هذين النصين السابق ذكرهما فيهما من الاختلافات والفروق الشيء الكثير، ونحن هنا نذكر أهم هذه الاختلافات والفروق فيما يلي:

-هل طلب يوسف أن يكون أمينا على خزائن مصر؟

يؤكد القرآن الكريم على أن يوسف عليه السلام هو الذي سأل ملك مصر من تلقاء نفسه بأن يضعه متصرفا على جميع المال في مصر، فقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [2] ولا نظن أن يوسف عليه السلام طلب ذلك ليكون ملكا في الأرض، حاشا وكلا بل إنما طلبه امتثالا لأمر الله الذي جعل فيه رحمة بعباده الضعفاء لإيصال الرزق اليهم في زمن الإبتلاء، فهناك مايشير إلى أن يوسف عليه السلام طلب ذلك لشعوره بأنه مقرب ممكن له من قبل ملك مصر جاء ذلك صريحا من ملك مصر، في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[3].

فهذا النص يصرح بأن يوسف قد خير بين عدة مناصب ليختار إحداها، فما كان من يوسف عليه السلام إلا أن اختار المنصب الذي فيه الرحمة لعباد الله، والدعوة الى دين الله عز وجل.

---

(١) العهد القديم سفر التكوين٤١: ٣٧ -٥٧ و ٤٢: ١- ٣٨ و ٤٣: ١-٣٤ و ٤٤: ١-٣٤ و ٤٥: ١-٢٨ و ٤٦: ١-٧

(٢) سورة يوسف آية ٥٥

(٣) سورة يوسف آية ٥٤

أما النص التوراتي فإنه يجعل يوسف زاهدا في أن يتولى شيئا من تلك المناصب التي فيها القبض على زمام أمور الخلق، حيث يقول النص: (فالآن فلينظر فرعون رجلا بصيرا وحكيما ويجعله على أرض مصر)[1] فهنا يظهر يوسف وكانه غير مهتم بأمر الخلق ولا يعبأ بما يصلح أحوالهم.

-كيف تعامل يوسف عليه السلام مع إخوته حين جاؤوا يطلبون الطعام في مصر؟

بين القرآن الكريم ان يوسف عليه السلام قد عرفهم من اللحظة الاولى ولذلك أحسن ضيافتهم وأكرمهم أرقى إكرام، وعاملهم كالضيوف الأعزاء عليه فقال تعالى: ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾[2] أي افضل المضيفين لنزلاءه.

أما التوارة فقد روت أن يوسف عليه السلام عاملهم بشدة وقسوة وجفاء وتنكر لهم، فجاء فيها :(ولما نظر يوسف إخوته عرفهم فتنكر لهم وتكلم معهم بجفاء وقال لهم من أين جئتم قالوا من أرض كنعان)[3]، وهذا لا يتفق مع أخلاق الأنبياء، فالجفاء والغلظة ليست من شأنهم عليهم السلام، فالمسلم لا يغضب حينما يثار، ويتعامل مع الناس بالرفق واللين ولا يغلظ عليهم إلا إذا كانوا كفارا محاربين لدين الله.

-هل ألقى يوسف عليه السلام أحدا من إخوته في السجن؟

إن الرواية القرآنية الكريمة لا تثبت ذلك، بل تنفي أن يكون يوسف عليه السلام قد تعامل مع إخوته بهذا الأسلوب القاسي والمنفر، بل أكرمهم وأحسن إليهم ورد أموالهم إليهم وزادهم في الكيل، كل ذلك لأجل أن يرغبهم في الرجوع إليه مرة أخرى ولذلك قال لهم ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾[4] فهذا من باب التأكيد والحرص الشديد على إحضار أخيه بنيامين.

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٤١: ٣٤

(٢) سورة يوسف آية ٥٩

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٤٢: ٧

(٤) سورة يوسف آية ٦٠

أما التوراة فإنها تروي لنا بأن يوسف عليه السلام قد زج بجميع إخوته في السجن حتى يحضروا أخاه، ثم تنازل عن ذلك وأطلقهم ثم أبقى واحدا منهم في السجن حتى يأتوا بأخيه بنيامين، فجاء في التوراة:

(فجمعهم إلى حبس ثلاثة أيام ثم قال لهم يوسف إفعلوا هذا وأحيوا أنا خائف الله إن كنتم أمناء فليحبس أحد واحد منكم في بيت حبسكم وانطلقوا أنتم) [١] فالنص يشير الى أن يوسف عليه السلام قد أبقى عنده أحد إخوته رهينة ريثما يأتوا بأخيه بنيامين، وإن استخدام الترغيب والترهيب في مقام واحد،هو الأمثل لتحقيق المراد، وهو نفس ما ورد في القران الكريم.

-ماهي وسيلة النقل التي استخدمها إخوة يوسف في رحلته إلى مصر؟

يشير القرآن الكريم إلى أن تلك الوسيلة كانت الجمال والإبل التي تتحمل السير في الصحراء وقطع المسافات الطويلة، يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ ﴾ [٢] فالرحل والرحال في اللغة العربية لا يطلق إلا على الجمال[٣] وهذا مايؤكده قوله تعالى: ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ مما يعني أن إخوة يوسف قد استخدموا البعير في التنقل بين مصر وفلسطين.

أما التوراة فإنها تذهب على أن إخوة يوسف كانوا يأتون من فلسطين إلى مصر على الحمير، فجاء في التوراة:(فحملوا قمحهم على حميرهم ومضوا من هناك) [٤]، فهذا نص يؤكد على انهم كانوا يستخدمون الحمير، وذلك لوجود صحراء سيناء فإن الجمال هي الأفضل لقطعها الشيء الذي يدل على خطأ الرواية التوراتية.

(١) العهد القديم سفر التكوين٤٢: ١٦-١٧

(٢) سورة يوسف آية ٦٢

(٣) أنظر القاموس المحيط لفيروز آبادي ص ١٢٩٨

(٤) العهد القديم سفر التكوين ٤٢: ٢٦

-ماهي صفة وعد إخوة يوسف لأبيهم في حفظ بنيامين؟

تبين الرواية القرآنية الكريمة أن يعقوب عليه السلام، لما حدثه أبناءه على رغبتهم في أخذ بنيامين معهم للتبضع من مصر، طلب منهم أن يبذلوا ما في وسعهم للحفاظ على أخيهم، وأن يعقوب عليه السلام في ذلك الأمر حتى لا يحصل منهم تفريط، وذكرهم بالله عز وجل الرقيب عليهم المتصرف في شؤونهم، فقال تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [1] فيعقوب عليه السلام يبين لهم عظم ما طلبوا، وكان يريد منهم بذل قصارى جهدهم في الحفاظ على إبنه بنيامين. ولذا قال بعدها: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [2] فيعقوب عليه السلام قد جمع بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب، وذلك بتشديد الأمر على أبناءه.

أما التوراة فانها تحكي مفاوضات بين يعقوب وأبنائه مدارها على الريبة والشك وسوء الظن، فانظر إلى رؤابين حينما قال لأبيه:(اقتل ابني إن لم أجيء به إليك) [3] فهل يعقل أن يطلب رؤابين من أبيه أن يقتل ولديه وهما أبناءه، فولد الولد ولد لجده، وهذا لا يفعله سفلة الخلق مع حفدتهم، فضلا عن أن يفعله المؤمنون مع أبنائهم، فكيف إذا كان ذلك الجد هو نبي من أنبياء الله الكرام عليهم السلام.

-ماذا كانت وصية يعقوب عليه السلام لأبناءه عند الرحلة إلى مصر؟

جاء في القرآن الكريم أنه عليه السلام قد أوصاهم بالاستعانة بالله والتوكل عليه سبحانه وتعالى، ثم أرشدهم إلى فعل بعض الأسباب التي فيها النجاة والسلامة من الشرور قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى

---

(١) سورة يوسف آية ٦٥

(٢) سورة يوسف آية ٦٦

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٤٢: ٣٧

عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١).

فيعقوب عليه السلام قد امر أولاده بأمرين.

الأول: تفويض الأمر لله عز وجل والإتكال عليه سبحانه وتعالى.

الثاني: فعل الأسباب التي تعينهم في النجاة والسلامة من الشرور.

أما النص التوراتي فلا نرى فيه ذلك الهدي النبوي الكريم من الإتكال على الله سبحانه وتعالى، بل نجد العجب العجاب، حيث وجه يعقوب أولاده لأخذ هدية -رشوة- إلى ذلك الملك حتى يحصل منه رقة وتساهل في تعامله معهم، فقال لهم:

(إن كان هكذا فافعلوا هذا خذوا من أفخر جني الأرض في أوعيتكم وأنزلوه للرجل هدية قليلا من البلسان وقليلا من العسل وكثيراء ولذانا وفستقا ولوزا) (٢)، فهذه الوصية بلا ادنى شك ماهي الا زور وافتراء على هذا النبي الكريم.

-كم كان عدد الرحلات التي قام بها أبناء يعقوب عليه السلام من فلسطين إلى مصر؟

يذكر القرآن الكريم في تلك القصة أنها ثلاث رحلات من فلسطين إلى مصر، أما التوراة فإنها لا تثبت إلا رحلتين عرف في آخرهما أخوة يوسف أخيهم عليه السلام. مما يدل على انهم حذفوا رحلة من الرحلات، وإن النص التوراتي يناقض نفسه في ذلك فكيف يكون بنيامين معهم وهم لم يذهبوا به بعد؟ ثم يقول لهم أبوهم حتى يطلق لكم الرجل أخاكم الآخر وبنيامين، فهذا قول موضوع في غير موضعه، يشهد أن ماذكره القرآن الكريم هو الصحيح.

---

(١) سورة يوسف آية ٦٧

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٤٣: ١١

- ماهو سبب بقاء أكبر إخوة يوسف عليه السلام في مصر بعد ماحدث لبنيامين من استبقائه عند عزيز مصر - يوسف عليه السلام؟

إن النص القرآني الكريم يثبت أن أكبر إخوة يوسف عليه السلام قد اختار من تلقاء نفسه البقاء في مصر جراء ما وعد به أبوه يعقوب عليه السلام، أما النص التوراتي فإنه يجعل يوسف عليه السلام قد سجن أخوهم الأكبر أيضا وأبقاه أيضا في مصر مع بنيامين.

- هل عرف بنيامين أخاه يوسف عند اللقاء الاول؟

هذا مايثبته القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [1] فالاية تدل دلالة صريحة أن يوسف قد عرف بنفسه عندما دخل جميع إخوته إليه في الرحلة الثانية، وخص بنيامين بالتعريف وقال له سرا من دونهم إني أنا أخوك، فهي عبارة قصيرة جدا، سريعة في الأخبار، لا تحتاج إلى وقت طويل حتى يكون بنيامين بعيدا عن سائر إخوته.

أما التوراة فتؤكد على أن بنيامين لم يعلم بأن عزيز مصر هو أخوه يوسف عليه السلام إلا عندما اتضح أمره في آخر القصة.

- كيف كان أسلوب أخوة يوسف عند ذكرهم أباهم عند عزيز مصر"يوسف عليه السلام"؟

يكشف القرآن الكريم أن إخوة يوسف لما ذكروا أباهم امام العزيز، ذكروه بكل أدب وإحترام فقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ﴾[2]

---

(١) سورة يوسف آية ٦٩

(٢) سورة يوسف آية ٧٨

أما التوراة فإنها جعلت من أبناء يعقوب عليه السلام رجالا لا يعرفون الأدب والإحترام مع أبيهم النبي، فيصفونه بالعبودية لذلك العزيز فيقولون:(عبدك أبونا)[1]، فما ينبغي لأبناء نبي أن يصفوا أباهم بالعبودية إلى مخلوق ما.

-من الذي وضع صواع الملك في رحل بنيامين ومن الذي استخرجها بيده؟

يثبت القرآن الكريم أن يوسف عليه السلام هو الذي وضع الصواع في رحل أخيه، وهو الذي استخرجها منه بيده عليه السلام، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾[2]

وقال سبحانه:﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[3] فالضمائر في الآية الأولى والثانية ترجع مباشرة إلى يوسف عليه السلام. ثم إننا نقول كيف تكون صورة يوسف عليه السلام النبي الكريم حينما يدبر حيلة للإيقاع ببعض الناس بهذه الحيل، و كيف يكون حال أتباعه حين يعلموا أن نبيهم يستخدم الخدع والحيل لظلم الآخرين، فهذا بعيد جدا،فلم يكن يوسف يريد بهذا كله الا خيرا.

اما التوراة فتنص على أن الذين وضعوا الصواع في رحل بنيامين ثم استخرجوه هم الفتيان أو الخدم الذين عند يوسف.

- كيف كان موقف إخوة يوسف لما علموا بأن الصواع في رحل بنيامين؟

يحكى القرآن الكريم بأن إخوة يوسف لما علموا أن الصواع في رحل بنيامين، أسفوا لذلك وحاولوا أن يتحملوا جزاء تلك الجريمة بدلا عن اخيهم بنيامين، وإن كانوا قد

(١) العهد القديم سفر التكوين ٤٤: ٢٧

(٢) سورة يوسف آية ٧٠

(٣) سورة يوسف آية ٧٦

أظهروا شيئا من البغض الذي في قلوبهم على يوسف عليه السلام حينما قالوا فيما بينهم: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ. (١)

أما النص التوراتي فاظهرهم كالمعترضين على قضاء الله وقدره، فهم يمزقون ثيابهم كما يفعل أهل الجاهلية، وحاشاهم من ذلك وهم أبناء النبي يعقوب عليه السلام، الذين لانشك في إيمانهم. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن القرآن الكريم يروي لنا أن إخوة يوسف قد خيروا العزيز بأن يأخذ أحدهم أيا كان مكان أخيهم بنيامين، أما النص فيرى أن رؤابين هو الذي أراد ذلك دون سائر إخوته، وهذا فرق أيضا،وإن كان لا يضر، والله أعلم.

-ماهي صفة مجيء يعقوب عليه السلام إلى مصر؟

تختلف حادثة مجيء يعقوب في السياق القرآني عنها في التوراة وذلك من ثلاث نواحي:

الاول: إن النص القرآني يبين أن يعقوب عليه السلام قد جيئ به من قبل أبنائه دون ذكر تفاصيل وسيلة النقل، وماذا حمل معه من أمتعة، بخلاف النص التوراتي الذي ذكر أن يعقوب عليه السلام قد أرسل له فرعون مراكب خاصة لنقله ونقل سائر أهله، وقد جاؤوا بجميع أمتعتهم وما لديهم من أموال وممتلكات.

الثاني: نص القرآن الكريم واقعة رجوع بصر يعقوب إليه، وسبب ذلك أن يوسف عليه السلام قد أرسل قميصه حتى يلقى على وجه أبيه يعقوب عليه السلام، فيرجع إليه بصره، أما التوراة فروت أن يوسف عليه السلام وضع يده بنفسه على عيني والده فرجع إليه بصره، وذلك بعد مجيئه إلى أرض مصر.

الثالث: لم يرد في القرآن الكريم إلا مجيء يعقوب وأهله وذريته إلى مصر، ولم يذكر حملهم وأمتعتهم وممتلكاتهم، أما التوراة فجاء فيها أن يعقوب عليه السلام قد حضر الى مصر بمواشيه وسائر ممتلكاته الكثيرة ، وهذا يتنافى مع شدة المجاعة التي حلت بأهل

(١) سورة يوسف آية ٧٧

تلك البلاد، فكيف يبقى عندهم ممتلكات طائلة وهم في مجاعة قد باعوا من جراءها أغلب أمتعتهم حتى ينجوا من تلك المجاعة العظيمة.

-ماذا احضر إخوة يوسف معهم عندما قدموا إلى عزيز مصر "يوسف عليه السلام"؟

تبين لنا رواية القران أن إخوة يوسف لما جاؤوا في الرحلة الثالثة لأجل أن يتحسسوا من يوسف وأخيه ويطلبوا الرزق من عزيز مصر، جلبوا معهم بضاعة رديئة مزجاة، فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [1] فالاية تؤكد أنهم جاءوا ببضاعة مزجاة أي رديئة ناقصة لا يقبلها أحد، وطلبوا من يوسف التصدق عليهم.

أما التوراة فقد بينت أنهم حملوا معهم عددا من الأموال النفيسة والغالية جاء ذلك في قوله:(خذوا من أفخر جني الأرض في أوعيتكم وأنزلوه للرجل هدية قليلا من البلسان وقليلا من العسل وكثيراء ولاذانا وفستقا ولوزا) [2] فاين المجاعة عند هذه الخيرات.

تلك أهم الفروقات التي بين الروايتين المتشابهتين والمتفقتين في الظاهر وابرز الفروق والخلافات بينهما، والله أعلم.

---

(١) سورة يوسف آية ٨٨

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٤٣: ١١

ماتفرد به القرآن الكريم عن التوراة:

تفرد القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام بأشياء لم تذكر في التوراة، من أهمها:

أولا: سبب حسد أبناء يعقوب ليوسف عليه السلام: يبين القران أن السبب هو من أجل الدين والصلاح في نظر أبيهم النبي الكريم يعقوب عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ [1] فالسبب الظاهر اذن في مكيدتهم وحسدهم ليوسف عليه السلام، هو ان يخلوا المكان لهم ويكونوا من القوم الصالحين أمام أبيهم، فهو الذي حملهم على الكيد ليوسف عليه السلام، وهذا لم يذكر في رواية التوراة.

ثانيا: تثبيت الله ليوسف عليه السلام عند إلقاءه في البئر: لم تشر التوراة إلى حال يوسف عليه السلام عند إلقاءه في الجب، بينما بين القرآن الكريم أن الله عز وجل قد ثبت وطمأن نفس ذلك الغلام الصغير بأن الله عز وجل سوف يحفظه، وسوف يخبرهم بمكيدتهم له وما فعلوه له، فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [2] فالله عز وجل ثبت يوسف عليه السلام، واوحى إليه بأنه سوف ينبأهم بما فعلوا به في مستقبل الزمان.

ثالثا: مما تفرد به القرآن الكريم بيان سبب بقاء يوسف في بيت الرجل المصري، فالرجل المصري أوصى امرأته لما اشترى يوسف عليه السلام بأن تكرم مثواه لسببين اثنين هما: النفع: وأن يتبناه فيكون ولدا لهما، فقال تعالى:

---

(١) سورة يوسف آية ٨-٩

(٢) سورة يوسف آية ١٥

﴿ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ (١)

وهذين السببين لم يرد ذكرهما في التوراة.

رابعا: التمكين الذي حصل عليه يوسف في بيت ذلك الرجل المصري: بين القرآن الكريم ما حصل ليوسف عليه السلام من التمكين له بعد الذل الذي لاقاه من إخوته، ومن ثم بيعه في السوق، فالله عز وجل يقول:

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) فالتمكين الذي حصل لبوسنة والعزة التي نالها بعد ذلك العداء الذي لاقاه من إخوته.

فالله عز وجل قد غرس في قلب ذلك الرجل المصري حبه والرحمة له، حتى يحصل له التمكين والعز في ذلك البيت الكريم، ولم يرد لهذا التمكين والعز أي ذكر في التوراة.

خامسا: بلوغ الأشد: نص القرآن الكريم، على بلوغ يوسف عليه السلام أشده وإيتاءه الحكم والعلم، فقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣)في إشارة واضحة إلى مابلغه يوسف عليه السلام من العمر، وكذلك مابلغه من مبلغ الرجال وحصوله على الحكم والعلم.

سادسا: التخطيط الذي حصل من امرأة العزيز لإيقاع يوسف عليه السلام في الفاحشة والزنا:فهذه المرأة قد خططت لهذا الأمر منذ فترة، وحاولت جاهدة الإيقاع بيوسف في تلك الجريمة، جاء ذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ

---

(١) سورة يوسف آية ٢١

(٢) سورة يوسف آية ٥٦

(٣) سورة يوسف آية ٢٢

ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ...الآية﴾ [1] فالمراودة على وزن مفاعلة، بمعنى أنها حصلت أكثر من مرة لأجل الوقوع في تلك الجريمة، فقد هيئت الأمور جميعا، بل قد أغلقت جميع المنافذ حتى يخلو الجو بينها وبين يوسف، وهذا لم يرد له ذكر في التوراة.

سابعا: ماحصل من يوسف عليه السلام حين هم بتلك المرأة التي دعته إلى الزنا، وأن هذا الهم قد حدث فعلا في نفس يوسف عليه السلام، ومع ذلك استطاع يوسف عليه السلام التغلب على نفسه و على الشيطان ودعوة تلك المرأة، وذلك بحفظ الله له وعصمته من الوقوع في الفاحشة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [2] وهناك خلاف بين أهل العلم حول معنى الهم الذي ألم بيوسف عليه السلام، وكذلك في معنى البرهان الذي رآه يوسف وكان سببا في عصمته من الوقوع في الزنا والفاحشة، والنجاة من تلك الحيل التي حيكت ضده عليه السلام. وأما التوراة فلم تشر إلى هذا الهم الذي حدث من يوسف، ولا كيف عصم الله نبيه منه.

ثامنا: ومما تفرد به القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ... الآية﴾ [3] فالقرآن هنا يبين إدعاء امرأة العزيز بأن يوسف هو المعتدي، ثم سارعت الى إصدار الحكم على ذلك الإعتداء، وهذا غير موجود في التوراة.

---

(١) سورة يوسف آية ٢٣

(٢) سورة يوسف آية ٢٤

(٣) سورة يوسف آية ٢٥-٢٦

تاسعا: قال تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [1] فالقرآن الكريم يبين لنا نهاية قصة دعوى تلك المرأة التي ألصقت بيوسف عليه السلام تهمة الإعتداء عليها ثم ماذكره الشاهد الذي بين وجه الصواب والحق في مجمل المشكلة، هل هو دعوى امرأة العزيز أم دفاع يوسف عليه السلام عن نفسه، وبعد تتبع الأمر ووضوح الحق وبيانه ظهرت براءة يوسف عليه السلام من تلك الدعوى الجائرة، وهذا مما لم يذكر في التوراة.

عاشرا: حال نسوة المدينة من موقف امرأة العزيز تجاه يوسف عليه السلام وماذا حدث لنسوة المدينة: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝ ﴾ [2] فهذه الحادثة التي أصبحت حديث مجالس نساء مدينة مصر من الطبقة العالية في المجتمع، ثم ما أعددت لهن امرأة العزيز وأوقعتهن في حب يوسف والإفتتان بجماله حتى حدث ماحدث من تقطيع أيديهن، ثم محاولتهن ايقاعة في الفاحشة وتبجح امراة العزيز في دعوتها له بالفاحشة او الزج به في السجن، كل ذلك لم يذكر في التوارة.

---

(١) سورة يوسف آية ٢٦-٢٨

(٢) سورة يوسف آية ٣٠-٣٢

الحادي عشر: قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ﴾ [1] ومما تفرد به القرآن الكريم هذه الآية العظيمة، حيث التجاء يوسف عليه السلام إلى ربه وطلب من الله عزوجل أن يكفيه ويصد عنه فتنة نسوة المدينة اللاتي تعرضن له ، وحاولن جاهدات إغوائه وإيقاعه في فتنة الفاحشة وطلب يوسف عليه السلام من ربه الإعانة والتوفيق لتجاوز هذه الفتنة، مبينا أن السجن أرحم له وأحب إليه من دعوة النساء له. واستجاب الله عز وجل له وصرف عنه كيدهن وإغوائهن له، وهذا غير موجود في التوراة.

الثاني عشر: دعوة يوسف عليه السلام لصاحبي السجن إلى الايمان بالله وتوحيده الله الخالص ونبذ الشرك: والقصة طويلة في كتاب الله سيأتي الحديث عنها في المبحث الثاني من هذا الفصل[2] ، وهو ايضا من أهم ما تفرد به القرآن الكريم عن التوراة.

الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [3] فهذه الآيات البينات التي ليس لها شبيه في التوراة، ففيها تبرأة ليوسف عليه السلام على ملأ من الناس وفيهم الملك والأعيان والقواد، وفيها تبرئة

---

(١) سورة يوسف آية ٣٢-٣٤

(٢) كما سياتي في ص ٢٥٩

(٣) سورة يوسف آية ٣٣-٣٤

للنسوة اللاتي لهن تعلق بيوسف عليه السلام، وتبرئتهن من الكذب والنفاق، وفيها أيضا تهيئة ليوسف عليه السلام إذ سيكون حاكما في أرض مصر، فلو بقى متهما لنظر الناس إليه بعين الإنتقاص، فرفض يوسف عليه السلام الخروج من السجن مباشرة حتى تحصل البراءة والنزاهه له، مما لا يوجد مثله في النص التوراتي.

الرابع عشر: ربط يعقوب عليه السلام أبناءه بالله عز وجل والتوكل عليه، ورباهم على ذلك: وهذا مما تفرد به القرآن الكريم ولا مثيل له في التوراة كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (٢) فهذه التربية العظيمة من يعقوب عليه الصلاة والسلام لأبناءه وعلى رأسهم يوسف عليه السلام، مما تميزت به القصة في القرآن الكريم، عن الرواية التوراتية.

الخامس عشر: قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾(٣) هذه الآية مما تفرد به القرآن الكريم عن التوراة، فالاتهام الذي حصل من إخوة يوسف إلى يوسف عليه السلام بالسرقة لم يرد في التوراة، وهذا يعطينا بعدا عن مدى الحسد الذي حصل بين إخوة يوسف تجاه يوسف عليه السلام، وتمكنه منهم.

السادس عشر: وتأويل رؤيا يوسف وتفسيرهاهي مما تفرد به القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ... الآية﴾ (٤)

---

(١) سورة يوسف آية ٥٠-٥٣

(٢) سورة يوسف آية ٦٧

(٣) سورة يوسف آية ٨٧

(٤) سورة يوسف آية ٨٧

فإيضاح المقصود من رؤيا يوسف عليه السلام وماتدل عليه هو أساس في قصة يوسف من أولها إلى آخرها، وقد جاء القرآن الكريم ببيانها وبيان المقصود منها بعبارة صريحة تفسرها، مما لا نجد مثله في التوراة.

السابع عشر: قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) فهذه الآية تفرد بها القرآن الكريم عن التوراة ،حيث ذكر القميص للمرة الثالثة، وبيان ما في هذا القميص من عجائب وأحداث مما ليس موجودا في التوراة، وإنما الذي ذكر في التوراة هو مسح يوسف عليه السلام لعيني والده يعقوب عليه السلام فرجع له البصر.

الثامن عشر: شم يعقوب عليه السلام رائحة يوسف عليه السلام من مسافة بعيدة ، حيث يقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ (٢) فهذه المعجزة التي حصلت لنبي الله يعقوب عليه السلام ، مما تفرد به القرآن الكريم، ولم تذكر في التوراة ،فالعير خرجت من مصر واتخذت طريقها شطر الشام إلى فلسطين في مسافة بعيدة تصل إلى مئات أو آلاف الكيلومترات، فكانت معجزة له، ولا نجد لهذا ذكرا في التوراة.

التاسع عشر: قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٣) وقال أيضا على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٤) ففي هاتين الآيتين سأل اخوة يوسف التوبة والاستغفار من الله عز وجل والرحمة منه جل جلاله، مما يثبت لنا مبدأ الاستغفار والتوبة والخشية والخوف من المستقبل الحقيقي للإنسان، وهو مايقابله يوم القيامة من غضب الله عز وجل ومن العذاب للعاصين،

---

(١) سورة يوسف آية ٩٣

(٢) سورة يوسف آية ٩٤

(٣) سورة يوسف آية ٩٧

(٤) سورة يوسف آية٩٢

فالتوبة والإستغفار مما نص عليه القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام، ولم تذكر في التوراة.

هذه هي أهم الأمور التي تفرد بها القرآن الكريم عن التـــوراة، وجـــاء ذكرهـــا واضحا غير ملبس، مما له الأثر والمعنى الكبير في قصة يوسف عليه السلام، ولم تذكر هذه المعاني في التوراة.

ماتفردت به التوراة المحرفة عن القرآن الكريم: [1]

ورد في التوررراة بعض الأحداث والأمور التي لم تذكر في كتاب الله عز وجل في قصة يوسف عليه السلام من أهمها مايلي:-

أولا: سبب حب يعقوب ليوسف فجاء فيها:(لأنه إبن شيبته) [2] وهذا السبب لم يذكر في القرآن، بل نرد هذا السبب لأن الصغير من أبنائه هو بنيامين وليس يوسف عليه السلام، والله أعلم بسبب حب يعقوب عليه السلام ليوسف.

ثانيا: مما جاء في التوراة ولم يذكر في القرآن الكريم أن يوسف عليه السلام قد (حلمني)، ولم يذكر في القرآن إلا رؤيا واحدة، وقد جاء في التوراة مانصه:(وحلم يوسف حلما وأخبر إخوته فازدادوا أيضا بغضا له فقال لهم: اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت، فها نحن حازمون حزما في الحقل وإذا حزمة قامت وانتصبت، فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي.....) [3] فهذا الحلم الأول لم يرد ذكره في القرآن ونحن لا نصدقه ولا نكذبه، والله أعلم بصحته.

---

(١) إن ماذكر في التوراة المحرفة من الأحداث والأمور التي لم تذكر في كتاب الله العزيز كثيرة، ولكن موقفنا نحن تجاه هذه الأمور والأحداث ينبغي أن يكون على منوال ماقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج" رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب ماذكر عن بني اسرائيل ٣٦١/٦ ورواه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء عن بني اسرائيل برقم ٢٦٧١

وموقف أهل التفسير من أمة الاسلام تجاه الروايات الاسرائيلية أحد ثلاثة احوال:

الأول: مايوافق من هذه الروايات أي الروايات الاسرائيلية ماجاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة فهذا نؤمن به ونصدقه لأنه جاء في شرعنا.

الثاني: مايخالف من هذه الروايات ماجاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة فهذا نرده ولا نقبله بل ونكذبه.

الثالث: ما يرد من هذه الروايات الإسرائيلية لا يوافق ولا يخالف ما عندنا من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الصحيحة فهذا لا نرده ولا نصدقه بل يجوز لنا روايته من باب الإخبار فقط، كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم السابق.انظر مقدمة تفسير ابن كثير في الملد الاول وغيره.

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٣٧: ٣

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٣٧: ٧

ثالثا: إن التوراة قد تذكر بعض الأمور التفصيلية التي قد لايكون من ذكرها فائدة تذكر، مثل نوع الدم الذي وضعه أبناء يعقوب عليه السلام على قميص يوسف عليه السلام حيث ورد:(أن إخوة يوسف ذبحوا تيسا من المعزى وغمسوا القميص في الدم)[1] فجاء النص هنا على ذكر الدم الذي وضعوه على القميص، وهو دم تيس من المعزى، ولا أعلم لو كان هذا الدم من غير دم المعزى هل له فائدة تذكر.

رابعا:جاء في التوراة:(وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط رجل مصري)[2] فهذا نص صريح في ذكر إسم الرجل المصري ومنصبه، وهذا لم يذكر في القرآن، وإنني ألمس من عدم ذكر القرآن إسم الرجل فيه ستر لحال ذلك الرجل، لاسيما حينما نتذكر ما سيأتي من أحداث تتعلق بزوجته، فالستر أولى من الفضيحة، والتنصيص بذكر إسمه مما قد يكون له امتداد في مستقبل الأنساب، والله أعلم.

خامسا: مما ورد في التوراة ولم يذكر في القرآن الكريم، أن أهل بيت الرجل المصوي قد علموا بما حدث بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام حينما راودته قبل علم سيدها، وهذا الأمر قد ذكر في التوراة ولم يذكر في القرآن الكريم، حيث ورد:(وهرب إلى الخارج أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة أنظروا قد جاء إلينا برجل عبراني دخل إلي ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم وكان لما سمع عني رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبي وخرج إلى خارج فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته)[3]، فهذا النص يبين أن أهل بيت ذلك الرجل المصري من الخدم وغيرهم قد علموا بالحادثة قبله، مما يخل بمعنى القصة بل هو يخالف تفسير كلمة: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ أي قد إلتقوا مباشرة بسيدها عند الباب، فتلك الرواية مردودة عندنا.

---

(١)العهد القديم سفر التكوين ٣٧: ٣١

(٢)العهد القديم سفر التكوين ٣٩: ١

(٣)العهد القديم سفر التكوين ٣٩: ١٤-١٦

سادسا: جاء في التوراة قوله:(ولكن الرب كان مع يوسف وبسط إليه لطفا وجعل نعمة له في عيني رئيس بيت السجن فدفع رئيس بيت السجن إلى يد يوسف جميع الأسرى الذين في بيت السجن وكل ما كانوا يعملون هناك كان هو العامل ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئا البته من ما في يده لأن الرب كان معه)[1] فهذا النص يثبت أن يوسف وهو في السجن أصبح رئيس بيت السجن، ولم يرد له ذكره في القرآن الكريم، بل أن يوسف عليه السلام قد طلب من الذي نجا من صاحبي السجن أن يذكره عند سيده ليخرج من السجن، لما لاقاه في السجن من التعب والشقاء، وأما هذه الرواية فكأنها تبين أن يوسف عليه السلام كان في موضع سعة ورفاه، حيث كان رئيسا للمسجونين، وليس مسجونا، فتأمل هذه الرواية الغريبة، والله أعلم بصحتها.

سابعا: ومما ورد في التوراة ولم يرد ذكره في القرآن الكريم، ماحدث لعزيز مصر، الذي عامل يوسف عليه السلام بعد إخراجه من السجن بأنواع من الترحيب، ومما يشعر وكأن يوسف عليه السلام ليس نبيا، فقد جعل العزيز في عنق يوسف طوقا من ذهب، وأعطاه مركبته الثانية، وغير إسمه إلى إسم صفنات، وهي من الأمور غريبة جدا لا سيما إذا كانت لها صلة بعبادات العزيز وقومه، اما معنى قوله تعالى: ﴿ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ﴾ فهو من باب الإكرام والتقدير، ولكن ليس على هذه الطريقة المذكورة في التوراة.

ثامنا: مما ذكر في التوراة ولم يذكر في القرآن الكريم زواج يوسف عليه السلام، وما وهبه الله عز وجل من أبناء، مما لا نعلم صحته، فجاء في التوراة :(إن فرعون جعل في عنق يوسف طوقا من ذهب وأعطاه مركبته الثانية وزوجه أسنات بنت كاهن أون)[2] وهوما لا نعلم صحته من كذبه.

---

(١)العهد القديم سفر التكوين ٣٩: ٢١-٢٣

(٢)العهد القديم سفر التكوين ٤١: ٤٢-٤٥

تاسعا: مما ورد في التوراة ولم يرد في القرآن الكريم، إتهام يوسف عليه السلام بأنه كان يحلف بحياة فرعون أكثر من مرة كما في قوله:(وإلا فوحياة فرعون أنكم لجواسيس)[1] وغيرها مما ننكره ولا نصدقه، فكيف لنبي من أنبياء الله عز وجل أن يحلف بغير الله، ونقول حاش لله أن يقسم يوسف بغير الله، بل حاشا لله أن يقسم أدنى المؤمنين منزلة بغير الله فكيف بالأنبياء، بل إن إخوة يوسف رغم أنهم دونه بدرجات كثيرة ومع ذلك لم يقسموا إلا بالله.

عاشرا: مما تفردت به التوراة النص على أن يعقوب عليه السلام دخل على فرعون وباركه ودعا له، وهذا أمر فيه لبس وتحريف، ولا نعلم كيف لنبي من أنبياء الله عز وجل أن يبارك ويدعوا للكافرين وقادتهم، ولو كان الدعاء لهم بالهداية لقبلنا ذلك ،والله أعلم.

الحادي عشر: ومما ورد في التوراة ولم يرد ذكره في القرآن الكريم، كيفية تعامل يوسف عليه السلام مع الناس في توزيع الأرزاق عليهم في سني المجاعة، إذ يجعلون يوسف كعبد لفرعون، فهو على قولهم يشتري لهم بالقمح أموال المصريين ثم يشتري أراضيهم بعد ذلك، حتى يصل به أن يشتري منهم أنفسهم بالطعام ويجعلهم عبيدا مملوكين لفرعون، وهذا مما نخالفهم فيه.

الثاني عشر: مما ورد في التوراة ولم يرد ذكره في القرآن الكريم، تحنيط يعقوب عليه السلام، وكذلك تحنيط يوسف عليه السلام ووضعهما في تابوت[2]، وهذا لا نعلم بصحته أو ثبوته، والله أعلم بالحق فيه. وكذلك النياحة عليهما[3]، فإنها وردت في التوراة ولم ترد في القرآن الكريم، وهي امور لا يمكن أن نقرها أو نصدقها بل نردها، لأن هذه الأعمال من تصرفات الجاهلية وليست من أعمال المسلمين الذين أخلصوا العبادة لله وحده، و رضوا بما قضى الله وقدر، والله أعلم بالصواب.

هذه هي أهم الأمور والأحداث التي تفردت بها التوراة عما جاء في القرآن الكريم، وإلا فإن الأمور التي ذكرت في التوراة ولم تذكر في القرآن كثيرة جدا ليس المقام مقام

---

(١)العهد القديم سفر التكوين ٤٢: ١٥

(٢)العهد القديم سفر التكوين ٥٠: ١-٥

(٣)العهد القديم سفر التكوين ٥٠: ٤-٦

حصرها، وإنما ذكر أهمها على سبيل الإجمال، كما إلتزمنا بذلك في مقدمة هذا المبحث، والله أعلم.

المبحث الثاني

نبوة يوسف عليه الصلاة والسلام ودعوته إلى التوحيد في التوراة والقرآن

إن البحث في نبوة يوسف عليه السلام في التوراة والقرآن الكريم، والنظر في منهج دعوته إلى توحيد الله الخالص وإنقاذ البشرية من الشرك، يستلزم الرجوع الى النصوص التي تؤكد على هذين الجانبين، وكذلك معرفة أقوال الشراح لهذه النصوص.

وسنقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: دلائل إثبات نبوة يوسف عليه السلام.

المطلب الثاني: معالم دعوة يوسف عليه السلام إلى توحيد الله عز وجل.

مقتصرين على أهم النصوص الواردة في القرآن الكريم والتوراة التي تتعلق بماذكرنا عن هذين الجانبين.

المطلب الأول:دلائل إثبات نبوة يوسف عليه السلام:

تحدثنا في الباب الثاني عن دلائل نبوة يعقوب ، وذكرنا أنواعا من الدلالات المثبتة لنبوته عليه السلام، وفي هذا المطلب سوف نجمع بين الدلالات الواردة في كل من القرآن الكريم والتوراة التي تثبت نبوة يوسف عليه السلام، فمن أهم هذه الدلالات مايلي:

الدلالة الأولى: النص الصريح من الله على نبوته ورسالته:

وهذه الدلالة جاءت في القرآن الكريم على لسان مؤمن آل فرعون في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ (١)

(١) سورة غافر آية ٣٤

فيذكر الله عز وجل على لسان مؤمن آل فرعون أن يوسف عليه السلام قد جاء إلى أهل مصر بالبينات، وأنه رسول مبعوث من الله إليهم، ولكن الله أضلهم لكفرهم وتكذيبهم وارتياب قلوبهم.

وحدث نوع من الخلاف بين أهل العلم حول شخصية يوسف المذكورة في هذه الآية، وهل هو يوسف بن يعقوب عليه السلام أم غيره، فقد ذكر القرطبي الخلاف بقوله (هو يوسف إبن يعقوب بعثه الله تعالى رسولا إلى القبط بعد موت الملك من قبل موسى بالبينات وهي الرؤيا . وقال ابن عباس: هو يوسف بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة. وحكى النقاش[1]عن الضحاك أن الله تعالى بعث إليهم رسولا من الجن يقال له يوسف)[2].

ولا ندري مدى صحة هذه الأقوال في صرف ظاهر النص القرآني إلى يوسف آخر غير يوسف بن يعقوب عليه السلام، وإننا نميل إلى عدم ترجيح واحد منها لعدم وجود دليل صارف لها، فالمعروف أن القرآن إذا ذكر يوسف على الإطلاق فإن المراد به هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام، ولذا إختار ابن الجوزي رحمه الله هذا الرأي في تفسيره لهذه الآية، فقال:-

(قوله تعالى"ولقد جاءكم يوسف" وهو يوسف بن يعقوب ويقال : أنه ليس هو وهذا ليس بشيء)[3]

وهذا ما يؤيده ابن جرير رحمه الله، حيث لم يذكر في تفسيره غير هذا الرأي وكذلك الإمام إبن كثير في تفسيره[4]. إذن فالآية تنص على نبوة يوسف عليه السلام وكذلك ورد صريحا اصطفاء الله عز وجل ليوسف عليه السلام قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا

---

(١) محمد بن الحسن بن محمد النقاش،كان عالما بالتفسير والقراءات، توفي سنة ٣٠١هـ .أنظر الاعلام للزركلي ٨١/٦.

(٢) أنظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٤/٨

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤٣/٧

(٤) أنظر تفسير ابن جرير ٦٣/١٢ و تفسير ابن كثير ٨٣/٤-٨٤

لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (١)

ففي قوله تعالى: ﴿ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾(٢) قراءتان، إحداهما بفتح اللام وأخرى بكسرها، فقراءة الفتح تدل على أن الله عز وجل قد اصطفى يوسف نبيا واجتباه ليكون من عبادة الاخيار المستخلصين برسالة الله، وأما قراءة الكسر فتأويلها أي الذين أخلصوا طاعة الله سبحانه وتعالى. وقد كان يوسف عليه السلام متصفا بهاتين الصفتين لأنه كان مستخلصا لرسالة الله، ومخلصا في طاعته سبحانه.

وماجاء في كتاب التفسير الحديث للكتاب المقدس للقس ديريك كدنر نقلا عن التوراة ما يثبت نبوة يوسف عليه السلام حيث قال:

(مثل إسحاق ويعقوب من قبل يقدم سفر التكوين يوسف بإعتباره العضو المختار في أسرته وهذا الإختيار الإلهي هو أحد مواضيع سفر التكوين وفيه نرى قصد الله الذي لا يستطيع أن يعطله طيش حلفائه ولا حقد أعدائه وقصة الحلم الذي نراه في البداءة بجعل الله وليس يوسف بطل القصة فهذه ليست قصة نجاح بشرى بل قصة سيادة الله) (٣)

ففي هذا التفسير بيان بأن الله سبحانه قد اختار يوسف ليكون من أنبياءه المرسلين، المصطفين، وهو مما يتفق مع ماعندنا والحمد لله.

الدلالة الثانية: النص من أحد الأنبياء على نبوة يوسف عليه السلام:

بين يعقوب عليه السلام عند تأويله لرؤيا يوسف عليه السلام، بانه هو أحد الأنبياء الذين اختارهم الله واصطفاهم لحمل الرسالة وتبليغها للناس، كما في قوله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٤)

---

(١) سورة يوسف آية ٢٤

(٢) سورة يوسف اية ٢٤

(٣) التفسير الحديث للكتاب المقدس للقس ديريك ١-٢٠٦

(٤) سورة يوسف آية ٦

فهذا القول على لسان يعقوب عليه الصلاة والسلام، فيه اشارة وتبشير بأن يوسف عليه السلام ممن إجتباهم ربهم لحمل الرسالة وهداية الناس، وفيه الثناء على يوسف عليه السلام وذكر لنعمه عليه بالإجتباء وتأويل الأحاديث.فقوله تعالى: ﴿ يَجْتَبِيكَ ﴾ إشارة إلى نبوته عليه السلام كما جاء عن الحسن رحمه الله[1]، وقوله: ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ أي أحاديث الأمم والكتب السابقة ودلائل التوحيد، وهو إشارة إلى النبوة والمقصود بقوله تعالى: ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ .كما جاء في تفسير الرازي هو اتمام النعمة اي النبوة، فقال رحمه الله:

(النعمة التامة في حق البشر ليست إلا النبوة وكل ما سواها فهي ناقصة بالنسبة إليها ثم إنه عليه السلام لكما وعده بهذه الدرجات الثلاثة ختم الكلام بقوله: "ان ربك عليم حكيم" فقوله: "عليم" إشارة إلى قوله: "الله أعلم حيث يجعل رسالته" الانعام ١٢٤ وقوله: "حكيم" إشارة إلى أن الله تعالى مقدس عن السفه والعبث لا يضع النبوة إلا في نفس قدسية وجوهرة مشرفة علوية) [2]

وهذا القول الذي اختاره الإمام الرازي رحمه الله تعالى، هو الأقرب لتفسير معنى إتمام النعمة، وبهذا يكون يعقوب عليه السلام قد بشر بنبوة إبنه يوسف عليه السلام.

كما اخبر نبينا محمد ﷺ بنبوة يوسف عليه السلام، فجاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه:(قال: قيل يارسول الله من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم قالوا: ليس عن هذا نسألك؟ قال: فيوسف نبي الله إبن نبي الله إبن نبي الله إبن خليل الله قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)[3].

وهذا الحديث دليل على نبوة يوسف عليه السلام فقد اكد عليه السلام أنه:(نبي الله إبن نبي الله إبن نبي الله إبن خليل الله).

---

(١) أنظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٦/٥

(٢) التفسير الكبير للرازي ٤٢٠/٦-٤٢١

(٣) سبق تخريجه أنظر ص ١٥٠

ومما يتوافق مع ماورد في شرعنا الحنيف، على نبوة يوسف عليه السلام، مباركة يعقوب عليه السلام لأبناءه كما جاء في سفر التكوين قوله:(يوسف غصن شجرة مثمرة على عين أغصان قد ارتفعت فوق حائط فمررته ورمته واضطهدته أرباب السهام ولكن ثبتت بمتانة قوسه وتشددت سواعد يديه من يدي عزيز يعقوب من هناك من الراعي صخر إسرائيل من إله أبيك الذي يعينك ومن القادر على كل شيء الذي باركك تأتي بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت بركات الثديين والرحم بركات أبيك فاقت على بركات أبوي الى منية الآكام الدهرية تكون على رأس يوسف وعلى قمة نذير أخوته) (١)

فمباركة يعقوب عليه السلام لولده يوسف، ما هي إلا تبشير بنبوته عليه السلام، والمباركة عند بني إسرائيل هي شكل من اصطفاء الله، خاصة إذا كان فيها شيء من التميز عن الباقين، فجاء في تفسير النص السابق في السنن القويم مانصه:

(بارك يعقوب هنا يوسف مباركة ممتازة أحسن من مباركة كل من إخوته وكان يجتهد أن يباركه بما فوق قوته لأنه كان أحب أبنائه إليه وإبن زوجته المحبوبة ومخلص آل اسرائيل من الموت جوعا وحاكم مصر فعلا وقد وهب له نصيب البكر بأن اعطاه سبطين ولكل من إخوته سبطا واحدا.....) (٢)

وذكر صاحب كتاب التفسير الحديث للكتاب المقدس ما نصه:

(يوسف: رغم الغموض الذي يوجد في كلمات هذه النبوة توجد أيضا الفصاحة الأخاذة تعود بنا الفكرة من الحاضر في روعة حياة يوسف إلى ضغوط الماضي وخلفهما أسماء الله التي تكون مركز النبوة ثم يسكب يعقوب فيض بركاته على يوسف وبذا يسير بالفكرة إلى المستقبل) (٣)

فهذه نصوص التوراة وشروحاتها تؤكد على نبوة يوسف عليه السلام لا سيما مباركة يعقوب له كما جاء في سفر التكوين، فكانت نصا من يعقوب عليه السلام وإن كان غير مباشر على نبوته عليه الصلاة والسلام.

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٤٩: ٢٢-٢٦

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ١/٢٧٨-٢٧٩

(٣) التفسير الحديث للكتاب المقدس للقس ديريك ١/٢٠٦

الدلالة الثالثة:منهج دعوة الأنبياء عليهم السلام هو منهج نبي الله يوسف عليه السلام:

إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله عز وجل يسلكون مسلكا ومنهجا متفقا عليه في سائر الدعوات السماوية، وهو الدعوة إلى الإسلام الذي هو منهج جميع الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ، ويوسف عليه السلام ممن سار على هذا النهج السماوي المعصوم في تبليغ دعوة الله الى التوحيد. فمنهج الدعوة إلى الله عز وجل دليل من دلائل النبوة والرسالة التي يوحي الله بها إلى من شاء من عباده. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

ارسل الله تعالى يوسف عليه السلام الى قومه في مصر في عصر الهكسوس، وكانت رسالته عليه السلام في الدعوة للإسلام مستمرة في تلك الفترة، وإن كان قد بدأ بالدعوة إلى دين الاسلام والتوحيد منذ أيام وجوده في السجن، وقرر أنه دين آبائه ابراهيم وإسحاق ويعقوب وهي صورة واضحة ودقيقة وشاملة للإسلام بما تضمنته من الإيمان بالله واليوم الآخر وتوحيد الله ونفي الشركاء عنه سبحانه، ومعرفة صفاته الله جل جلاله، والحكم بعدم وجود حقيقة ولا سلطان لغيره سبحانه، ومن ثم نفي الأرباب التي تتحكم في رقاب العباد،

(١) سورة يوسف آية رقم٣٨-٤٠

وتعريف الدين القيم بأنه أفراد الله سبحانه بالعبادة، فإنهما مترادفان متلازمان فقال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾.

ومن الواضح أن يوسف عليه السلام عندما سيطر على مقاليد الامور في مصر استمر في دعوته للإسلام، على هذا النحو الواضح حتى انتشر الاسلام في مصر على يديه وهو يقبض على أقوات الناس وأزوادهم، لا على مجرد مقاليد الحكم بينهم، ونشر دعوته في البقاع المجاورة ممن كانت وفودها تجيئ لتقتات مما تم ادخاره بحكمته وتدبيره. وقد رأينا إخوة يوسف يجيئون من أرض كنعان المجاورة ضمن غيرهم من القوافل، ليمتاروا من مصر ويتزودوا منها.

ونلمس في قصة يوسف عليه السلام إشارة إلى آثار باهتة للعقيدة الإسلامية التي عرف الرعاة الهكسوس شيئا عنها، لا سيما إذا قرنا ذلك برحلة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أو هجرته إلى مصر أنها هجرة دعوة وتبليغ إلى أهل مصر، ففي أول قصة يوسف عليه الصلاة والسلام هناك إشارات تشير إلى انتشار هذه العقيدة ووضوحها، ومن أهم هذه الإشارات اشارتان:-

الأولى: وردت في حكاية قول النسوة حين طلع عليهن يوسف: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [1] ووردت كذلك في قول العزيز لإمراته: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴾ [2]

والثانية: جاءت على لسان امراة العزيز، فيما حكاه عنها الله تعالى في قوله: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝ وَمَآ أُبَرِّئُ

(١) سورة يوسف آية ٣١

(٢) سورة يوسف آية ٢٩

نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) وإذا اتضح أن ديانة التوحيد على هذا المستوى كانت قد عرفت قبل تولي يوسف مقاليد الحكم في مصر، فلا بد أن تكون قد انتشرت بعد ذلك على نطاق واسع في أثناء توليه الحكم، في عهد أسر الرعاة الهكسوس. ولعل التوحيد الناقص المشوه الذي عرف به أخناتون لم يكن إلا أثرا من الآثار المضطربة التي بقيت من التوحيد الذي نشره يوسف عليه السلام في مصر كما أسلفنا، وبخاصة إذا صح ما يقال في التاريخ من أن أم خناتون كانت آسيوية ولم تكن فرعونية.

ولأجل ذلك فإننا سنتطرق إلى معالم دعوة يوسف عليه السلام إلى التوحيد الخالص في المطلب الثاني من هذا المبحث إن شاء الله تعالى، وبها يتبين أن النهج الذي كان عليه يوسف عليه السلام هو نهج الأنبياء عليهم السلام.

الدلالة الرابعة: المعجزة التي يؤيد الله بها انبياءه ورسله:

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (٢)

فقد أكرم الله عبده يوسف بتعليمه تأويل الاحاديث، وما ذلك إلا لأنه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله فورثه الله العلم بالتأويل، وهذه الآية جاءت في كلام يوسف لصاحبيه في السجن لما سألاه تأويل رؤياهما، فدعاهما إلى الإسلام مظهرا لهما ما أيده الله به من المعجزات، ليبث لهم رسالته ويدلهم على صدق دعوته، وقد كان تأويل الرؤى هو من علم الغيب الذي أطلع الله نبيه عليه.

---

(١) سورة يوسف آية ٥١-٥٣

(٢) سورة يوسف آية ٣٧

وكذلك من معجزات يوسف عليه السلام ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ۝ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1] فالايات تشير الى الله رد الله بصر يعقوب عليه السلام الذي فقده من بكاءه وحزنه على فراق يوسف عليه السلام الذي دام عشرات السنين، بعد أن ألقي عليه قميص يوسف، فهذه المعجزات وغيرها دليل من دلائل نبوته عليه صلوات الله وسلامه. وقد ورد في التوراة ما يؤيد ذلك فقد جاء في سفر التكوين [2] أن يوسف وضع يده على عيني والده فرجع بصيرا.

الدلالة الخامسة: مجيئ الوحي على يوسف عليه السلام:

إن يوسف عليه السلام هو أحد الأنبياء الذين كان يأتيهم الوحي من عند الله عز وجل قال تعالى:(وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا ﴾ [3] وذلك الوحي أنزله الله عليه عندما ألقاه إخوته في البئر. فالآية تصرح بنزول الوحي عليه في ذلك الوقت، وقد لا يكون ذلك الوحي لأجل بعثه الى الخلق، بل لأجل تقوية قلبه وإزالة الحزن عن صدره.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [4] وقوله سبحانه : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [5] ففيه إشارة إلى العلم الذي آتاه الله ليوسف عليه السلام بعد أن اصطفاه نبيا، فعلمه تأويل الرؤى وبصره بعواقب

---

(١) سورة يوسف آية ٩٣-٩٥

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٤٦: ٤-٥

(٣) سورة يوسف آية ١٥

(٤) سورة يوسف آية ٢١

(٥) سورة يوسف آية ٢٢

الأمور وما تؤول اليه، وأتاه الحكم والعلم، وكلها من مظاهر النبوة. نزول الوحي على يوسف عليه السلام.

وهناك عدة نصوص في التوراة تؤكد هذا المعنى، منها ماجاء في سفر التكوين:(وحلم يوسف حلما وأخبر إخوته فازدادوا أيضا بغضا له) [1] وهذه الأحلام هي من وحي الله إليه، الذي كثيرا ما تكرر في حياته عليه السلام، كما جاء تفسير ذلك في السنن القويم[2].

وجاء في موضوع آخر:(فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلا في روح الله)[3] وجاء في تفسيره:(فيه روح الله أي نفس الله وإلهامه) [4].

فمن هذه النصوص، يتبين أن العهد القديم قدأثبت مجيء الوحي إلى يوسف عليه السلام سواء في المنام أو في اليقظة كالإلهام، وهو موافق لما جاء في القرآن الكريم.

الدلالة السادسة:الإبتلاء:

إن المتتبع لقصة يوسف عليه السلام في القرآن، يعلم مدى شدة المصائب والمحن والإبتلاءات التي تعرض لها عليه السلام، فكان أول ما ابتلاه الله به عداء إخوته وبغضهم له بسبب حب والده الشديد له وتفضيله عليهم، وما ذاك إلا لتوسم يعقوب الخير والنبوة في إبنه يوسف.

وقد تضاعف بغض إخوته له حتى بلغ السيل الزبي، وطرح أمره على مائدة المؤامرة، فاقترح بعضهم قتله، ثم استقر الرأي على إلقاءه في بئر ليلتقطه بعض المارة وبذلك يتم الخلاص منه، فأخذ على غرة وألقي به في الجب وحيدا غير أن رحمة الله سبقت إليه، فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [5] ثم جاءت قافلة والتقطته من الجب، وأخذ كعبد رقيق

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٧:٥

(٢) أنظر السنن القويم ٢٢٥/١

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٤١:٣٨

(٤) أنظر السنن القويم ٢٤١/١

(٥) سورة يوسف آية ١٥

يباع ويشترى بثمن بخس، ونشأ بعيدا عن أهله ووالديه، وتربى في قصر العزيز في مصر.

ثم ابتلىء بمراودة امراة العزيز له، والمؤامرة التي حيكت له لإغرائه وإيقاعه في المنكر من قبل نسوة المدينة اللواتي شغفن بحبه لشدة جماله وحسنه عليه السلام، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال:(أعطى يوسف شطر الحسن) (١).

ثم جاء التهديد والوعيد من امراة العزيز قال تعالى: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ (٢) فدخل عليه السلام السجن مظلوما، ولبث فيه بضع سنين.

وهكذا فإن حياة يوسف عليه السلام كانت سلسلة متلاحقة من البلاء فلا يفرغ من محنة حتى يدخل في محنة مثلها أو أشد منها. ولكن هذه المحن لم تفلح في زحزحته عن التمسك بالصبر والإيمان، والذي هو صفة أنبياء الله عليهم السلام.

وجاء من الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ مايبين شدة الإبتلاء الذي أصاب يوسف عليه السلام من حديث أبو هريرة رضى الله عنه قال:(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الكريم إبن الكريم إبن الكريم إبن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ولو كنت في السجن مالبث ثم أتاني الرسول لأجبت) (٣).

وورد من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال:(عن النبي ﷺ قال:"عجبت لصبر أخي يوسف وكرمه والله يغفر له حيث أرسل إليه ليستفت في الرؤيا ولو كنت أنا لم أفعل حتى أخرج وعجبت لصبره وكرمه والله يغفر له أتي ليخرج فلم يخرج حتى

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢٨٦/٣ وقد صححه الألباني في السلسلة ٤٧٠/٣ برقم ١٤٨١

(٢) سورة يوسف آية ٣٢

(٣) رواه الترمذي والنسائي في الكبرى والبخاري في الأدب المفرد،والطحاوي في مشكل الآثار، وابن حبان في الموارد، والحاكم وأحمد في مسنده وغيرهم.

أخبرهم بعذره ولو كنت أنا لبادرت الباب ولولا الكلمة لما لبث في السجن حيث يبتغي الفرج من عند غير الله عز وجل) [١]

فهذه الأحاديث تبين أن يوسف عليه السلام قد تحمل من الظلم الشيء الكثير، وكل الإبتلاءات التي واجهها يوسف عليه السلام، هي من نوع الإبتلاءات التي حصلت لأنبياء الله ورسله عليهم افضل الصلاة وأتم التسليم.

ومما يوافق ماجاء في ديننا الحنيف ما ورد في التوراة من وصف للمعاناة والابتلاءات التي واجهت يوسف عليه السلام، ومن ذلك حكايتهم لقصة يوسف مع امرأة العزيز، حيث جاء في التوراة:

(وكان إذ كلمت يوسف يوما فيوما أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها...) [٢]

صاحب السنن القويم وفسر النص السابق بقوله:

(هذه الآية بيان لشدة جهاد يوسف ومحاربته للتجربة وفرط عفافه.....)[٣]

وكذلك ما جاء في سفر المزامير قوله :-

(أرسل امامهم رجلا — بيع يوسف عبدا
أذوا بالقيد رجليه — في الحديد دخلت نفسه
إلى وقت مجيئ كلمته — قول الرب امتحنه
أرسل الملك فحله — أرسل سلطان الشعب فاطلقه
أقامة سيدا على بيته — ومسلطا على كل ملكه) [٤]

فهذا المزمور يصف شدة معاناة يوسف أثناء سجنه وكيف اجتاز هذا الإمتحان بكل إيمان وصبر، إلى أن أرسل إليه الملك، وأقامه سيدا على مملكته.

---

(١) رواه الطبراني ٢٤٩/١١ برقم ١١٦٤٠ وقد حسنه الألباني في السلسة الصحيحة له ٥٨٩/٤ حديث رقم ١٩٤٥.

(٢) سفر التكوين ٣٩: ١٠

(٣) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٣٥/١

(٤) المزامير ١٠٥:١٧

فالتوراة اذن تتفق مع جاء في القرآن الكريم، حول صبر يوسف على ما ابتلاه الله فيه من المحن العظيمة، وتلك هي سنة الله في أنبياءه ورسله، مما يدل على نبوة يوسف عليه السلام.

الدلالة السابعة: الخلق الكريم:

تميز يوسف عليه السلام بكثير من الصفات والأخلاق النبيلة التي تدل على صدقه ونبوته، ومن أعظم تلك الصفات الحكم والعلم والإخلاص والصدق والإحسان والحفظ والأمانة والكرم والتقوى والصبر والصفح والعفو والعدل والصلاح، وورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تدل على تلك الصفات ليوسف عليه السلام، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (١) وقال تعالى:﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ .....الآية﴾ (٤) وقال أيضا سبحانه: ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (٦) وقال أيضا: ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ (٧) وقال تعالى: ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٨) وقال أيضا: ﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ

---

(١) سورة يوسف آية ٢٢

(٢) سورة يوسف آية ٢٤

(٣) سورة يوسف آية ٣٦

(٤) سورة يوسف آية ٤٦

(٥) سورة يوسف آية ٥١

(٦) سورة يوسف آية ٥٥

(٧) سورة يوسف آية ٥٩

(٨) سورة يوسف آية ٧٨

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾. (٢)

فهذه الآيات تدل على عظيم خلق يوسف عليه السلام وصفاته النبيلة التي تميز بها عن سائر الخلق، والتي لا نجدها مثيل إلا فيمن هو مثله من أكابر الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى، ذاكرا بعض صفات يوسف عليه السلام:-

(وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث وحسن السمت وكثرة العبادة صلوات الله عليه وسلامه، ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم.....قال له الملك "إنك اليوم لدينا مكين أمين" أي أنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة .....وذكر أنه "حفيظ" أي خازن أمين "عليم" ذو علم وبصيرة بما يتولاه) (٣)

وفي الأحاديث الصحيحة ما يبين عظمة يوسف عليه السلام وتحليه بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، فقد جاء عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال:(قيل يارسول الله من أكرم الناس؟ قال اتقاكم. قالوا: ليس عن هذا نسألك؟ قال: فيوسف نبي الله..... الحديث) (٤)

وكذلك جاء عن عمر رضى الله عنه، وذلك فيما يرويه علي بن رباح قال: إستإذن رجل على عمر رضى الله عنه: فقال:(استأذنوا لإبن الأخيار، فقال عمر رضى الله عنه: ايذنوا له فلما دخل. قال : من أنت قال: أنا فلان إبن فلان إبن فلان، قال: فجعل يعد رجالا من

(١) سورة يوسف آية ٩٢

(٣) سورة يوسف اية ١٠١

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٥٢٣-٥٢٨

(٤) سبق تخريجه أنظر ص ١٥٠

أشراف الجاهلية، فقال له عمر: أنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. قال:لا . قال : ذاك إبن الأخيار) [١]

وكذلك ماجاء من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال عن النبي ﷺ قال:(عجبت بصبر أخي يوسف وكرمه والله يغفر له حيث ارسل إليه ليستفتى في الرؤيا ولو كنت أنا لم أفعل حتى أخرج، وعجبت لصبره وكرمه والله يغفر له أتي ليخرج ولم يخرج حتى أخبرهم بعذره ولو كنت أنا لبادرت الباب ولولا الكلمة لما لبث في السجن حيث يبتغي الفرج من عند غير الله عز وجل) [٢]

وكذلك ماجاء في حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما:(عن النبي ﷺ قال: الكريم إبن الكريم إبن الكريم إبن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) [٣]

فهذا الأحاديث وغيرها تدل على صفات وأخلاق نبي الله يوسف عليه السلام، فتصفه بالكرم والصبر والفضل والخيرية بشكل عام، فهي اذن مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم من وصف لهذا النبي الكريم.

وتشير التوراة كذلك إلى هذه الصفات والاخلاق الحسنة ليوسف عليه السلام، فجاء في سفر التكوين:(فقال فرعون في عبيده هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله ثم قال فرعون ليوسف: بعد ما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك) [٤] وقوله:(أنا يوسف أخوكم الذي بعتموه إلى مصر والآن لا تتأسفوا ولا تغتاضوا لأنكم بعتموني إلى هنا لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم) [٥]

وقوله ايضا(فقال لهم يوسف لا تخافوا لأنه هل أنا مكان الله) [٦]. وفي تفسير السنن القويم بيان وشرح لتلك الصفات فجاء فيه:

---

(١) رواه الحاكم ٣٤٧/٢ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٦٩.

(٣) سبق تخريجه أنظر ص ٢٦٨

(٤) العهد القديم سفر التكوين ٤١: ٣٨-٣٩

(٥) العهد القديم سفر التكوين ٤٥: ٤-٥

(٦) العهد القديم سفر التكوين ١٩:٥٠

(ولذلك ما لبث أن ازال خوفهم بأن أبان رضاه عنهم وإن ماكان منهم لم يكن إلا بعناية الله وإحسانه إليهم وإلى غيرهم من الناس وأن لله في أحكامه حكما تقصر عن إدراكها الألباب وأنه لا يقضي إلا بما هو خير وأن جهل ذلك البشر) [1]

ويتبين مما سبق ماكان يتحلى به يوسف عليه السلام من الصفات العظيمة كالخبرة والحكمة والرحمة والرأفة والعدل وغيرها من الصفات النبيلة، التي أصبحت علامة بارزة في حياة يوسف، ودلالة ظاهرة من دلائل نبوته عليه السلام، ولكنها ايضا لا تكون دليلا لوحدها لكنها إذا قرنت بغيرها من الدلالات.

الدلالة الثامنة: التنبؤ بالمستقبل من علامات نبوة يوسف عليه السلام:

إن الرؤى التي فسرها يوسف عليه السلام لأبيه ولصاحبي السجن ولملك مصر هي من آثار العلم الذي حباه به الله تعالى، حتى اشتهر به عند أهل مصر، بل كان هذا العلم إحدى علامات نبوته ودلائل رسالته وطريقته في دعوة الناس الى الله. فانظر إلى يوسف عليه السلام وهو يتحدث الى صاحبي السجن عما حباه الله عز وجل من العلم وأطلعه عليه من الغيب حين قال لهما: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ... الآية﴾ [2]

ثم فسر عليه السلام رؤى صاحبي السجن بما علمه الله من تأويل الأحاديث، وكذلك رؤى ملك مصر. وكانت كل رؤيا يفسرها عليه السلام تأتي كفلق الصبح، وهذا من إطلاع الله تعالى له على الغيب.

ومما يدل على ذلك ايضا ما جاء في الحديث:(إن يوسف عليه السلام أوصى بني اسرائيل أن يحملوا جسده معهم إذا خرجوا من مصر)[3]، وهذا تنبؤ منه بأن الله سيخرج بني إسرائيل من مصر في مستقبل، وقد صدقت نبوءته عليه الصلاة والسلام.

---

(١) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٥٦/١

(٢) سورة يوسف آية رقم ٣٧

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٧١/٢-٥٧٢ وقال هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وجاءت رؤية التوراة لتشير هي الاخرى إلى صدق تنبؤات يوسف عليه السلام وتحققها، ومن ذلك ما جاء في سفر التكوين:(وقال يوسف لإخوته أنا أموت ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحاق ويعقوب واستحلف يوسف بني إسرائيل قائلا الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا ثم مات يوسف) [١]

وفسر كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس تلك الرؤيا بقوله:-

(هذه الآية نبوة قوية عما سيبدأ في سفر الخروج ويتم تماما في سفر يشوع كان الله سيجعل من عائلة يعقوب أمة كبيرة ويخرجهم من مصر ويأتي بهم إلى الأرض التي وعدهم بها وكان على الأمة أن تعتمد تماما على هذا الوعد وقد أكد يوسف ايمانه بأن الله سيتمم ما وعد به) [٢]

وقد وضح هذا المعنى صحاب كتاب السنن القويم في تفسير العهد القديم [٣].حيث أشار الى ان تفسير يوسف عليه السلام لرؤى صاحبي السجن والملك، وما فيهما من استشراف للغيب وتنبؤ بالمستقبل، وكل ذلك بإطلاع الله له.

---

(١) سفر التكوين ٥٠: ٢٤-٢٥

(٢) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ١٢٥

(٣) أنظر السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٨٣/١

المطلب الثاني: معالم دعوة يوسف عليه الصلاة والسلام إلى توحيد الله الخالص:

إن من أهم ما نبحثه في سيرة يوسف عليه السلام ودعوته إلى توحيد الله عز وجل، هو ماورد في سورة يوسف في دعوته لصاحبي السجن، ففيها النص الصريح والدعوة الواضحة إلى عبادة الله وحده، ونبذ الشريك عنه سبحانه وتعالى، وهي قوله تعالى:

﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

ففي هذه الايات الكريمة نلمس معالما لدعوة يوسف الى دين الله عز وجل، وإلى تنزيهه سبحانه عن الأنداد والشركاء، وهي كثيرة في سيرة يوسف كما جاءت في القرآن الكريم.و لاجل ذلك فإننا سنبحث في معالم دعوته إلى دين الله عز وجل من خلال دراسة الألفاظ والعبارات الواردة في التوراة، والوقوف عندها لمعرفة الجوانب الدعوية التي انطلق منها لدعوة الناس إلى دين الاسلام.

ونلحظ أن دعوة يوسف عليه السلام بدأت واضحة منذ فترة وجوده في السجن، ولا سيما في قصة دعوته لصاحبي السجن وتأويله لرؤياهما، وقوله لهما مستثيرا فيهما اسباب التأمل والتفكير فجاء في القرآن الكريم: ﴿"يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ

(١) سورة يوسف آية رقم ٣٧-٤٠

خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ ثم انظر إلى قوله لهما مسفها أحلام قومهم في عبادتهم لتلك الآلهة الباطلة:

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ ثم قوله لهما بعد ذلك مبينا حال معبوده الحق جل شأنه: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

وكذلك كانت دعوته بعد أن أصبح عزيز مصر وصاحب الكلمة العليا فيها، ولا شك أن رسالته قد حفظت في بني إسرائيل من بعده، وكانت منار هداية لهم مدة إقامتهم بمصر، حتى خرجوهم منها مع موسى عليه السلام.

ولذلك فإننا سنتحدث عن أثر دعوة يوسف عليه السلام ومعالمها من خلال النصوص الواردة في كل من القرآن الكريم والتوراة، فنسأل الله الاعانة والتسديد. فمن أهم معالم دعوة يوسف عليه السلام ما يلي:

أولا: الارتباط الوثيق بين نبي الله وربه جل جلاله:

إن الناظر في سيرة يوسف عليه السلام يلحظ امتثاله العظيم لتعاليم الله سبحانه، واتباع ما أوجبه الله على عباده والامتناع عن ما نهاهم عنه. وهذا الإمتثال للأوامر الشرعية الإلهية نابع من إيمانه العميق وارتباطه الوثيق بربه سبحانه، ويبدو ظاهرا في سيرته عليه السلام من جوانب عديدة ومن أهمها:

(أ) خوف يوسف من الله عز وجل وحده دون سواه، فانظر إلى موقفه من امرأة العزيز وهي تراوده عن نفسه، وتحاول مرة بعد مرة لإيقاعه في الفاحشة والمنكر، فكان جوابه لها كما حكاه الله تعالى تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [1]

(١) سورة يوسف آية رقم ٢٣

ففي هذا الموقف العظيم استشعر يوسف عظمة الله عز وجل، مما يدل على تمكن خشية الله ومراقبته من قلب يوسف عليه السلام، رغم أن الظروف والأسباب المحيطة كانت[1] مهيأة بحيث تقوى معها دعائم الموافقة على هذا المنكر، فقد كان عليه السلام شابا وداعية الشباب إلى ذلك قوية، وكان عذبا ليس معه ما يرد شهوته، ثم إنه كان في بلد غربة والغربة مظنة الفتنة، وكانت امرأة العزيز ذات منصب وجمال وهي التي أمرته ودعته إليها وتوعدته إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعي كلها فقد صبر اختيارا وإيثارا لما عند الله.

وقد اشارت التوراة أشارت عند ذكرها لهذه الواقعة إلى هذه الصفة الإيمانية عند يوسف، وهي خشية الله تعالى ومراقبته، فقد جاء في كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس عند تفسيره للنص الوارد في سفر التكوين ما نصه:

(فشلت امرأة فوطيفار في إغواء يوسف الذي قاوم هذه التجربة قائلا: كيف اقترف هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟ فلم يقل يوسف لسيدته: إن في هذا أذية لك أو إنني أخطئ ضد فوطيفار أو أخطئ إلى نفسي فتحت الضغوط يسهل علينا تقديم مثل هذا الأعذار والتبريرات. أذكر أن الخطية الجنسية ليست محصورة بين طرفين متفقين بل هي فعل عصيان ضد الله) [2]

فهذا الخوف المتمكن في قلب يوسف عليه السلام قد شهد به الجميع، وفيه أبلغ معاني الارتباط العميق بين يوسف عليه السلام وربه سبحانه وتعالى، مما يجعله محلا للإقتداء والتأسي به فهو داعية بعمله.

(ب) التجاء يوسف عليه السلام إلى الله وحده والتوكل عليه دون سواه في أصعب الظروف وأشد المواقف، الأمر الذي يعطينا بعدا ظاهرا في الحكم على يوسف عليه السلام من حيث إيمانه العميق بالله سبحانه، والتزامه بدين الله وشريعته. فانظر إليه عندما ضاقت به السبل وكثرت عليه الفتن حتى أصبح عاجزا عن دفعها، فاتجه إلى

---

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص١٠٢

الركن الشديد والحصن الحصين، إلى قوة الله عز وجل، عندما انهالت عليه الفتن من نسوة المدينة اللواتي صرن يتعرضن له ويحاولن إغوائه وإيقاعه في الفاحشة، حتى خشي على نفسه من الفتنة، فالتجأ إلى ربه واستحضر التوكل عليه، واستنجد به أن ينقذه من كيدهن حيث قال كما روى عنه القران: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١)

ان هذا الدعاء الصادق من يوسف عليه السلام يصور لنا ذلك القلب العامر بمعرفة الله، الذي امتلأ إيمانا وتوكلا على الله ، وإن التجاءه إلى الله في مثل هذا الموقف يدل على صلته القوية بالله عز وجل.

(ت) الحمد والشكر والاعتراف بالنعمة إلى مسديها سبحانه وتعالى، ونجد ذلك واضحا حينما يخاطب اخوته وصاحبي السجن، فإنه يذكرهم بأن النعمة التي تترى عليه هي من عند الله وحده، وهو المنعم المتفضل الذي يستحق الحمد والشكر، وجاء في قوله تعالى على لسان يوسف: ﴿ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

وكذلك في نهاية قصة يوسف بعد اجتماعه بأهله جميعا، وتحقق رؤياه عليه السلام، واشتهار أمره عند أهل مصر، فإنه يقول مبينا فضل الله عليه:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٢)

واظهرت التوراة عتراف يوسف بفضل الله ونعمه عليه، فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس بيان لذلك وفيه:

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٣٣-٣٤

(٢) سورة يوسف آية رقم ١٠١

(وقد عزا يوسف ما كان ينعم به من أخلاق رفيعة ويتمتع به من مقام اجتماعي إلى الله الذي لم يتركه ولم يتخل عنه فلم تظهر كفاءته في بيت فوطيفار ولم يوكله فوطيفار على بيته ولم يزج في غيابه السجن ولم ينجح في تفسير حلم رئيس السقاة ورئيس الخبازين وحلمي فرعون ولم ينل العفو ولم يعترف فرعون بحكمته ولم يرفعه إلى مصاف الإشراف ويجعله قيما على بيته ووكيلا على مخازنه ولم يقلده ثاني وظيفة بعد الملك بعد أن تحمل الخسف والذل مدة ١٣ سنة إلا لأنه كان متكلا على الله مؤمنا بقوته وعدله) (١).

وهكذا فلم يدع يوسف مناسبة إلا اكد فيها شكره لمولى النعم الذي أنعم عليه بالإيمان، ولما نجاه من الفتن والابتلاء، ورفع قدره في الدنيا والآخرة، وهذا من مظاهر شدة ارتباط يوسف عليه السلام بربه جل جلاله، ويصب فيما يجب أن يكون عليه الداعية إلى الله، من العلاقة الوثيقة بينه وبين ربه ليكون قدوة لغيرة في ذلك.

(ث) اختيار أسماء أبناءه بما يذكره بأن الله هو الذي حفظه ورعاه وأعطاه جميع هذه النعم، كما تفيد ذلك التوراة في بيان أسماء أبناء يوسف عليه السلام حيث توضح لنا الارتباط الوثيق في قلب يوسف عليه السلام بربه سبحانه وتعالى، يقول سفر التكوين:

(وولد ليوسف ابنان قبل أن تأتي سنة الجوع ولدتهما له أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون ودعا يوسف اسم البكر منسى قائلا لأن الله أنساني كل تعبي وكل بيت أبي ودعا اسم الثاني أفرايم قائلا لأن الله جعلني مثمرا في أرض مذلتي.....) (٢)

فانظر في معاني هذين الاسمين، وعلاقتهما بقلب يوسف عليه السلام، وأنه ما أراد من اختيار هذين الاسمين إلا لتوثيق العلاقة بينه وبين ربه، حتى يكون ذاكرا لربه ممتثلا لأوامره في كل حين.

تلك هي الجوانب الأربعة التي، تدل على عمق العلاقة بين يوسف عليه السلام وربه جل وعلا، بل إن تعلق يوسف عليه السلام بالله عز وجل وارتباطه به اصبح أمرا مسلما به في جميع مراحل حياته، حتى في رسائله وكتاباته الشخصية كما جاء في رسالة يوسف عليه

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١١١٦

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٤١:٥٠-٥٢

السلام لأبيه بعدما أرسل اخوته إليه يبدأها باسم الله، فجاء في كتاب التفسير الحديث للكتاب المقدس:

(تأمل أن يوسف يرسل رسالة إلى أبيه يبدأها بجملة مركزها الله) (١)

فمن خلال ما مر يتبين لنا امتثال يوسف عليه السلام التام بدين الله عز وجل، في كل أقواله وأفعاله وأحواله، بادئا بنفسه، منطلقا به لدعوة الناس إلى الإسلام.

ثانيا: الدعوة الصريحة إلى توحيد الإلهية:

إن دعوة يوسف عليه السلام هي امتداد لدعوات الأنبياء والمرسلين الذين سبقوه في دعوة الناس، دعوة إلى توحيد الله عز وجل وإفراده سبحانه بالعبادة. ولذا جاء على لسان مؤمن آل فرعون إيضاحا للبينات التي جاء بها يوسف عليه السلام إلى أهل مصر فانظر إليه وهو يقول: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولاً ..... الآية﴾ (٢)

فمؤمن آل فرعون يقرر هنا لفرعون وملئه، أن النهج الذي جاء به يوسف عليه السلام هو نهج الأنبياء جميعا حيث قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (٣)

ومن صور دعوته عليه السلام حواره مع صاحبي السجن ودعوتهما إلى توحيد الله بقوله: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (٤) ففي هذه الآية أقبل يوسف على الفتيين مخاطبا وداعيا لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له ،وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدها قومهما فقال:﴿ "ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾أي الذي قهر كل شئ لعز جلاله وعظمة سلطانه، ثم بين لهما أن الاصنام التي

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٤١:٥٠-٥٢

(٢) سورة غافر آية رقم ٣٤

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ٢٥

(٤) سورة يوسف آية رقم ٣٩-٤٠

يعبدونها ويسمونها آلهة انما هي اسماء سموها تلقاء أنفسهم، وتلقوها خلفا عن سلف عن سلفهم، وليس لهم في ذلك اي مستند من عند الله، ولهذا قال: ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ أي حجة ولا برهان. ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله، وقد أمر عباده قاطبة أن لا يعبدوا إلا إياه، ثم قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ أي هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذي أمر الله به، وأنزل به الحجة والبرهان الذي يحبه ويرضاه، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي ان أكثرهم مشركين:﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

وقد كان المبدأ في دعوة يوسف إلى توحيد الالهية، مقررا منذ وصية يعقوب عليه السلام لابناءه، فالوصية التي وردت في قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢). فالاية بلا شك تأكيد لما كان عليه أبناء يعقوب عليه السلام من المحافظة على دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وعلى رأسهم يوسف عليه السلام.

وكذلك فإن روايات التوراة فيها إشارة إلى دعوة يوسف إلى توحيد الالهية، فقد جاء في كتاب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس لأحد نصوص سفر التكوين:-

(عندما ظهر موضوع الأحلام وجه يوسف نظر الجميع إلى الله فبدلا من استغلال الموقف ليبين صلاحه حوله إلى شهادة قويه لله وأحد أسرار الشهادة الفعالة هو انتهاز الفرص للربط بين الله واختبار الشخص الآخر فعندما تحين الفرصة يجب أن تكون لدينا الشجاعة لنتكلم مثلما تكلم يوسف....

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٣

(٢) سورة البقرة آية ١٣٣

عندما أطلق سراح الساقي من السجن نسي يوسف رغم أنه كان عليه أن يشكر يوسف من أجل جريمته ولم تتح الفرصة ليوسف ليتحرر من السجن إلا بعد سنتين كاملتين ولكن إيمان يوسف كان عميقا كما كان مستعدا عندما حانت الفرصة التالية وعندما نحس بأننا أهملنا أو نسينا فيجب ألا نتعجب من جحود الناس بل يجب علينا في مثل هذه المواقف أن نتكل على الله كما فعل يوسف فقد تكون هناك فرص أكثر في انتظارنا). (١)

والمعنى السابق صحيح من حيث ان لفت النظر إلى الله هو الذي له الحق في العبادة، دون سواه والافراد دون سواه من المعبودات، حتى من الرسل الذين هم المصطفين من عند الله عز وجل، وهذا معلم ظاهر في دعوة يوسف عليه السلام إلى التوحيد.

ثالثا: وضوح توحيد الربوبية والدعوة إليه:

قال تعالى: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (٢) إن الربوبية الحقة التي يتفرد بها الله عز وجل دون سائر المعبودات، ظاهرة في دعوة يوسف عليه السلام، فقد وردت كلمة الرب حسب الضمائر المتعلقة بها سواء كانت بضمير المتكلم أو المخاطب أو الغائب لتبين أن هذا اللفظ خاص بالله عز وجل دون سواه، حيث وردت هذه الكلمة إحدى عشر مرة أو أكثر، وفيها يتبين أن مفهوم الربوبية ظاهر لدى يوسف عليه السلام، وإن المتأمل في قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم يجد أن يوسف عليه السلام يحدد معنى كلمة الرب، وأنها لا ينبغي أن تطلق إلا على الله سبحانه وتعالى، فعند قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٣) قصد يوسف بقوله ربي الله عز وجل، ولا أحد سواه. ولا يصح أن يقال أن الضمير في

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ١٠٣-١٠٤

(٢) سورة يوسف آية ٣٩

(٣) سورة يوسف آية ٢٣

قوله: ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ ﴾ يعود للرجل الذي اشتراه من مصر، وحاشا ليوسف أن يتخذ ربيـن، وإن كان قد خالف في تفسير معنى الرب هنا عدد من العلماء والمفسرين، وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1]

فالمتأمل في كلمة رب من بداية السورة إلى نهايتها، يجد أن استخدامها من قبـل يوسف عليه السلام ينصرف مباشرة إلى الله عز وجل لا إلى غيره، فقد قـال يعقـوب مخاطبا يوسف عليهما السلام في أوائل السورة:

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2]. فرب يوسف هو الله رب العالمين الذي اجتباه وأراه البرهان الذي صـرف بـه عنـه السوء، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [3] وهو ربه الذي استغاث به من كيد النسـوة عندمـا قـال: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [4] وهو ربه السميع العليـم الـذي استجاب له عند وعادة حيث قال تعالى:

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [5] وهـو ربـه الذي دعا إليه صاحبي السجن ، إذ سفه ما كانوا يعبـدون من دونه فقـال لـهما: ﴿

(١) أنظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله ١١١/١٥-١٣٠

(٢) سورة يوسف آية ٦

(٣) سورة يوسف آية ٢٤

(٤) سورة يوسف آية ٣٣

(٥) سورة يوسف آية ٣٤

والمتتبع لصفات الله الواردة على لسان يوسف عليه السلام في سورة يوسف، يجد عددا ليس بالقليل، منها: العلم والحكمة والمنة والقهر والحكم والمغفرة والرحمة والعدل واللطف والمشيئة والخلق والولاية والإماتة وغيرها، فهذه الصفات تدل على أسماء الله عز وجل وصفاته الحسنى، مما يجعلنا نحكم على دعوة يوسف بالوضوح في تعليمه للناس صفات ربهم ومعبودهم الحق. بل إن ألفاظ التوراة تنص على وصف يوسف عليه السلام لربه بأنواع من الصفات التي لا تطلق إلا له سبحانه وتعالى، مثل علم الغيب والقدرة النافذة والحكمة وغيرها، فقد جاء في كتاب السنن القويم في تفسير العهد القديم:-

(ليس من يعبره.... إلخ، كان في ذلك العصر رجال يعلمون تفسير الأحلام ويتخذون ذلك عملا خاصا وكانوا يسمون سحره وحكماء، ولم يكن أحد منهم في السجن ليفسر حلمي الساقي والخباز ولكن يوسف نفى قدرة الناس على تفسير الأحلام، وأثبت أن ذلك لا يعلمه إلا الله) [1]

وجاء فيه أيضا:

(ولذلك ما لبث أن أزال خوفهم بأن أبان رضاه عنهم، وأن ما كان منهم لم يكن إلا بعناية الله وإحسانه إليهم وإلى غيرهم من الناس، وأن لله في أحكامه حكما تقصر عن إدراكها الألباب، وأنه لا يقضي إلا بما هو خير، وإن جهل ذلك البشر) [2] وهكذا يتضح أن دعوة يوسف عليه السلام في تأصيل توحيد الأسماء والصفات، والذي هو من أسس توحيد الله، كانت واضحة في منهجه في الدعوة إلى الله، و في ذلك بيان أن دعوة يوسف عليه السلام هي دعوة إلى دين الإسلام الذي ارتضاه الله للعالمين.

خامسا :نبذ الشرك والبعد عن عبادة الأوثان:

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا

(١) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٣٧/١

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٥٦/١

تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ .... الآية﴾ (١)

إن عقيدة الإسلام تقوم على أساسين اثنين:

الأول: الإثبات، وهو إفراد الله سبحانه بالعبادة وحده، وهو توحيد الإلهية، والربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد مضى الحديث عنها.

والثاني: النفي، وهو تنزيه الله عن الشركاء والأنداد، ونفي كل ما يعبد من دونه.

ويوسف عليه السلام حينما خاطب صاحبي السجن ، دعاهما إلى دين الإسلام، وركز من خلال دعوته على هذين الأمرين، فالعبادة لله عز وجل لا تقبل عند الله إلا إذا كانت خالصة له دون سواه، كما ورد في الحديث النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا:(قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه). (٢)

وارجع إلى قول يوسف عليه السلام في دعوته، تجد انه ذكر ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب الأنبياء الحنفاء عليهم الصلاة والسلام، ما تميزت به دعوتهم بقوله: ﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ (٣)

فيؤكد يوسف عليه السلام أنه سائر على دعوة آبائه في نبذ الشرك بجميع أنواعه وصوره، فهو يبين أنه لا يحق ليوسف ولا آبائه الأنبياء أن يتخذوا ندا لله عز وجل في عبادتهم إطلاقا، فقوله: ﴿ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ من للتأكيد في نفي الشرك، وكلمة شيء نكرة في سياق النفي تعم جميع أفراد جنسها، أي لا من كبير ولا صغير ولا من عظيم ولا حقير، بل إن

---

(١) سورة يوسف آية ٣٨-٤٠

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمل غير الله ٢٢٨٩/٤ برقم (٢٩٨٥) وابن ماجه في سننه ١٤٠٥/٢ كتاب الزهد باب الرياء والسمعة برقم (٤٢٠٢) والإمام احمد في مسنده ٤٦٦/٣، ٢١٥/٤

(٣) سورة يوسف آية ٣٨

يوسف عليه السلام يبين أن ترك الشرك هو من فضل الله جل جلاله عليه وعلى آبائه، بل على الناس جميعا، لكن أكثر الناس لا يقدرون عظم نعمة التوحيد. وانظر إليه أيضا حينما يبين سفاهة من يتخذ من دون الله أوثانا كهذه الأرباب الكثيرة المتفرقة التي تعبد من دون الله، وهذا يبين لنا عظم إفراد الله بالعبادة وحده، ولذا عقب على ذكر هذه الأرباب المتفرقة ببيان أنها لا تضر ولا تنفع، وأنه ليس لها من الأمر من شيء، وإنما هي مجرد أسماء أطلقها الجهال على هذه الأوثان ثم اتخذوها أربابا بغير سلطان من الله، بل هي من إيحاء الشياطين إلى أوليائهم نعوذ بالله من الخذلان.

يقول الإمام الرازي رحمه الله في شرحه وتفسيره لتلك الايات:-

(لم قال :" ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء" وحال كل المكلفين كذلك؟

والجواب: ليس المراد بقوله:" ما كان لنا" أنه حرم ذلك عليهم، بل المراد أنه تعالى ظهر اباءه عن الكفر، ونظيره قوله:" ما كان لله أن يتخذ من ولد"

ما الفائدة في قوله:" من شيء"

الجواب: أن أصناف الشرك كثيرة، فمنهم من يعبد الأصنام ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من يعبد العقل والنفس والطبيعة، فقوله:" ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء "رد على كل هؤلاء الطوائف والفرق وإرشاد إلى الدين الحق هو أنه لا موجد إلا الله ولا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله) [1]

إذن، فنفي الشركاء عن الله بجميع أشكالهم وصورهم، من أروع معالم دعوة يوسف إلى التوحيد.

سادسا: سن الشرائع وتقرير الأحكام الشرعية:

إن من أهم معالم دعوة يوسف عليه السلام، هو ما ورد من ذكر بعض الاحكام الشرعية التي تأتي من عند الله عز وجل، وهو ما نسميه بالشريعة التي يأتي بها الرسل والأنبياء من عند الله خالق الأرض والسماء. فعند مراودة امراة العزيز ليوسف، بين

(١) التفسير الكبير للرازي ٦/٤٥٦-٤٥٧

يوسف عليه السلام أن هذا العمل حرام ولا يجوز، وكذلك في مسألة السرقة يبين يوسف عليه السلام بأنها من المنهيات والمحرمات، وهذا في باب المنهيات.

أما في باب الأوامر، يكفينا ما ورد من دعوة يوسف عليه السلام إلى العبادة لله وحده دون سواه، كذلك ما ورد حول تقسيم يوسف للطعام ومواجهة الفقر عن طريق البيع والشراء والتخزين الذي أرساه في اقطار مصر، قال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (١) وقال أيضا: ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢) وقال أيضا:(فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ... قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ... قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ...الآيات﴾ (٣) وقال أيضا:(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا .... الآية﴾ (٤)

إن هذه الأحكام الشرعية هي من الأسس التي تسير عليها الأنبياء في حث الخلق على عبادة الله، ووضع الطريق الصحيح في السير إلى توحيد الله وحده، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :-

---

(١) سورة يوسف آية ٢٣

(٢) سورة يوسف آية ٦٢

(٣) سورة يوسف آية ٧٠-٧٨

(٤) سورة يوسف آية ١٠٠

(كما جاز في شرعه أن يسجد له أبواه واخوته، وكما جاز في شرعه أن يؤخذ السارق عبدا، وإن كان هذا منسوخا في شرع محمد صلى الله عليه وسلم) [١]

فهذا الذي ذكره شيخ الإسلام هي أمثلة من الشريعة والأحكام التي جاء بها يوسف عليه السلام، ويذكر الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره، عند بيان حكم السجود ليوسف عليه السلام ما نصه:-

(قال سعيد بعد جبير [٢] عن قتادة عن الحسن في قوله:"وخروا له سجدا" قال: لم يكن سجودا، لكنه سنة كانت فيهم يومئون برؤوسهم إيماء، كذلك كانت تحيتهم، وقال الثوري[٣] والضحاك [٤] وغيرهما كان سجودا كالسجود المعهود عندنا، وهو كان تحيتهم، وقيل كان انحناء كالركوع ولم يكن خرورا على الأرض، وهكذا كان سلامهم بالتكفي والإنحناء، وقد نسخ الله ذلك كله في شرعنا وجعل الكلام بدلا عن الإنحناء، وأجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجه كان فإنما كان تحية لا عبادة. قال قتادة هذه كانت تحية الملوك عندهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة.

قلت: هذا الإنحاء والتكفي الذي نسخ قد صار عادة بالديار المصرية وعند العجم، وكذلك قيام بعضهم إلى بعض، حتى إن أحدهم اذا لم يقم له وجد في نفسه كأنه لا يؤبه به وأنه لا قدر له، وكذلك إذا التقوا إنحنى بعضهم لبعض عادة مستمرة ووراثه مستقرة، لا سيما عند التقاء الأمراء والرؤساء، نكبوا عن السنن وأعرضوا عن السنن) [٥]

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١٨/١٥

(٢) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي ، حبشي الأصل، اخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر قتله الحجاج سنة٩٥هـ أنظر الاعلام للزركلي ٩٣/٣.

(٣) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري،أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، توفي سنة ١٦١هـ أنظر الأعلام للزركلي ١٠٤/٣-١٠٥.

(٤) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، تابعي جليل، توفي سنة ١٠٥هـ وقيل ١٦٠هـ، الاعلام للزركلي ٢١٥/٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٣/٥-١٧٤

بل إن هذه الشريعة قد جاء ما يؤكدها في التوراة، فقد جاء في سفر التكوين [1] موقف يوسف حينما رفض ما دعته إليه امرأة فطيفار وقد جاء في تفسيره:

(فكيف.. إلخ "أي لا وجه لارتكاب ما سألتنيه" بل هو محرم من وجهين وجه أدبي ووجه ديني) [2]

فهذا نص صريح في بيان أن من شريعة يوسف عليه السلام حرمة الزنا. بل إن يوسف عليه السلام كما جاء في التوراة يبين أن الذي له الشريعة التي يجب العمل بها هو الله، حينما خاف اخوته أن يبطش بهم بعد أن بان الحق وظهر. فقد جاء في سفر التكوين قوله:(لأنه هل أنا مكان الله) [3]

و جاء في تفسير هذا النص:-

(هل أنا مكان الله، أي ما أنا في مقام قاض ومعاقب، وقد دعي القاضي في العبرانية الله لأنه يقضي بشريعة الله وسلطانه) [4]

فهذا النص صريح بأن الأحكام التي يسير عليها الناس ينبغي أن تكون على منهاج الله ورسله الأخيار، مما يدل على سن الشرائع والأحكام هو نوع من الدعوة إلى توحيد الله عز وجل.

سابعا : الآثار التي ظهرت على عدد من الخلق الذين عاصروه:

إن آثار دعوة يوسف عليه السلام في مصر وجهوده في نشر دين الله قد صبغت عددا من الناس الذين اختلطوا به، وإن المتأمل في سيرة يوسف عليه السلام يجد بعضا من هذه الآثار، فمن أولئك الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه وقد تأثروا بدعوة يوسف عليه السلام امرأة العزيز، وكذلك الرجل المصري الذي اشتراه، ونساء المدينة، وساق الخمر للملك، و الحاجب، والخدم الذين كانوا عند يوسف عليه السلام، بل قد تأثر به ملك مصر

(١) أنظر العهد القديم سفر التكوين ٣٩:١-٢٣

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٣٥/١

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٥٠: ١٩

(٤) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٨٢/١

وجميع أهلها، فأنظر مثلا إلى قول امرأة العزيز حينما اتضح الحق وظهر الصدق وظهرت براءة يوسف عليه السلام.

﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

فامرأة العزيز تثبت من خلال حديثها وشهادتها ببراءة يوسف عليه السلام، أنها لم تذكر ذلك إلا لتبين أنها تابت ورجعت عن معصيتها خوفا من الله تعالى، والتمادي في معصيته، وأقرت بخطأها راجية رحمة الله ومغفرته.

وكذلك يظهر أثر دعوة يوسف عليه السلام على نساء المدينة لما طلبن للإدلاء بشهادتهن أمام ملك مصر،حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ ..... الآية﴾ (٢) فنساء المدينة يحلفن على براءة يوسف بالله عز وجل، وما ذلك الا أثر من آثار دعوته عليه السلام على أولئك النسوة.

أما ساقي ملك مصر الذي كان صاحب يوسف في السجن وسمع من يوسف دعوته لتوحيد الله عز وجل، فالظاهر أنه صدق بدعوة يوسف وآمن بها، فعندما طلب ملك مصر تاويل رؤياه خاطب الساقي يوسف بقوله : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ..... الآية﴾ (٣) فهو يثبت الصدق ليوسف عليه السلام، بل يجعله علامة ووصفا دائما لا ينفك عن يوسف عليه السلام، وهذا الوصف ينطبق على كل ماجاء به يوسف عليه السلام من الدعوة إلى التوحيد.

---

(١) سورة يوسف آية ٥١

(٢) سورة يوسف آية ٥١

(٣) سورة يوسف آية ٤٦

أما أثر يوسف عليه السلام على أهل مصر بشكل عام، هو ماحصل من إقامة العدل بين الناس، حتى أصبح ذلك الوصف ظاهرا في سيرة يوسف عليه السلام، وذلك ماصرح به إخوته الذين لم يعرفوه، فهم من الغرباء على ذلك البلد، ومع ذلك قد بان عدله في الرعية حتى عرف ذلك الذين ليسوا من أهل مصر. وأما تأثر ملك مصر بدعوة يوسف عليه السلام فظاهر من خلال التقدير والاجلال والثقة التي كان يكنها ليوسف، وإسناد حكم البلاد وتدبير شئون الدولة ليوسف عليه السلام.

فهذه الآثار التي ظهرت لنا من خلال سيرة يوسف عليه السلام في مصر وأهلها، تعتبر من أهم معالم دعوة يوسف عليه السلام إلى التوحيد الخالص في من أرسل إليهم، حتى أصبحت هذه الآثار معروفة عند الأجيال اللاحقة بعد عصره عليه السلام. ولذا قال مؤمن آل فرعون مبينا الدعوة الصحيحة التي انتشرت في مصر وعرفها أهلها وحكامها على يد يوسف عليه السلام بقوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ... الآية﴾ (١).

وجاء في التوراة ما يبين أثر دعوة يوسف عليه السلام فيمن حوله، فعلى سبيل المثال لا الحصر ورد في سفر التكوين:-

(فقال سلام لكم لا تخافوا إلهكم وإله أبيكم أعطاكم كنزا في عدالكم فضتكم وصلت إلي) (٢)

فهذا القول صريح في بيان الإله الحق الذي ينعم على عباده ويتفضل عليهم بسائر النعم والخيرات، ولذا جاء في تفسير هذا النص:

(إلهكم علم يوسف حاجبه أو أمين بيته أن يقول ذلك أو كان الحاجب قد عرف الحق من تعليم يوسف إياه لكل من في بيته) (٣) وهكذا نرى تأثر الناس في مصر بدعوة يوسف واتخاذهم إياه قدوة وهاديا، وتصديق الكثيرين بنبوته ورسالته وإقرارهم بها.

---

(١) سورة غافر آية ٣٤

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٤٣:٢٣

(٣) أنظر السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٥١/١

ثامنا :الهجرة التي أمر بها يوسف أبويه وجميع أهله إلى مصر:

قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ..... فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (١)

إن دعوة يوسف عليه السلام لأبيه وجميع أهله بالهجرة إلى مصر ودخولها والتنعم بما فيها من الأمن، ينبغي أن ننظر لها بنظرة تختلف عما ينظر إليه أهل الماديات، فالهجرة لم تكن فقط لمجرد التنعم بالعيش هناك، بل لممارسة الدعوة إلي الله عز وجل وإقامة شرعه في أرضه دون مواجهة ضغوط تصد عن دين الله، فمن أهم ما نفهمه من دعوة يوسف لأبيه و أهله للهجرة إلى مصر، هو استحضار الأمن في العبادة وإقامة دين الله دون التعرض للفتن التي تصد عن دين الله، فيوسف عليه السلام يدعوا أباه النبي الكريم إلى الانتقال إلى هذا البلد الذي قد هيأه يوسف لنشر دعوة التوحيد فيه قبل مجيء يعقوب عليه السلام إليه للمشاركة في نشر دين الإسلام في أرض مصر.

وهذا يذكرنا بما حصل لأهل المدينة الذين آمنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الحج، ثم انطلقوا إلى أهلهم في المدينة لنشر الدعوة فيها وتهيئتها قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم إليها لنشر دين الإسلام فيها، وهي ما تسمى بالهجرة النبوية الشريفة. بل إنني أجد بعض نصوص التوارة ما تثبت أن انتقال يوسف عليه السلام إنما كان بأمر الله عز وجل وتقديره، ولهذا فان النظر إلى هذا الانتقال ينبغي أن يكون من باب الامتثال لأمر الله عز وجل في الهجرة لتبليغ دعوة الله للناس، فمن ذلك ما جاء سفر التكوين قوله:-

(فقد أرسلني الله قدامكم ليجعل لكم بقية في الأرض وليستبقي لكم نجاة عظيمة فالآن ليس أنتم أرسلتموني بل الله) (٢)

ولا أجد أحدا من الباحثين قد أشار إلى هذا الأمر، ونظر لانتقال يعقوب وبنيه بما فيهم يوسف عليه السلام إلى مصر من باب الهجرة وتبليغ دعوة الله عز وجل، وأنه بأمر الله

---

(١) سورة يوسف آية ٩٣-٩٩

(٢) العهد القديم سفر التكوين ٤٥:٧-٨

سبحانه وتعالى، وهو ما ينبغي أن يظن بأنبياء الله ورسله، الذين كرسوا كل حياتهم لدعوة الناس الى دين الله وعبادته.

تاسعا : ماحصل منه في طلبه الإمارة والحكم:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ (١)

إن من أهم معالم دعوة يوسف عليه السلام ما حصل منه في طلبه للإمارة والحكم على البلاد، وذلك بعدما عرض عليه ملك مصر أن يحدد أي مكان في الدولة لتولي إدارته ورئاسته، فاختار يوسف عليه السلام موقعا يحظى من خلاله بالدعم القوي الذي يستطيع من خلاله تبليغ دعوة الله للناس جميعا، فلم يكن قصد يوسف في طلبه للإمارة الدنيا، وإنما دافعه الأول كان دعوة الناس إلى دين الله، وهذا ما حصل بالفعل، حتى اشتهر عليه السلام في مدة حكمه بإقامة العدل والإنصاف والتصدق والإحسان، وانتشرت سيرته العطرة في الآفاق، حتى قصده الناس في البلاد المجاورة لمصر.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :-

(وقوله :"أذكرني عند ربك" مثل قوله لربه:"اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" فلما سأل الولاية للمصلحة الدينية، لم يكن هذا مناقضا للتوكل ولا هو من سؤال الإمارة المنهي عنه) (٢)

وقد جاء في التوراة ما يؤكد أن تولي يوسف عليه السلام للحكم إنما هو بتقدير الله عز وجل وحكمته لإحلال العدل والخير للناس جميعا، فقد جاء في سفر التكوين في رد يوسف عليه السلام على اخوته قوله:

---

(١) سورة يوسف آية ٥٤-٥٧

(٢) مجموع فتاوى ورسائل شيخ الإسلام ابن تيميه ١١٤/١٥

(فقال لهم يوسف لا تخافوا لأنه هل أنا مكان الله أنتم قصدتم لي شرا أم الله فقصد به خيرا لكي يفعل كما اليوم- ليحي شعبا كثيرا) [1] وجاء في شرح هذا النص ما يلي:-

(أنتم قصدتم ... وأما الله فقصد: أي أن الله بعنايته جعل ما قصدتموه من الشر خيرا)[2]

ان تلك الإمارة التي تولاها يوسف عليه السلام إنما كانت باختيار الله عز وجل وتوفيقه، ومن خلالها قام يوسف عليه السلام بإحلال العدل والقسط بين الناس، حتى أصبح علما ومثالا يقتدى به في إصلاح الرعية، ومن أهم ما تصلح به الرعية إصلاح عقائدهم وأخلاقهم.

عاشرا: وضوح عقيدة الآخرة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [3]

وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [4]

وقال تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [5].

---

(١) سفر التكوين ٥٠: ١٩-٢٠

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٨٢/١

(٣) سورة يوسف آية ٣٧

(٤) سورة يوسف آية ٥٦-٥٧

(٥) سورة يوسف آية ٣٧

إن هذه الآيات تبين لنا معلما اخر من معالم دعوة يوسف عليه السلام لقومه، وهو الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من حساب وجنة ونار، ولا شك أنه قد أخبرهم عن البعث والاعتقاد بأن الله سوف يبعثهم مرة أخرى بعد أن يصبحوا ترابا، ولذا نجد في قوله لصاحبي السجن: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١) إنكار ظاهر لعقيدة أولئك الكفار الذين لا يعتقدون بالبعث والنشور.

وإن عقيدة الإيمان باليوم الآخر التي جاءت على ألسنة الرسل دائما تكون مرتبطة بعقيدة الإيمان بالله وحده، ولذا نجد يوسف عليه السلام يؤكد هذه الدعوة حتى أصبح يوسف عليه السلام ممن شهد له الله بالمكانة العالية في الآخرة، وأنه من المحسنين الذين لن يضيع الله أجرهم يوم القيامة، لأن الجزاء من جنس العمل. فيوسف عليه السلام كان كثير التذكير بالآخرة، وظهر هذا جليا عندما طلب من اخوته بعد اتضاح الحقيقة، الاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۝ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٢) فالتوبة والاستغفار لا يمكن أن يكون لهما معنى إلا بعد الإيمان باليوم الآخر ايمانا ومتحققا في القلوب، يقول الأستاذ الدكتور/ الحاج محمد وصفي في حديثه عن دعوة يوسف للإيمان باليوم الآخر ما نصه:-

(ولا شك أن يوسف كان يدعو قومه إلى الإيمان بالآخرة وما فيها من حساب وجنة ونار، ولا شك أنه أخبرهم عن البعث وأن الله سوف يخلقهم مرة أخرى بعد أن يصيروا ترابا، وأننا لنستنتج هذا كله من قوله للفتيين اللذين دخلا معه السجن: ".. إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون" فالمؤمنون بالآخرة هم الذين يؤمنون بالساعة والحياة البرزخية والقيامة والبعث والحساب والجنة والنار والخلود فيهما، على ما جاء في رسالات جميع الأنبياء السابقين وعلى وجه الخصوص في رسالة آباء يوسف. وفي قول يوسف لربه: "...

(١) سورة يوسف آية ١٠١

(٢) سورة يوسف آية ٩١-٩٢

وألحقني بالصالحين" فيه دليل على أن الصالحين سوف يبعثون وسوف يحيون في الآخرة حياة طيبة في الجنة) [١]

وهذا الذي قرره الدكتور / الحاج محمد وصفي هو عين الصواب في وضوح عقيدة الإيمان باليوم الآخر عند يوسف عليه السلام.

الحادي عشر : الصفات والاخلاق النبيلة التي يتحلى بها:

ومن معالم دعوة يوسف عليه السلام التي نلمسها من خلال كتاب الله عز وجل، هذه الأخلاق النبيلة والصفات الحميدة التي كان يوسف عليه السلام يتحلى بها، فان الأخلاق الحسنة بوابة دعوة الناس إلى الحق والخير ولها أكبر الأثر في جعل الناس يتقبلون دعوة الرسل ويتبعونها، وقد اشتهر يوسف عليه السلام بهذه الصفات عند أهل مصر، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [٢]وقال سبحانه: ﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [٣] وقال أيضا: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [٤] وقال تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [٥] وقال أيضا:

﴿.....نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [٦]

---

(١) الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل ص ١٥٧

(٢) سورة يوسف آية ٣٦

(٣) سورة يوسف آية ٥١

(٤) سورة يوسف آية ٥٤

(٥) سورة يوسف آية ٨٨

(٦) سورة يوسف آية ٥٦-٥٧

فالايات السابقة وغيرها كثير تبين لنا الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة التي كان يتميز بها يوسف عليه السلام حتى أصبحت بوابة له في دعوته للآخرين فالإحسان والكرم والصدق والعفو والتقوى والصلاح، وغيرها من الصفات التي اشتهر بها يوسف عليه السلام، جعلت الذين يختلطون به يعرفون ذلك عنه عن كثب ويتقبلون ما يدعوهم إليه بطمأنينة ورضى. ولا نجد في سيرته عليه السلام ما يغض من منصبه الشريف وأخلاقه الرفيعة، على الرغم من أن بعض روايات سفر التكوين ما يطعن في أخلاقه عليه السلام، وهذه الروايات مردودة لا يمكن أن تقبل بحال، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :-

(ويوسف عليه السلام لم يذكر الله تعالى عنه في القرآن أنه فعل مع المرأة ما يتوب منه أو يستغفر منه أصلا، وقد اتفق الناس على أنه لم تقع منه الفاحشة ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها، مثل ما يذكرون أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الخاتن ونحو هذا، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب، وقد عرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه. والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره، فلو كان يوسف قد أذنب لكان إما مصرا وإما تائبا، والإصرار ممتنع فتعين أن يكون تائبا، والله لم يذكر عنه توبة في هذا ولا استغفارا كما ذكر عن غيره من الأنبياء، فدل ذلك على أن ما فعله يوسف كان من الحسنات المبرورة والمساعي المشكورة كما أخبر الله عنه بقوله تعالى:" إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) [1].

وهكذا نجد أن يوسف عليه السلام قد جعل من هذه الأخلاق النبيلة والصفات الحسنة طريقا وبوابة إلى دعوة الناس جميعا إلى دين الله عز وجل.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل شيخ الإسلام ابن تيميه ١٥/١٤٨-١٤٩

الثاني عشر :عداوة الشيطان والحذر منه:

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢) وقال أيضا: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١)

فمن معالم دعوة يوسف عليه السلام إلى دين الله، الحذر والتحذير من إتباع الشيطان ومكائده، فقد وعى يوسف عليه السلام وصية أبيه يعقوب عليه السلام عندما حذره أن يغري الشيطان بينه وبين اخوته بالحسد وفهم مراده من مغبة السير على خطوات ذلك العدو الرجيم،.

وبعد أن حقق الله له أموره في نهاية المطاف، وأظهر الله الصدق والحق بعد هذه السنين الطويلة من حياته، بين أمام الملأ من الناس بل أمام جميع أهل مصر وبعد أن سجد له اخوته أن سبب العداوة التي حصلت بينه وبين اخوته كانت بسبب ذلك العدو الذي ما فتيء يكيد المكائد لبني الإنسان لإيقاعهم في مهاوي الردى.

وكذلك فإننا نجد عداوة الشيطان للإنسان، في قصة يوسف عليه السلام حينما أوصى يوسف عليه السلام الذي نجى من صاحبي السجن بذكره، فإن الشيطان قد تدخل لصد الساقي عن تذكره ليوسف.

وهكذا فان العداوة بين الإنسان والشيطان موجودة عند سائر الأنبياء، وأن التحذير منها هو من أصول دعوة الأنبياء والرسل إلى الالتزام بدين الله والاستقامة على عبادته، وهذا ما نجده جليا في دعوة يوسف عليه السلام.

---

(١) سورة يوسف آية رقم ١٠٠

الثالث عشر: الثبات على دين الله ولزوم ذلك:

إن الثبات على دين الله والاستقامة عليه، هي من أهم معالم دعوة يوسف عليه السلام، فقد تمثل بها في ذاته وجعل من نفسه قدوة للآخرين قال تعالى: ﴿ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١)

إن هذا الدعاء من يوسف عليه السلام يكشف لنا ثبات يوسف على دين الله والالتجاء إلى الله، وطلب التوفيق على ذلك الثبات، ولذلك فان يوسف عليه السلام يدعو ربه بأن لا يتوفاه إلا وهو على الصراط المستقيم، الذي هو دين الإسلام.

ان دعوة يوسف عليه السلام جمعت بين الإقرار بالتوحيد، والاستسلام للرب، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجل الغايات، وإن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد وطلب مرافقة السعداء. وقول يوسف عليه السلام:

﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ) لم يكن دعاء باستعجال الموت، وإنما دعاء بالثبات على دين الإسلام حتى الممات.(٢)

فهذا المعلم التي ينبغي الإشارة إليه والتأكيد على أهميتها ليكون يوسف عليه السلام قدوة لغيره في طلب الثبات ولزوم الإستقامة على دين الله حتى الممات.

وبعد فتلك هي أهم معالم دعوة يوسف عليه السلام إلى توحيد الله الخالص، وإلى الإلتزام بدينه وصراطه المستقيم، وتتضمن هذه المعالم إشارات قوية وظاهرة على بيان معنى النبوة التي تحملها يوسف عليه السلام وبلغها للناس،فعليه صلاة الله وسلامه.

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٠

(٢) أنظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٤٣٨/٢

الفصل الثاني

إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن

المبحث الأول:-

ويشمل أسماءهم وعددهم وأنسابهم وسيرتهم.

المبحث الثاني: -

إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام ودعوى الأسباط.

المبحث الأول: ويشمل أسماءهم وعددهم وأنسابهم وسيرتهم:

لم يرد في القرآن الكريم ذكر لاسماء ابناء يعقوب عليه السلام الإحدى عشر غير يوسف، وذلك، عند ذكر وصية يعقوب عليه السلام لأبناءه. واما اسماء الأسباط، وهل هم أخوة يوسف عليم السلام أم لا؟ فسوف يأتي الحديث عنهم في المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله.

أما في التوراة فقد ورد ذكر أخوة يوسف عليه السلام بأسمائهم، بل حتى أعدادهم وأنسابهم وشيء من سيرهم. وسبق ان تحدثنا عن ولادتهم في الباب الأول[1] عند كلامنا عن يعقوب عليه السلام وزوجاته وأبنائه منهن، وسنذكر هنا ماله علاقة بهذا المبحث، اي بيان أسمائهم وعددهم وأنسابهم وسيرتهم إجمالا، فجاء في سفر التكوين ما نصه:

(ورأى الرب أن ليئة مكروهة ففتح رحمها، وأما راحيل فكانت عاقرا فحبلت ليئة وولدت إبنا ودعت إسمه روآبين، لأنها قالت: إن الرب قد نظر إلى مذلتي أنه الآن يحبني رجلي، وحبلت أيضا وولدت إبنا وقالت: إن الرب قد سمع أني مكروهة فأعطاني هذا أيضا فدعت إسمه شمعون. وحبلت أيضا وولدت إبنا وقالت: الآن هذه المرة يقترن بي رجلي لأني ولدت له ثلاثة بنين لذلك دعي إسمه لاوي. وحبلت أيضا وولدت إبنا وقالت: هذه المرة أحمد الرب لذلك دعت اسمه يهوذا، ثم توقفت عن الولادة.

فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غارت راحيل من أختها وقالت ليعقوب: هب لي بنين وإلا فأنا أموت. فحمي غضب يعقوب على راحيل وقال: لعلي مكان الله الذي منع عنك ثمرة البطن، فقالت: هوذا جاريتي بلهة أدخل عليها فتلد على ركبتي وأرزق أنا أيضا منها بنين. فأعطته بلهة جاريتها زوجة، فدخل عليها يعقوب فحبلت بلهة، وولدت ليعقوب إبنا، فقالت راحيل: قد قضى لي الله وسمع أيضا لصوتي وأعطاني إبنا لذلك دعت إسمه دانا وحبلت أيضا بلهة جارية راحيل، وولدت إبنا ثانيا ليعقوب فقالت راحيل: مصارعات الله قد صارعت أختي وغابت فدعت إسمه نفتالي، ولما رأت ليئة

(١) انظر ص ٥١-٥٥

أنها توقفت عن الولادة أخذت زلفة جاريتها وأعطتها ليعقوب زوجة. فولدت زلفة جارية ليئة جاد، ثم ولدت إبنا ثانيا ليعقوب فقالت ليئة: بغبطتي لأنه تغبطني بنات فدعت إسمه أشير. ومضى روآبين في أيام حصاد الحنطة فوجد لفاحا في الحقل وجاء به إلى ليئة أمه، فقالت راحيل لليئة: أعطني من لفاح أبنك، فقالت لها: أقليل أنك اخذت رجلي فتاخذين لفاح إبني أيضا، فقالت راحيل: إذا يضطجع معك الليلة عوضا عن لفاح ابنك. فلما أتى يعقوب من الحقل في المساء خرجت ليئة لملاقاته وقالت: إلي تجيء لأني قد أستأجرتك بلفاح إبني. فاضطجع معها تلك الليلة، وسمع الله لليئة فحبلت وولدت ليعقوب إبنا خامسا، فقالت ليئة: قد أعطاني الله أجرتي لأني أعطيت جاريتي لرجلي، فدعت إسمه يساكر، وحبلت أيضا ليئة وولدت إبنا سادسا ليعقوب، فقالت ليئة: قد وهبني الله هبة حسنة، الآن يساكنني رجلي لأني ولدت له ستة بنين، فدعت إسمه زبولون، ثم ولدت إبنة ودعت أسمها دينة، وذكر الله راحيل وسمع لها وفتح رحمها فحبلت وولدت إبنا، فقالت: قد نزع الله عاري وجعلت إسمه يوسف قائلة: يزيدني الرب إبنا آخر) [1]

وجاء ذكر الإبن الثاني عشر وحده من أبناء يعقوب عليه السلام في سفر التكوين:-

(ثم رحلوا من بيت إيل، ولما كان مسافة من الأرض بعد حتى باتوا إلى أفراته ولدت راحيل وتعسرت ولادتها، وحدث حين تعسرت ولادتها أن القابلة قالت لها: لا تخافي لأن هذا أيضا ابن لك، وكان عند خروج نفسها لأنها ماتت، إنها دعت إسمه بن أوني وأما أبوه فدعاه بنيامين) [2]

ففي هذين النصين ذكر لأبناء يعقوب وأسماءهم وسبب تسميتهم، وسنتكلم في هذا المبحث عن أربعة مسائل:

---

(١) سفر التكوين ٢٩: ٣١-٣٥ و ٣٠: ١-٢٤

(٢) سفر التكوين ٣٥: ١٦-١٨

الأول: أسماؤهم:

ذكرنا من قبل أنه لم يرد في القرآن الكريم ذكر صريح لأسماء أبناء يعقوب إلا يوسف عليه السلام، أما التوراة فقد نصت صراحة على إسم كل واحد منهم، وكل المفسرين وكتاب التاريخ الذين ذكروا أسماء أبناء يعقوب اعتمدوا في ذلك على الروايات الإسرائيلية، منهم الإمام الطبري رحمه الله تعالى، حيث يقول مبينا أسماء أبناء يعقوب عليه السلام:-

(ونكح يعقوب بن إسحاق وهو إسرائيل إبنة خاله ليئا إبنة لابان بن بتوئيل بن ألياس، فولدت له روبيل بن يعقوب، وكان أكبر ولده، وشمعون بن يعقوب ولاوي بن يعقوب ويهوذا بن يعقوب وزبالون بن يعقوب ويسحر بن يعقوب ودينة ابنة يعقوب، وقد قيل في يسحر أن إسمه يشحر. ثم توفيت ليئا بنت لبان فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت لبان بن بتويل بن الياس فولدت له يوسف بن يعقوب وبنيامين بن يعقوب وهو بالعربية شداد، وولد له من سريتين اسم أحداهما زلفة وإسم الأخرى بلهة أربعة نفر، دان بن يعقوب ونفثالي بن يعقوب وجاد بن يعقوب وأشر بن يعقوب فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا) [1].

وهذه الأسماء لها معاني كما جاء النص فيها، فروابين الإبن البكر يعني أن الرب قد رأى مذلة ليئة فرحمها وفتح رحمها بالأبناء. وأما شمعون فمأخوذ من السمع، بأن الله عز وجل قد سمع أنها مكروهة فأعطاها من البنين لينقذها من ذلك. وأما لاوي الإبن الثالث فمأخوذ من الإقتران، بمعنى أن يعقوب عليه السلام سيقترن بها نتيجة هؤلاء الأبناء. وأما يهوذا الإبن الرابع فمأخوذ من الحمد، أي أنها تحمد الله عز وجل على هذه النعم، وأنه جعلها سلف لنسل يعقوب عليه السلام. أما الأبناء الآخرين فهم دان، بمعنى أن الله سمع لراحيل ورزقها إبنا لجاريتها بمعنى القضاء. وأما الإبن السادس نفتالي من أبناء جارية راحيل، فمأخوذ من المصارعة أي انها قد صارعت أختها ليئة وغلبتها. وأما الإبن السابع فجاد، أي جدة، أي توفيق أو اقبال. والإبن الثامن

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري ١٩٤/١

أشير مأخوذ من معنى سعادة، وأما الإبن التاسع وهو من أبناء ليئة يساكر، ومعناه من الأجرة، وذلك حينما أعطت راحيل لفاح ابنها. وأما الإبن العاشر وهو أيضا من أبناء ليئة فهو زبولون فلعله مأخوذ من صداق ليلة أو مهر ليلة وقد قيل غير ذلك في معناه. وأما إبنة ليئة دينه فمعناه من القضاء والحكم. وأما أبناء راحيل الذين جاءوا متأخرين فهم يوسف، ومعناه الزيادة وهو الحادي عشر من أبناء يعقوب عليه السلام. وأما الإبن الثاني عشر فهو بنيامين، ومعناه من إبن اليمين لا للتفاؤل بالقوة بل لبيان أن هذا الابن الأخير ذو قيمة عظيمة عنده، وقد ذكر معاني هذه الأسماء شراح التوراة كما في كتب اليهود والنصارى . (١)

الثاني: أعدادهم:

ورد ذكر عدد أبناء يعقوب عليه السلام في قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف من القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ (٢) ثم قال في نهاية السورة:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ (٣)

فهاتان الآيتان تبينان لنا أن أبناء يعقوب عليه السلام أحد عشر ويوسف الثاني عشر، فهم إثنا عشر ذكرا. ولم يبين عدد الإناث من أبنائه، أما التوراة فقد نصت على أن عددهم إثنا عشر رجلا كما مر معنا في بيان أسمائهم. وأما البنات فلم تذكر التوراة إلا بنتا واحدة وهي "دينه" وهناك نص آخر في التوراة في سفر التكوين الإصحاح السابع والثلاثين جاء فيه:(فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال: إني

(١) أنظر السنن القويم في تفسير العهد القديم ١/١٩٦-٢١٨ وغيره.

(٢) سورة يوسف آية ٤

(٣) سورة يوسف آية ١٠٠

أنزل إلى ابني نائحا إلى الهاوية وبكى عليه أبوه). [1] مما يعني أن ليعقوب عليه السلام عدد من البنات وليست بنتا واحدة، كما ، ولذا جاء في شرح هذا النص على النحو التالي:-

(جميع بنيه وجميع بناته المرجح أنه كان له عدة بنات من ليئة والجاريتين ولكن لم تذكر واحدة منهن سوى دينه) [2]

وعلى أي حال فان عدم ذكر بنات يعقوب عليه السلام لا يدل على عدم وجود البنات، فقد يقال أن ما ذكر في النص السابق يشمل جميع بنيه وبناته من صلبه وأبناء أبنائه، أو يقال ذكر البنات بلفظ الجمع جاء على سبيل التغليب، فالجمع هنا يشمل بين دينه وزوجات يعقوب عليه السلام، والله أعلم عن عدد بناته على سبيل الحصر.

إذن فإن أبناء يعقوب عليه السلام الذين من صلبه هم إثنا عشر رجلا، وقد تكاثر هؤلاء الأبناء حتى أصبح عددهم مع يعقوب ويوسف عليهما السلام سبعون رجلا كما جاء ذلك موضحا في سفر التكوين:

(جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صلبه ما عدا نساء بني يعقوب جميع النفوس ست وستون نفسا وإبنا يوسف اللذان ولدا في مصر نفسان فجميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون) [3]

وثار حول هذه الاعداد وعن مدى صحتها جدل، وضحه الامام ابن حزم رحمه الله بقوله:-

(قال "أبو محمد" رضى الله عنه: هذا خطأ فاحش لأن للمجتمع من الأعداد المذكورة تسعة وستون، فإذا أسقطت منهم ولدي يوسف اللذين ولدا له بمصر بقى سبعة وستون وهو يقول: ستة وستون فهذه كذبة، ثم قال: فجميع الداخلين معه إلى مصر سبعون فهذه كذبة ثانية. وقد قلنا أن الذي عمل لهم التوراة كان ضعيف البصارة بالحساب، وليست

(١) سفر التكوين ٣٧: ٣٥

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢٢٩/١

(٣) العهد القديم سفر التكوين ٤٦: ٣٦-٣٧

هذه صفة الله عز وجل ولا صفة من معه مسكة عقل تردعه عن الكذب، وتعمده على الله تعالى وعن تكلف ما لا يحسن ولا يقوم به) [1]

وهذا التعقيب من الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى يحتاج إلى مزيد من التحقيق، فان الذي بين أيدينا من نصوص تبين أن عدد أبناء يعقوب عليه السلام سواء كانوا من صلبه أو من أحفاده سبعون نفسا فصلها صاحب السنن القويم في قوله:-

(وجدول الآباء الإثنى عشر جاء ثلاث مرات في الكتاب المقدس. الأول هنا والثاني في عد "سفر العدد" ص ٢٦ والثالث في ااي "سفر الايام الاول" ص ا-ص ٨ راوبين كان لراوبين أربعة بنين حنوك وفلو وحصرون وكرمي، واتفق على ذلك الجداول الثالثة، شمعون له ستة بنين على ، لاوي له ثالث بنين جرشون وقهات ومراري ، يهوذا له خمس بنين منهم عير وعنان ماتا في أرض كنعان، وأسماء الثلاثة الباقين شيلة وفارص وزارح وفارس هذا له حصرون وحامور، ويساكر له أربعة بنين، وزبلون له ثلاثة سارد وايلون ياحلئيل، جميع نفوس ثلاثة وثلاثون ذكر أسماء ست بنين وثلاثة وعشرين حفيدا وابني حفيد ودينه ويعقوب نفسه، أما جاد أكبر أبناء زلفة له سبعة بنين ، وأشير له أربعة بنين وهؤلاء بنو زلفة التي أعطاها لابان لليئة ابنته، فولدت هؤلاء ليعقوب، ستة عشرة نفسا يدخل فيهم حفيدان وسارح وأما أبناء راحيل يوسف فله منسي وافراي ، وبنيامين فله عشرة بنين فأبناء راحيل أربعة عشرة نفسا وأبناء بلهى دان وله إبن واحد هو حوشيم ، ونفتالي وبنوه أربعة فجميع أبناء بلهى سبعة أنفس جميع النفوس ست وستون ماعدا يعقوب ويوسف وإبنيه، فيكون المجموع سبعين على مافي ع"سفر العدد" ص٢٧ وزيد في السبعينية خمسة حفدة في ع ٢٠ فصار الجميع خمسة وسبعين، كما قال استفانوس مقتبسا منها.) [2].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/٢٤٢-٢٤٣

(٢) أنظر السنن القويم في تفسير العهد القديم ١/٢٦٠-٢٦٤

فالأعداد المذكورة تسعة وستون نفسا بما فيهم يعقوب عليه السلام، ودينه تكمل السبعون نفسا من أبناء يعقوب المنصوص عليهم في سفر التكوين، وعلى كل فإن التحريف الذي يطرأ على التوراة من حين إلى آخر قد يكون هو السبب في اختلاف الأعداد ، وإن كانت هذه المسألة تحتاج إلى مزيد من التحقيق والإيضاح، ولكن ليس هذا مجال الاستقصاء حولها، وإنما المقصود ذكر عدد أبناء يعقوب عليه السلام إجمالا، والله أعلم.

الثالث: أنسابهم:

إن الحديث عن أنساب أبناء يعقوب عليه السلام أمر ظاهر، فإن النسب يعني عندنا في القرآن الكريم ذكر إسم الإنسان ومن تفرع منه من آباءه وأجداده، ولا خلاف في نسب أبناء يعقوب عليه السلام فهم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولكن التوراة تحاول أن تثير في مسألة النسب ذكر أمهات الواحد وليس ذكر آباءه وأجداده، فإن اليهودي هو الذي يمتد نسبه من جهة أمه إلى بني إسرائيل، ولذلك فالتوراة تركز على أن نسب الأسباط من بني إسرائيل كون أمهاتهم من الأمة الإسرائيلية، فتروي التوراة المحرفة في سفر التكوين قصة زواج إسحاق من رفقة بنت بتوئيل ابن ملكة التي ولدت لناحور، ذلك أن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام أبى أن يزوج إسحاق من بنات الكنعانيين خوفا من أن يعبد الأصنام، لو تزوج واحدة منهن، ومن ثم فقد أرسل خادمه أليعاذر الدمشقي إلى أرضه وعشيرته في فدان آرام ليأتي لإسحاق بزوجة من هناك، كما ورد في سفر التكوين. (١)

وإن المفسرين للتوراة يبينون أن هذا الفعل من أبي الأنبياء عليه السلام، لأنه أراد الإحتفاظ بنقاء الدم في أسرته، وقد عرف مافي الزواج المختلط من متاعب ومشاكل، فآثر أن يختار لولده زوجة من أهله وعشيرته وقومه، وكان قد انتهى إليه أن لناحور أخي إبراهيم حفيدة في سن موافقة لإسحاق.

وكذلك يفسر شراح التوراة ما حدث ليعقوب عليه السلام حينما أرسلته أمه رفقه إلى خاله لابان لأجل أن يتزوج من بناته، وإلا يفعل كما فعل أخوه عيسو حينما تزوج

(١) أنظر العهد القديم سفر التكوين ٢٤: ١-٦٧

من الأجنبيات، وهذا التفسير إنما يتجه إلى تمييز العبرانيين عن غيرهم من أبناء إبراهيم الخليل، ويتصل إتصالا وثيقا بأسطورة الشعب المختار. لكن هذا التفسير لا يصح، فإن الخليل نفسه إنما تزوج من قبل بمصرية هي "هاجر" كما تزوج من بعد بقطورة الكنعانية، وبحجورة العربية، هذا فضلا عن بكره إسماعيل، قد تزوج طبقا لرواية التوراة من امرأة مصرية، بل إن إدعاء المحافظة على نقاء الدم لم يحافظ عليه بنو إسرائيل أنفسهم أبدا.

وقد تكلم الأستاذ الدكتور/سعيد عبد السلام العكش في موضوع نسب اليهود المعاصرين ليعقوب والأسباط هل هو حقيقة أم خيال؟ فقال:-

(ولو حاولنا جدلا أن نطبق المفهوم الإسرائيلي عن هوية اليهودي وهو الذي تلده امرأة يهودية على أغلب أسباط إسرائيل، لأخرجناهم من الهوية الإسرائيلية، لأن أيا منهم لم تلده امرأة إسرائيلية بالمعنى التوراتي للكلمة. فسفر التكوين يخبرنا أن يعقوب أنجب اثني عشر ولدا من الذكور وأنثى واحدة هي دينه، ولم يقل أحد أن هؤلاء الأبناء الإثني عشر جلبوا لهم زوجات من أرض الرافدين، كما فعل أبواهم يعقوب وإسحاق فمن أين اتخذوا زوجاتهم إذن؟

وفيما يتصل بيهوذا ذكرت أسفار "العهد القديم" أنه اتخذ امرأة كنعانية زوجة، كما تزوج شمعون الإبن الثاني ليعقوب من كنعانية أيضا، أما سائر اخوته عدا يوسف الذي حملته السيارة إلى مصر وهو فتى فقد أغفلت أسفار "العهد القديم" هوية النسوة اللواتي اتخذوهن زوجات، والراجح أنهن لسن من بني إسرائيل، فلم يكن أمام بني يعقوب الا أن يتزوجوا من بنات الكنعانيين، وإلا فلا يمكن أن نفهم كيف تكاثروا وصاروا سبعين نفسا كما ورد في سفر التكوين. أما يوسف فقد اتخذ زوجة مصرية هي أسنات بنت فوطي فارع كاهن أون، عين شمس الحالية، وولدت له منس وافرايم، وقد تزوج كل منهما بالتأكيد من مصريات أيضا بحكم انتساب أمهما إلى الكاهن الأكبر، ولم

يكن هناك مانع من زواج إخوة يوسف من مصريات أيضا، فلا يمكن أن يحافظ هذا العدد القليل الذي جاء إلى مصر ولم يتجاوز السبعين على بقائه مئات السنين) [1]
فإذن يتضح لنا من خلال ما ذكرنا أن دعوى نقاء الدم في بني إسرائيل غير متحققة تفتقر للصحة، أما القرآن الكريم فلم يشر من هي أم أبناء يعقوب عليه السلام، وإنما ذكر أن يوسف وبنيامين من أم واحدة وأن باقي الإخوة فهم إخوة من الأب فقط، فقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ .....﴾ [2]

فدلت الآية على أن الإخوة إنما اخوتهم من الأب دون الأم، ولم نعلم أسماء الأمهات أو ممن ينحدرون، إلا من خلال ما ذكر من الروايات الإسرائيلية المعتمدة في أصلها على التوراة، والله أعلم بصحتها. كما نؤكد أن النسب الذي ينبغي أن يعلم هو نسب الرجل من جهة صلبه، وهم الآباء والأجداد وليس من جهة الأمهات، فالنسب لهم من هذه الجهة، أي جهة الآباء ليس فيه خلاف ولله الحمد.

الرابع: سيرتهم:

إن الحديث عن سيرة أبناء يعقوب عليه السلام يشمل الحديث عن أخلاقهم، وما حدث لهم في حياتهم، والقرآن الكريم لم يذكر من سيرتهم إلا من خلال حديثه عن يوسف عليه السلام، ومنها يمكن أن نستنتج بعضا من أخلاقهم وصفاتهم قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [3] وقال سبحانه: ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ

(١) مجلة الفيصل العدد ٢٠٣ ص ١٦

(٢) سورة يوسف آية ٥٩

(٣) سورة يوسف آية ٥

بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ) [1] وقال أيضا: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [2] وقال أيضا: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [3] وقال أيضا: ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [4] وقال أيضا: ﴿(فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ) [5] وقال أيضا: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [6] وقال أيضا: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾. [7]

فهذه الآيات هي أهم الآيات التي ورد فيها ذكر أبناء يعقوب عليه السلام، فإننا لو تأملنا هذه الآيات لوجدنا أن أخوة يوسف قد اتصفوا بالحسد والحقد واتهام أبيهم يعقوب بالضلال، ومحاولتهم قتل أخيهم يوسف بالقاءه في الجب، كما اتصفوا ايضا بالكيد

(١) سورة يوسف آية ٨-١٠
(٢) سورة يوسف آية ١٥-١٨
(٣) سورة يوسف آية ٦٩
(٤) سورة يوسف آية ٧٧
(٥) سورة يوسف آية ٨٠
(٦) سورة يوسف آية ٩١-٩٢
(٧) سورة يوسف آية ٩٧-٩٨

والخيانة والكذب، وكلها صفات سيئة مشتركة بينهم جميعا [1] إلا أننا نشير هنا إلى أمرين:

الأول: أن كبيرهم كان أقل منهم اتصافا بها، حتى إنه كان يدافع عن يوسف عليه السلام، ويحاول تخفيف شدة حقد وحسد إخوته عليه، وهو الذي اعترف صراحة في نهاية المطاف لما أخذ بنيامين في عهدة ملك مصر .

الثاني: أن بنيامين كان بريئا من هذه الأفعال جميعا، ولا يتفق معهم في جميع هذه الصفات، بل إننا نجد أنه كان يتحمل من إخوته كثير من المضايقات وسوء المعاملة.

تلك أهم الملامح التي نستقيها من القرآن الكريم في صفات أبناء يعقوب عليه السلام، كما سنبين أن أبناء يعقوب عليه السلام قد اعترفوا في نهاية القصة بالتقصير والخطأ فتابوا إلى الله من جميع الذنوب التي إقترفوها، بل إنهم استغفروا الله عز وجل وطلبوا من يوسف ويعقوب عليهما السلام أن يستغفرا لهم.

ويورد الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسير قول يعقوب: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ ﴾ عدة أقوال:-

(الأول: أراد أن يستغفر لهم في وقت السحر، لأن هذا الوقت أوفق الأوقات لرجاء الإجابة.

الثاني: قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية أخرى آخر الاستغفار إلى ليلة الجمعة، لأنها أوفق الأوقات للإجابة.

الثالث: أراد أن يعرف أنهم هل تابوا في الحقيقة أم لا وهل حصلت توبتهم مقرونة بالإخلاص التام.

---

(١)وللاستزادة أنظر ما سطره فضيلة الدكتور/ صابر طعيمه في كتابه بنو إسرائيل بين نبا القرآن الكريم وخبر العهد القديم ص ١٤٧-١٥٤

الرابع: استغفر لهم في الحال وقوله: "سأستغفر لكم" معناه أني أداوم على هذا الاستغفار في الزمان المستقبل فقد روي أنه كان يستغفر لهم في كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة، وقيل قام إلى الصلاة في وقت، فلما فرغ رفع يده إلى السماء، وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عليه، واغفر لأولادي ما فعلوه في حق يوسف عليه السلام، فأوحى الله تعالى إليه قد غفرت لك ولهم أجمعين. وروي أن أبناء يعقوب عليه السلام قالوا ليعقوب وقد غلبهم الخوف والبكاء: ما يغني عنا إن لم يغفر لنا، فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة، حتى قل صبرهم فظنوا أنها الهلكة فنزل جبريل عليه السلام ،وقال: إن الله تعالى أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة"، وقد اختلف الناس في نبوتهم وهو مشهور) [1]

وأيا ما كان الامر فان يعقوب عليه السلام قد استغفر لأولاده بعد اعترافهم بخطأهم وتوبتهم من ذنوبهم، وكذلك فإن يوسف عليه السلام بقلبه الرحيم قد عفى عن إخوته لما بدر منهم وسأل الله لهم المغفرة بقوله: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾.

فهذا أهم ما ورد في سيرة أبناء يعقوب عليه السلام في القرآن الكريم من سورة يوسف، أما التوراة فقد ورد فيها عدة روايات تتحدث عن سيرة أبناء يعقوب بما فيها من تحريف وتزوير، ومن ذلك قصة رؤابين وزناه بسرية أبيه [2] قصة لاوي وشمعون وغدرهم وقتلهم لقوم شكيم بن حمور الحوي، [3]وهذه الحادثة قد تقدم الحديث عنها لأن لها معنى

(١) تفسير الكبير للرازي ٦/٥٠٨-٥٠٩

(٢) أنظر سفر التكوين ٣٥: ٢١-٢٢

(٣) أنظر العهد القديم سفر التكوين ٣٤: ٢٥-٣١

آخر وهو الجهاد في سبيل الله.ودينه التي دنس عرضها بالزنا، [1] يهوذا الذي وقع بالزنا بكنته زوج ابنه، [2].

وقد فند أئمة المسلمين هذه الروايات التي تلطخ بالخزي والعار أبناء يعقوب عليه السلام، فيقول الإمام ابن حزم معلقا على هذه الأكاذيب:-

(ثم قال: وبينا " إسرائيل" بذلك الموضع ضاجع رؤوبين بن ليئة سرية أبيه "بلهة" وهي أم دان ونفثالي، وهما أخواه وأبنا يعقوب، ثم أكد هذا بأن ذكر في قرب آخر السفر الأول ذكر موت يعقوب عليه السلام ومخاطبته لبنيه إبنا إبنا، وأن يعقوب قال لرؤوبين أبنه انك صعدت على سرير أبيك ووسخت فراشه وليس مما ابتذلت فراشيس تخلص" وبعد أن ذكر في توراتهم "أن شكيم" بن حمور الحوي أخذ دينة بنت يعقوب عليه السلام واضطجع معها وأذلها، ثم بعد ذلك خطبها إلى يعقوب أبيها، إلى أن ذكر قتل لاوى وشمعون لحمور وشكيم إبنه، وجميع أهل مدينته وإنكار يعقوب على ابنيه قتلهم لهم. قال أبو محمد رضى الله عنه: معاذ الله أن يخذل الله نبيه ولا يعصمه في حرمة امرأته وابنته من هذه الفضائح ثم لا ينكر ذلك بأكثر من التعزير الضعيف فقط) [3]

وقال أيضا:-

(قال أبو محمد رضى الله عنه: ففي هذا الكلام عار وفضيحة مكذوبة وكذب فاحش مفرط القبح، فأما العار فالذي ذكر عن يهوذا من طلبه الزنى بامرأة لقيها في الطريق على أن يعطيها جديا ثم جوره في الحكم عليها بالحرق، فلما علم أنه صاحب الخصلة أسقط الحكم عن نفسها وعنها. ثم شنعة أخرى وهي قوله: إن أونان بن يهوذا لما عرف أنه لا ينسب إليه من يولد له من امرأته التي تزوجها بعد موت أخيه، جعل يعزل عنها. وهذا عجب جدا أن تلد امرأة رجل من زوجها من لا ينسب إليه، لكن إلى

(١) أنظر العهد القديم سفر التكوين ٣٤: ١-٥

(٢) أنظر العهد القديم سفر التكوين ٣٨: ١٥-٢٧

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٢٣٤/١

غيره ممن قد مات قبل أن يتزوجها هذا، فلعل فيهم الآن ولادات وأنساب في كتبهم مثلى هذه ، فهذه والله أمور سمجة.

ثم أقبح ما يكون من الزنى رجل مع امرأة ولده- حاش لله من هذا الإفك المفترى، ولقد قال لي بعضهم إذ قررته على هذا الفصل أن هذا كان مباحا حينئذ، فقلت له فلم امتنع من مضاجعتها بعد ذلك؟ وكيف يكون مباحا وهي لم تعرفه بنفسها ولا عرفها عند تلك المعاملة الخبيثة بالجدى المسخوط والرهن الملعون؟ وإنما وطئها على أنها زانية إذ اغتلم إليها لا على أنها امرأة الميت ولده، إلا أن قلتم أن الزنى جملة كان مباحا حينئذ فقد قرت عيونكم فسكت خزيان كالحا). [1]

ونحن لا نشك في أن هذه الروايات ملفقة مكذوبة محرفة من وضع كفرة اليهود، ولا يمكن بحال من الأحوال. ولكن بقي أن نشير إلى وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه الاثنى عشر قبل وفاته، وفيها بيان لصفات أبناء يعقوب عليه السلام إجمالا وقد ورد تلك الوصية في سفر التكوين. [2] وفيها صفة كل واحد من أبنائه وتنبأ بمستقبله، فنحن نذكر كل واحد منهم وصفته ملخصا كما جاء في تلك الرواية:

أولا :رؤابين: جاء وصفه فائرا كالماء، لا تتفضل بمعنى أنه مثل الماء يرتفع بالفوران لكنه يهبط سريعا، فرؤابين كان بكر يعقوب، وهو أول القدرة والرفعة، ولكنه حرم البكورية، وقد قيل في تفسير هذا التشبيه بأنه شديد الهيجان والانفعال.

ثانيا: شمعون: فقد جاء وصفه هو وإخوه لاوي مثلان في السجايا والقصد والتدبير، والظاهر أنهما كانا أليفين وكانا أشد الظالمين لأخيهما يوسف، ولذلك لم يدن يعقوب عليه السلام شمعون ولاوي لغضبهما لأختهما ،بل لما نتج عن ذلك الغضب من الجور والظلم، ولذلك قال إن هذا يؤدي إلى شدة القسوة والجور، فإنهما لما غضبا على أخيهما يوسف نفسه عزما على قتله.

ثالثا: لاوي: وهو كما ذكرنا عن شمعون سابقا.

رابعا: يهوذا: جاء في وصفه جرو أسد، وأشار يعقوب عليه السلام بأنه كالأسد في القوة والشجاعة والعظمة، وكان يهوذا متصفا بذلك هو ونسله، وذكر اللبوءة مع الأسد لأنهما

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٢٣٨/١-٢٣٩

(٢) أنظر العهد القديم سفر التكوين ٤٩: ١-٣٣

أشد دفاعا عن أولادهما، وكذلك جاء في وصفه أن عيناه ستكونان أشد لمعان من الخمر وأسنانه أشد بياضا من الثلج أو اللبن، والكلام ليس في شخص يهوذا بعينه، بل حتى في نسله بيانا لنجاحه وابتهاجة لكثرة ثروته.

خامسا: زبلون: جاء في وصفه أنه عند ساحل البحر يسكن، والمرجح أنه يسكن على جزء من ساحل البحر المتوسط، وأن أسباط زبلون لا يكونون رجالا فلاحين بل تجارا.

سادسا: يساكر: جاء في وصفه حمار جسيم، فأنه أشبه الحمار لدأبه وصبره على الأعمال، ولكن بقوله جسيم رابض بين الحظائر دل على وفرة مرعاه وراحته بعد دأبه، ومعناه أن سبط يساكر يكون غنيا في الفلاحة ناجحا فيها، ويصبر على الجور لأجل ذلك النجاح.

سابعا: دان: جاء في وصفه يدين شعبه كأحد أسباط إسرائيل، ومعنى قول يعقوب يكون دان حية إلى آخره، أن دانا وإن كان لضعفه لا يكون في مقدمة أبطال الحرب لكنه سيكون ذا جنود ذات شان، ووصفه للحية هنا يدل على أنه أراد بها الحية السهمية التي تكمن في الطريق، فاذا مر بها أحد اندفعت إليه كالسهم.

ثامنا: جاد: جاء في وصفه يزحمه جيش إلى آخره، كأن سهم جاد شرقي الأردن فكان عرضة للغزاة، فأنبأ يعقوب عليه السلام بأنه إذا غزاه الغزاة ونهبوا أرضه تأثرهم ولحقهم ورد النهب والسبي.

تاسعا: أشير: جاء في وصفه خبزه سمين، وهو يعطي لذات ملوك فكأن سهم هذا السبط ساحل البحر من جبل الكرمل إلى لبنان، وكان خصبا جدا وما كان لزبلون السبط التجاري أن يصل إلى البحر إلا بمروره على هذا السبط.

عاشرا: نفتالي: جاء في وصفه بعكس جاد، وذلك أنه يكون سريع الحركة كالايلة المسيبة، وأنه يحسن إدارة الجيش بما يلقى عليه من الكلام الحسن المؤثر .

الحادي عشر: يوسف: جاء في وصفه أنه مخلص آل اسرائيل من الموت جوعا، وحاكم مصر فعلا، وقد وهب له نصيب البكر بأن أعطاه سبطين، ولكل من إخوته سبطا

واحدا، والمعنى أنه كثير النسل والنمو، وكذلك جاء في وصفه أنه يغلب أعداءه الرمات، وإن هذه القوة التي استطاع بها أن يغلب أعداءه هي من الله .

الثاني عشر: بنيامين: كانت صفات نسله وسجاياه منطبقة على وصفه، فقد جاء في وصفه أنه ذئب يفترس، لأن رجاله شجعان وأبطال حرب أكثر من سائر أسباط بني إسرائيل[1].

وبهذا نكون قد تحدثنا عن إخوة يوسف من حيث الولادة والأسماء والعدد والنشأة وشيئا من سيرتهم وهي أهم معالم سيرة أبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام الواردة في القرآن الكريم وفي التوراة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) انظر للاستزادة السنن القويم في تفسير العهد القديم ١/٢٧٤-٢٧٩

المبحث الثاني: إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام ودعوى الأسباط:

إن الخلاف عن أبناء يعقوب عليه السلام حول نبوتهم مسألة قديمة بين أهل العلم، وقد بحثت في كتب التفسير والعقائد على حد سواء، ولبحث هذه المسألة لا بد لنا أن نثير بعض الأسئلة حتى نتمكن من الإجابة عليها في هذا المبحث:-

السؤال الأول : هل أبناء يعقوب عليه السلام هم الأسباط بعينهم أم لا؟

السؤال الثاني: إن لم يكن أبناء يعقوب هم الأسباط فهل هم أنبياء أم لا؟

السؤال الثالث: إذا كان أبناء يعقوب عليه السلام أنبياء، فما موقفهم من يوسف؟

السؤال الرابع: إذا لم يكن أبناء يعقوب عليه السلام أنبياء فما الموقف أيضا مما حصل منهم في قصة يوسف عليه السلام؟

هذه الأسئلة وغيرها تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث لمعرفة الحق فيها وفي هذا المبحث سنعرف من هم الأسباط وهل هم أبناء يعقوب عليه السلام أم لا .

جاء ذكر الأسباط في كتاب الله عز وجل في أربع مواضع معرفة، وفي موضع خامس جاء نكرة، وهذه الآيات هي:-

في سورة البقرة قال تعالى:﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (١)

وقال سبحانه في سورة البقرة:﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٦

(٢) سورة آل عمران آية ٨٤

وقال في سورة آل عمران:﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (١)

وقال أيضا في سورة النساء:﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ (٢)

وقال عز شأنه في سورة الأعراف:﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ ﴾ (٣)

وبعد سرد تلك الآيات فيجب ان نحدد معنى كلمة الأسباط كما جاءت في اللغة العربية وعند علماء التفسير.

اما في اللغة فالأسباط واحدها سبط، وهو ولد الولد، مأخوذ من السبط وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون، وقيل أصله من السبط وهو الشجر، أي أنهم للكثرة بمنزلة الشجر، وقيل بأن السبط يطلق على ولد الولد مهما نزل، كما يطلق على ولد البنت أيضا. قال ابن فارس عن مادة "سبط":-

(١) سورة آل عمران آية ٨٤

(٢) سورة النساء آية ١٦٣

(٣) سورة الأعراف آية ١٥٩-١٦٠

(السين والباء والطاء أصل يدل على امتداد شئ وكأنه مقارب لباب الباء والسين والطاء، يقال شعر سبط إذا لم يكن جعدا، ويقال أسبط الرجل أسباطا إذا امتد وانبسط بعدما يطرب، والسباطة: الكناسة، وسميت بذلك لأنها لا يحتفظ بها ولا تحتجز ومنه الحديث: "أتى سباطة قوم فبال قائما لوجع كان بها" والسبط: نبات في الرمل ويقال إنه رطب الحلى ولعل فيه امتدادا) [١]

ويقول الفيروزآبادي في مادة "سبط" أيضا :-

(وبالكسر: ولد الولد والقبيلة من اليهود ج:أسباط "وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا" بدل لا تمييز و"حسين سبط من الأسباط" أمة من الأمم) [٢]

ويقول ابن منظور في تحديد معنى السبط :-

(والأسباط خاصة الأولاد والمصاص منهم، وقيل السبط واحد الأسباط وهو ولد الولد، ابن سيده السبط ولد الإبن والإبنة وفي الحديث: الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ ورضي عنهما، ومعناه أي طائفتان وقطعتان منه، وقيل الأسباط خاصة الأولاد، وقيل أولاد الأولاد، وقيل أولاد البنات، وفي الحديث أيضا: "الحسين سبط من الأسباط" أي أمة من الأمم، في الخير فهو واقع على الأمة والأمة واقعة عليه، ومنه حديث الضباب، إن الله غضب على سبط من بني إسرائيل فمسخهم دواب، والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد سمي سبطا ليفرق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق، وجمعه أسباط، قالوا والصحيح أن الأسباط في ولد إسحاق بن إبراهيم بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل عليهم السلام، فولد كل ولد من ولد إسماعيل قبيلة، وولد كل ولد من ولد إسحاق سبط، قال: ومعنى إسماعيل في القبيلة معنى الجماعة، يقال لكل جماعة من أب واحد قبيلة، وأما الأسباط فمشتق من السبط، والسبط ضرب من الشجر ترعاه الإبل، ويقال الشجرة لها قبائل، فكذلك الأسباط من السبط، كأنه جعل إسحاق بمنزلة شجرة، وجعل إسماعيل بمنزلة شجرة أخرى، وكذلك يفعل النسابون

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٢٨/٣

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٨٦٤

في النسب، يجعلون الوالد بمنزلة الشجرة والأولاد بمنزلة أغصانها، فتقول طوبى لفوع فلان وفلان من شجرة مباركة، فهذا والله أعلم معنى الأسباط) [1]

تدل تلك النقولات ان كلمة الأسباط، تعنى التتابع والامتداد ولذا تطلق على ولد الولد وولد البنت على حد سواء، وإن كان البعض يفرق بين الحفيد والسبط، فيجعل الحفيد في ابن الإبن والسبط في ابن البنت، وبعضهم يرى العكس، فالمقصود أن الأسباط جمع سبط، وهو يدل على ما تتابع من الرجل الواحد من ذريته.

واما في التفسير فيحدد الإمام الطبري رحمه الله المقصود بالأسباط الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، فقال رحمه الله:

(الأسباط الذين ذكرهم فهم إثنا عشر رجلا من ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ولد كل منهم أمة من الناس فسموا أسباطا، عن قتادة قال: الأسباط يوسف وإخوته بنو يعقوب ولد اثنى عشر رجلا، فولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا أسباطا.عن السدى: أما الأسباط فهم بنو يعقوب يوسف ، وبنيامين، وروبيل، ويهوذا، وشمعون، ولاوى، ودان.... وعن الربيع قال: الأسباط يوسف وإخوته بنو يعقوب إثنا عشر رجلا

فولد لكل منهم أمة من الناس فسموا الأسباط. ولكن روي عن محمد بن اسحاق[2]، أن يعقوب بن إسحاق نكح إبنة خاله ليئه بنت لابان بن بوتئيل فولدت له رؤابين بن يعقوب، وكان أكبر ولده وشمعون بن يعقوب، ولاوي بن يعقوب ويهوذا بن يعقوب وزبنون بن يعقوب ويشاكر بن يعقوب ودينه بنت يعقوب، ثم توفيت ليئه فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت لابان فولدت له يوسف بن يعقوب وبنيامين بن يعقوب، وولد له من سريتين له اسم إحداهما زلفة واسم الأخرى بله، أربعة بنين هم دان بن يعقوب ونفتالي بن يعقوب وجاد بن يعقوب وأشير بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثنا عشر رجلا نشر الله

(١) لسان العرب لابن منظور ٣١٠/٧-٣١١

(٢) محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي بالولاء من اقدم المؤرخين في السير سكن بغداد وتوفي بها سنة ١٥١هـ انظر الاعلام للزركلي ٢٨/٦

منهم اثني عشر سبطا لا يحصى عددهم ولا يعلم أنسابهم إلا الله قال تعالى:"وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما" [1] فكلام الإمام الطبري رحمه الله يبين بأن الأسباط هم يوسف عليه السلام واخوته، كما نقل ذلك عن قتادة والسدي والربيع[2]، فهم يؤكدون بأن الأسباط هم أبناء يعقوب عليه السلام..

وقال الإمام الآلوسي رحمه الله [3]:-

(إن الأسباط جمع سبط كأحمال وحمل، وهم أولاد إسرائيل، وقيل هم أولاد إسحاق كالقبائل في أولاد إسماعيل ...) [4]

فهو يصحح أن معنى الأسباط هم أبناء يعقوب عليه السلام، إلا أنه يختلف في صحة نبوتهم كما سيأتي بيانه.

ويقول الإمام ابن كثير :-

(وقال أبو العالية[5] والربيع وقتادة: الأسباط بنو يعقوب اثنا عشر رجلا، ولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا الأسباط. وقال الخليل بن أحمد وغيره: الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل. وقال الزمخشري في الكشاف: الأسباط قبائل بني إسرائيل، وهذا يقتضي أن المراد بالأسباط ههنا شعوب بني إسرائيل وما أنزل الله من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم، كما قال موسى لهم:" اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا") [6]

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٥٦٨/١.

(٢) الربيع بن سلمان المرادي، تتلمذ١ على الشافعي وروى عنه كتاب الرسالة،ولد الربيع سنة ١٧٤هـ مات في شوال سنة ٢٧٠هـ انظر الاعلام للزركلي ١٤/٣-١٥

(٣) محمد بن عبد الله الآلوسي الملقب بـ شهادب الدين ولد في بغداد سنة ١٢١٧هـ وتوفي سنة ١٢٧٠هـ أنظر الأعلام للزركلي ١٧٦/٧.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ٣٢١/١.

(٥) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري، أدرك وأسلم بعد الوفاة بسنتين، مات في شوال سنة اثنتين وسبعين.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٠٠/١

الإمام ابن كثير هنا يشير إلى وجود قولان في تفسير الأسباط، الأول هو أنهم أبناء يعقوب عليه السلام الاثني عشر، والثاني قبائل بني إسرائيل، ولم يرجح شيء من ذلك. فيفهم من كلامه الأخير بأن الأسباط ليسوا هم الأفراد والاثني عشر بأعيانهم وإنما المقصود الأنبياء الذين من هؤلاء القوم.

وقال الإمام القرطبي مؤكدا أن المراد بالأسباط أبناء يعقوب عليه السلام :-

(والأسباط: ولد يعقوب عليه السلام، وهم اثنا عشر ولدا، ولد لكل واحد منهم أمة من الناس، واحدهم سبط والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل، وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون وقيل: أصله من السبط "بالتحريك" وهو الشجر، أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر، والواحد سبطة)

ثم ساق أثرا عن ابن عباس قال: (كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوحا وشعيبا وهودا وصالحا ولوطا وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم، ولم يكن أحد له اسمان إلا عيسى ويعقوب. والسبط: الجماعة والقبيلة الراجعون إلى أصل واحد) [1]فكأنه يحكي القولين في المسألة.

وقال أبو السعود :-

(والأسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام، أو أبناءه الاثنى عشر وذراريهم، فإنهم حفدة إبراهيم وإسحاق) [2] فهو يؤكد على صحة إطلاق الأسباط على أبناء يعقوب عليه السلام، فهم حفدة إسحاق عليه السلام.

ويقول الإمام الشوكاني :-

(والأسباط: أولاد يعقوب، وهم اثنا عشر ولدا، ولكل واحد منهم من الأولاد جماعة، والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب، وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون، وقيل أصله من السبط بالتحريك وهو الشجر: أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر، وقيل الأسباط حفدة يعقوب أي أولاد أولاد، لا أولاد، لأن الكثرة إنما كانت فيهم دون

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٦/١

(٢) تفسير أبو السعود ١-١٦٦

أولاد يعقوب في نفسه فهم أفراد لا أسباط) [1] يلاحظ في كلام الشوكاني أنه ذكر القول الثاني بأن الأسباط هم قبائل بني إسرائيل بصيغة التمريض، مما يفهم منه التضعيف لهذا القول.

ويقول الشيخ رشيد رضا:-

(والأسباط أولاد يعقوب والفرق أو الشعوب الاثنى عشر المتشعبة منهم،قال تعالى: "وقطعناهم اثنتى عشر أسباطا أمما" وقد ورد أن أولاد يعقوب كانوا أنبياء، ولم يرد أنهم كانوا مرسلين، فإن صح هذا كما يفهم من إطلاق الأستاذ الإمام في الدرس، فالمراد بالأسباط الإطلاق الأول، وإلا كان في الكلام تقدير مضاف إلى أنبياء الأسباط، كأنه قال: وسائر أنبياء بني إسرائيل وهو المختار، ولم يصح في نبوة غير يوسف من أبناء يعقوب شيء) [2] الشيخ رشيد رضا يصحح القول بأن الأسباط هم القبائل في بني إسرائيل.

فمن هذه التفسيرات نستنتج أن العلماء والمفسرين اختلفوا في تحديد معنى الأسباط، فذهب البعض إلى أن المراد بهم أبناء يعقوب الاثني عشر، بأعيانهم فيما يرى البعض الآخر بأن الأسباط هم الأنبياء من ذرية يعقوب المنحدرين من أصل هؤلاء الأبناء الاثنا عشر، ويمكننا أن نجمل المسألة في قولين:

الاول: قول ابن زيد[3]، كما حكاه عنه ابن جرير وقتاده وأبوالعالية والربيع، وكأن ابن جرير يميل إليه، وممن يرى بأن الأسباط هم إخوة يوسف: القرطبي وأبو السعود والقاسمي واما الشوكاني وكأنه متردد في ذلك، فهؤلاء هم الذين يرون بأن الأسباط هم أبناء يعقوب عليه السلام الاثني عشر.

الثاني: ان الأسباط ليسوا بأبناء يعقوب الاثني عشر، وإنما هم المنحدرين من هؤلاء الأبناء، وقد قال به الشيخ رشيد رضا، ويفهم من كلام الزمخشري كما ذكره ابن كثير عنه، بل وابن كثير نفسه واما الشوكاني[4] متردد في ذلك.

---

(١) تفسير الشوكاني ١٤١/١

(٢) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ٤٨٣/١

(٣) خارجة بن زيد الأنصاري المدني الفقيه، أحد الفقهاء السبعة، توفي سنة ١٠٠هـ ،أنظر الاعلام للزركلي ٢٩٣/٢

(٤) محمد بن علي الشوكاني من رواد الدعوة السلفية ولد سنة ١١٧٣هـ في اليمن توفي بها سنة ١٢٥٠هـ انظر الاعلام للزركلي ٢٩٨/٦

والذي نرجحه في هذه المسألة والله أعلم، بأن الأسباط هم أبناء يعقوب عليه السلام الاثني عشر، والأدلة التي نسوقها كثيرة نذكر أهمها:

١- أن هذا القول لا ينافي المعنى اللغوي لكلمة الأسباط، لأنهم أولاد الأولاد لإسحاق عليه الصلاة والسلام، فهم كالقبائل لأبناء إسماعيل عليه السلام، وعلى هذا فهم أولاد الأولاد، وهم المتتابعون من نسل يعقوب عليه الصلاة والسلام.

٢- قول أكثر المفسرين من المتقدمين في تفسيرهم لكلمة الأسباط، بأنهم أبناء يعقوب عليه السلام .

٣- الآية الواردة في نفي اليهودية والنصرانية عن الأسباط وهي قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) هذه الآية تنكر على اليهود والنصارى زعمهم بأن الأسباط كانوا من اليهود أو النصارى، فهذا يدل على أن زمن الأسباط كان قبل موسى عليه السلام، وكما جاء في تحقيق المدة الزمنية بين دخول بني إسرائيل إلى مصر وخروج موسى عليه السلام، فهي مدة قصيرة لا تتجاوز مائة عام، بل قيل بأنها أربع وستون سنة، ولم يروى في التاريخ أو في القرآن الكريم أو في أي كتاب آخر أن هنالك اثني عشر نبيا كانوا يدعون إلى الله في مصر أو في غيرها بين يوسف وموسى غير هؤلاء الأبناء الاثني عشر، فهم أقرب للوصف بالأسباط دون غيرهم.

٤ – تبين المصادر اليهودية بان أبناء يعقوب عليه السلام هم الأسباط الذين إنحدر منهم بنو إسرائيل وتكاثروا من بعدهم، كما مر بنا تقرير ذلك في المبحث السابق حينما تعرضنا لوصية يعقوب عليه السلام لأبنائه الاثني عشر، وكما أشار يعقوب عليه السلام

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٠

نفسه في بيان أن إبني يوسف عليه السلام إفرائيم ومنسي، هم من الأسباط الذين ينحدر منهم بنو إسرائيل.

٥- عدم وجود أدلة صريحة وواضحة في نفي الأسباط عن أبناء يعقوب عليه السلام سوى ما يذكر في سيرتهم، وان هذه السيرة تنافي مقام النبوة وسوف يأتي الحديث عنها مستقبلا.

٦-إن كلمة الأسباط يصدق تحققها فيهم حتى وإن قلنا أن المقصود بها القبائل المنحدرة منهم فهي تنطبق عليهم أصالة، أما غيرهم فبالتبع.

أن الأدلة وغيرها نثبت بأن إخوة يوسف عليه السلام هم الأسباط الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه الكريم، ومما يجعلنا نطمأن لهذا الرأي، أنه لم يذكر الأسباط في المواضع الخمسة إلا بعد يعقوب عليه السلام مباشرة، سوى الموضع الخامس، وليس فيه الإشارة إلى كلمة الأسباط بـ "الـ" التعريف فهي نكرة، وليس فيها دلالة من قريب ولا بعيد حول ذكر الأسباط الذين يرد ذكرهم بعد يعقوب عليه السلام.

وبناء على ذلك "فالأسباط " الواردة في المواضع الأربعة وهي معرفة وبعد يعقوب عليه السلام تشير إلى أن الألف واللام في كلمة الأسباط إما أن تكون تعريفية أو عهدية، وفي كلا الحالين تشير إلى أن المراد بالأسباط هم أبناء يعقوب عليه السلام بأعيانهم، والله أعلم.

- هل إخوة يوسف الإثني عشر أنبياء أم لا ؟.

بعد هذه المناقشة حول بيان تعريف الأسباط، يحسن بنا البحث في أبناء يعقوب عليه السلام هل هم أنبياء أم لا؟ فنقول وبالله التوفيق بأن الخلاف في هذه المسألة قديم، وللعلماء فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنهم أنبياء، وأن ما صدر منهم تجاه يوسف عليه السلام كان قبل النبوة، وبه قال ابن زيد، وقد حكاه ابن جرير في تفسيره ولم ينكره، وقال به البغوي [١] والقرطبي والرازي رحمهم الله.

الثاني: أنهم ليسوا بأنبياء، وان ما حصل منهم تجاه يوسف عليه السلام ينافي مقام النبوة، وقد قال به ابن كثير والالوسي والسيوطي والشوكاني يميل اليه، وبه يقول الشيخ رشيد رضا، والشيخ عبد القادر شيبة الحمد وغيرهم.

الثالث: هناك من العلماء من توقف في ذلك أو تردد، فلم يثبت نبوتهم أو عدمها، وممن ذهب الى ذلك ابن الجوزي[٢] والواحدي [٣] وغيرهم.

ونحن في هذا المقام نبحث ادلة العلماء في هذه الأقوال.

أدلة القائلين بنبوة أبناء يعقوب عليه السلام الاثني عشر:

أولا: رؤية يوسف عليه السلام لاخوته على شكل كواكب وهي التي قصها على ابيه يعقوب عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ [٤] و جاء في تفسير الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الاية نقلا عن ابن زيد ما نصه:

("يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا" الآية قال: أبواه وإخوته، قال: فنعاه إخوته وكانوا أنبياء، فقالوا ما رضي أن يسجد له إخوته حتى سجد له أبواه حين بلغهم) [٥].

وسواء رأى يوسف هذه الرؤيا قبل الرسالة أو بعدها، فهي حق بدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَاأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [١]

---

(١) الحسين بن مسعود محمد الفراء الملقب بمحي السنة البقوي نسبة الى بقامن قرى خرسان محدث ومفسر توفي سنة ٥١٠هـ انظر الاعلام للزركلي ٢٥٩/٢.

(٢) الإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج القرشي التيمي البغدادي الحنبلي،كان أستاذا ف الوعظ والعلم توفي سنة ٥٩٧هـ في بغداد أنظر الاعلام للزركلي ٣١٦/٣-٣١٧.

(٣) الإمام أبو الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي المفسر توفي سنة ٤٦٨ هـ أنظر الاعلام للزركلي ٢٥٥/٤.

(٤) سورة يوسف آية ٤

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١٥٢/٧

ورؤيته لهم على شكل كواكب يعني أنهم يستضاء بنورهم كما يستضاء بأنوار الكواكب، ولو لم يكونوا أنبياء لما رآهم بهذه الصورة، والله تعالى قد سمى رسوله نورا، والقرآن والتوراة نورا، وإن كان هذا الاستدلال معترض عليه، لأن أم يوسف معهم، وليس في النساء أنبياء على الصحيح من أقوال أهل العلم.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ (٢) وفسر الزمخشري هذه الاية بقوله:

(وقيل علم يعقوب أن يوسف يكون نبيا وإخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب، فلذلك قال: وعلى آل يعقوب) (٣)

فالآية تنص على إتمام النعمة على يوسف عليه السلام وعلى آل يعقوب، وإتمام النعمة هو النبوة على أصح الأقوال، ولا شك أن أبناء يعقوب من الأل، فيكون حاصل المعنى: يمن عليك وعلى سائر أبناء يعقوب بالنبوة، وإستدل بذلك على أنهم صاروا بعد ذلك أنبياء.

ويقول القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

(وأعلمه الله تعالى بقوله:"وعلى آل يعقوب" أنه سيعطى بني يعقوب كلهم النبوة، قاله جماعة من المفسرين.وقيل ما كانوا في ذلك الوقت أنبياء ثم نبأهم الله ،وهذا أشبه، والله أعلم)(٤).

ثالثا: تقدم ثبوت أن أولاد يعقوب هم الأسباط، وان الأسباط أنبياء، يقول إبن جرير رحمه الله مبينا أقوال العلماء في هذه المسألة:-

(عن قتادة قال: الأسباط يوسف وإخوته بنو يعقوب. وعن السدي: وأما الأسباط فهم بنو يعقوب: بنيامين .....الخ وعن الربيع قال: الأسباط يوسف وإخوته بنو يعقوب الاثنا عشر

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٠

(٢) سورة يوسف آية ٦

(٣) الكشاف للزمخشري ٤١٩/٢

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٩/٩

رجلا وعن محمد بن إسحاق قال: نكح يعقوب بن إسحاق وهو إسرائيل إبنة خاله ليا بنت ليان فولدت له روبيل.... إلخ. فهم الأسباط والأسباط أنبياء) [١]

فإذن هؤلاء العلماء يثبتون بأن الأسباط هم أبناء يعقوب عليه السلام الاثنى عشر، والأسباط أنبياء، فأبناء يعقوب عليه السلام أنبياء.وهذه الدلالة من أقوى الأدلة على نبوتهم، والاعتراض عليها يحتاج إلى دليل.

رابعا: ذكر الله تعالى أن الأسباط لم يكونوا في عهد موسى ولا عيسى، أي أنهم كانوا في الفترة بين يعقوب وموسى، قال تعالى: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ [٢]

ولا نعلم رسلا في هذه الفترة غيرهم، فأولاد يعقوب هم الأسباط. ونفي اليهودية والنصرانية عنهم، دليل على أن الأسباط سابقين لفترة موسى عليه السلام، مما يؤكد بأن الأسباط الأنبياء هم أبناء يعقوب عليه السلام، فهم ليسوا يهودا ولا نصارى.

خامسا: كما هو معلوم أن الأسباط لم يوجدوا إلا قبل عهد موسى، وأن الزمن بين موت يعقوب وميلاد موسى محدود، إذ أن موسى ولد سنة ١٥٧١ق.م، ولما كانت ذرية يعقوب لم تخرج من مصر إلا في زمن موسى، وبما أنه لم يرو في التاريخ أو في القرآن الكريم أو في أي كتاب آخر أن هنالك اثني عشر نبيا كانوا يدعون إلى الله في مصر، تواتروا في الزمن بين يوسف وموسى، وجاء أحدهم بعد الآخر، ومع العلم بأن الزمن من موت يوسف إلى ولادة موسى هو أربعة وستون سنة، ولا نستطيع أن نزعم أن هنالك أسباط غير أولاد يعقوب الاثني عشر إلا بدليل صريح وصحيح، وبما أن هذا الدليل لم يثبت، فإن ذلك يدل على أن الأسباط الأنبياء هم أبناء يعقوب الاثنى عشر جميعا.

سادسا: في الآيتين المذكورتين أول هذا البحث وهي قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ [٣] وقوله

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ١٥٠/٧-١٥٣

(٢) سورة البقرة آية ١٤٠

(٣) سورة البقرة آية ١٣٦

سبحانه: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ (١) عد الله الرسل والأنبياء البارزين الذين يجب علينا أن نؤمن بهم، ولم يذكر فيهم يوسف، بل ذكر بدله لفظ الأسباط، ففي هذا دليل على أن يوسف من الأسباط، وأن الأسباط أنبياء، ويدخل فيهم باقي أبناء يعقوب عليه السلام الاثني عشر.

سابعا: حين حضر يعقوب الموت وصى بنيه جميعا بمن فيهم يوسف عليه السلام، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢). ومثل ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٣) وبهذا سوى يعقوب بين أبناءه جميعا في الوصية، مما يدل على أن يوسف وإخوته في الدرجة سواء، وفي الوصية سواء وهم بالتالي انبياء.

ثامنا: ما زعمته اليهود من التشهير بأولاد يعقوب لا يؤبه به، فليس بكثير عليهم أن يزعموا أن راؤبين (روبيل) بكر يعقوب زنى ببلهة سرية أبيه، وأن يهوذا بن يعقوب زنى بثامار زوجة إبنه، فقد زعموا من قبل أن رسول الله لوطا زنى بإبنتيه وهو سكران، وأن إحداهما حملت منه بولد(مؤاب) والأخرى بولد(بن عمى)، وأن إبراهيم خليل الله عمل قوادا لامرأته طمعا في المال، وأنه كرر هذا العمل مرتين، وهو أمر ظاهر البطلان.

فما يروى في الروايات الإسرائيلية عن أبناء يعقوب مما يقدح في سيرتهم لا يؤبه به، بل نرده ونكذبه، ومثل هذه الروايات المكذوبة لا تقدح في نبوتهم.

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٤

(٢) سورة البقرة آية ١٣٣

(٣) سورة البقرة آية ١٣٢

تاسعا: لا يطعن في أولاد يعقوب لمجرد أن أنفسهم حدثتهم بقتل يوسف بسبب عارض من أعراض الغيرة لم يلبث أن انتهى، ولو أنهم كانوا أشرارا لقتلوه فعلا ،وأن من تحدثه نفسه باقتراف جريمة ثم لا يقترفها لا يكون مذنبا ومدينا ، بل أنه من صفات المؤمنين، وأنهم يقاومون وساوس الشر في أنفسهم، ويتغلبون على النفس الأمارة بالسوء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)

وإخوة يوسف لم يكونوا عازمين على قتله عزما أكيدا، بل كانوا مترددين في ذلك، وكان غرضهم إبعاده عن أبيه بطريقة ما، فانصاعوا على الفور إلى قول أحدهم لما طلب منهم أن يمتنعوا عن قتله، وهو كما رواه القران: ﴿ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾ (٢)

وليس من المعقول أن يكون شقيا من يفكر في التوبة والصلاح عند التفكير في ارتكاب آثم، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَـٰلِحِينَ ﴾ (٣)

فأفعالهم تلك إنما كانت لأجل أن يحظوا بالمكانة عند أبيهم مع إقرارهم ملازمة الصلاح والاستقامة، ولكن تسويل الشيطان كما في نهاية القصة هو الذي أوقعهم في هذه الأفعال.

عاشرا: لم يذكر القرآن الكريم أن إخوة يوسف كانوا أنبياء وقتئذ، فكل خطأ وقعوا فيه كان قبل النبوة. يقول الفخر الرازي:(ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب" هذا يقتضي تمام النعمة كما قال يعقوب فلما كان المراد من إتمام النعمة هو النبوة لزم حصولها لآل يعقوب، وذلك يقتضي أن يكون جملة أولاد يعقوب أنبياء ورسلا فان قيل كيف يجوز أن

(١) سورة يوسف آية ٥٣

(٢) سورة يوسف آية ١٠

(٣) سورة يوسف آية ٩

يكونوا أنبياء وقد أقدموا على ما أقدموا عليه في حق يوسف، قلنا ذلك وقع قبل النبوة، وعندنا العصمة إنما تعتبر في وقت النبوة لا قبلها) [١].

ويقول أيضا رحمه الله ذاكرا آراء الناس في مسألة العصمة:

(واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال.

الأول: معصومون من وقت مولدهم وهو قول الرافضة.

الثاني: معصومون من وقت بلوغهم ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة، وهو قول كثير من المعتزلة.

الثالث: لا يجوز وقت النبوة، أما قبلها فجائز، وهو قول أكثر أصحابنا، وقول أبي الهذيل وأبي علي من المعتزلة، والمختار عندنا أنه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوة البتة لا الكبيرة ولا الصغيرة الخ) [٢].

فكلام الرازي رحمه الله يفيد جواز وقوع المعصية من الأنبياء قبل نبوتهم، وأن عصمتهم إنما تكون بعد النبوة.

أما الآلوسي فيقول:(واختلف الناس في الأسباط أولاد يعقوب، هل كانوا كلهم أنبياء أم لا، والذي صح عندي الثاني، وهو المروي عن جعفر الصادق رضى الله عنه، وإليه ذهب الإمام السيوطي وألف فيه، لأن ما وقع منهم مع يوسف عليه السلام ينافي النبوة قطعا وكونه قبل البلوغ غير مسلم، لأن فيه أفعالا لا يقدر عليها إلا البالغون، وعلى تقدير التسليم لا يجدي نفعا على ما هو القول الصحيح في شأن الأنبياء، وكم كبيرة تضمن ذلك الفعل، وليس في القرآن ما يدل على نبوتهم) [٣]

ونحن مع الآلوسي في أن ما وقع منهم ينافي النبوة، لكننا نقول أنهم صاروا بعد ذلك أنبياء ولا مانع من ذلك حسب التقسيم الذي ذهب إليه الفخر الرازي. ويشهد لصحة

---

(١) التفسير الكبير للرازي ٤٢١/٦

(٢) التفسير الكبير للرازي ٤٢٠/٦-٤٢١

(٣) روح المعاني للألوسي ٣٢١/١

ذلك قول الشوكاني وكلام أهل العلم في عصمة الأنبياء، واختلاف مذاهبهم في ذلك وذكر الراجح فيه، وقد تقدم الكلام عنه في التمهيد فليرجع إليه.

الحادي عشر: روي أن جبريل عليه السلام نزل بأن الله تعالى قبل استغفار يعقوب لبنيه، وعقد مواثيقهم بعده على النبوة، وقد نقل ذلك عدد من المفسرين.ففي الكشاف للزمخشري عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ قال رحمه الله:

(روي أنهم قالوا له وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما إن لم يعف عنا ربنا فاستقبل الشيخ القبلة ونزل جبريل عليه السلام فقال: أن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة) [1].

ويقول الفخر الرازي رحمه الله أيضا:

(وروى أن أبناء يعقوب عليه السلام قالوا ليعقوب وقد غلبهم الخوف والبكاء: ما يغني عنا إن لم يغفر لنا، فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة، حتى قل صبرهم فظنوا أنها الهلكة، فنزل جبريل عليه السلام وقال: إن الله تعالى أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة). [2]

وهذا الأثر رواه ابن جرير في تفسيره [3] عن أنس بن مالك رضى الله عنه من طريقين مختلفين، وكلاهما فيه ضعف لا يصح معها الأثر، ولكن هذا الأثر يستأنس به مع معنى الآية في استغفار يعقوب عليه السلام ويوسف عليه السلام لهم ،وهذا الاستغفار دعاء، ودعاء الأنبياء مجاب، والله أعلم.

الثاني عشر: بين القرآن الكريم أن أخوة يوسف استغفروا الله وتابوا من فعلهم وقد عفا عنهم يوسف كما قال تعالى : ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ

---

(١) الكشاف للزمخشري ٢/٤٧٥-٤٧٦

(٢) التفسير الكبير للرازي ٦/٥٠٨-٥٠٩

(٣) ذكره الإمام ابن جرير في تفسيره وهو ضعيف لوجود صالح المربي ويزيد الرقاشي وكلاهما متروكين وله متابع آخر وهو ضعيف أيضا راجع تفسير ابن كثير بتحقيق احمد شاكر ١٦/٢٨١-٢٨٢

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (١).ولقد سألوا أباهم كذلك أن يستغفر لهم، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٢) والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

الثالث عشر: إلتزام الأسباط بعقيدة آبائهم ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب، عقيدة التوحيد التي وصى بها يعقوب بنيه، وعقيدة الاستغفار والتوبة والجزاء، كما جاء في قصتهم مع يوسف، وعقيدة الوحي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ..... وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ (٣) وقوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝ ﴾ (٤) وهذا دليل على النبوة، فإن المنهج واحد في نزول الوحي للأسباط.

الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ ﴾ (٥)

فلفظ الأسباط هنا يعني الأنبياء الاثني عشر من أولاد يعقوب، وهناك قرينة تمنع أن يكون الأسباط بمعنى الأنبياء موجودين في عهد موسى، فالآية الأربعين بعد المئة من

---

(١) سورة يوسف آية ٩١-٩٢

(٢) سورة يوسف آية ٩٧-٩٨

(٣) سورة النساء آية ١٦٣

(٤) سورة البقرة آية ١٣٣

(٥) سورة الأعراف آية ٦٠

سورة البقرة، تنفي أن يكون الأسباط يهودا أو نصارى. ولفظ الأسباط المذكور في الآية الستين بعد المئة من سورة الأعراف بمعنى (فرقا) أي: وقطعنا بني إسرائيل فرقا اثنتي عشر، تكون كل فرقة منهم أمة من الناس، ويؤكد ذلك أن لفظ الأسباط هنا جاء بصيغة النكره، بخلاف المواضع الأخرى فهي معرفة، وقد سبق تقرير ذلك.

الخامس عشر: يعقوب عليه السلام عندما قال لابناءه: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[1] استجابوا فورا لقول أبيهم يعقوب:﴿ ٱذۡهَبُوا ﴾، لأنهم لم يثبتوا على قولهم من قبل:﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ﴾ بل يعلمون أنه حي ويعلمون الجهة التي ذهب إليها، لأنهم يعلمون من الذي التقطه من الجب. ولذلك لم يبحثوا عنه شمالا أو جنوبا وإنما قصدوا مباشرة مصر، حيث يوسف وأخوه وهذه يعني قربهم للخير، وتقبلهم له، بل وندمهم على ما حصل.

أما أدلة القائلين بعدم نبوة أبناء يعقوب عليه السلام الاثني عشر فهي:

أولا: كلمة أسباط لا تطلق على الإبن الصلبي، فأبناء يعقوب الصلبيون غير داخلين في كلمة أسباط، فهي إنما تطلق على أبناء الإبن أو أبناء البنت مباشرة.

ثانيا: قول الله تعالى حكاية لما قاله يعقوب ليوسف: ﴿ ... لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [2] فهم بحيث يمكن للشيطان ان يكون عليهم سبيل، فلا عصمة لهم.

ثالثا: لم يحك القرآن الصريح ولا الحديث الصحيح نبوتهم، بل ولم يروى عن الصحابة رضوان الله عليهم ولا التابعين من يقول بنبوتهم.

رابعا: لما ذكر الله الأنبياء من سلالة إبراهيم لم يذكر الأسباط كقوله تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾

---

(١) سورة يوسف آية ٨٧

(٢) سورة يوسف آية ٥

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [1] فذكر يوسف ولم يذكر اخوته، ولو كانوا من الأنبياء لذكرهم.

خامسا: ذكر الله للأنبياء عليهم السلام من المحامد والثناء ما يناسب النبوة، وأما إخوة يوسف فلم يذكر لهم شيئا من هذا القبيل وفي الحديث:(أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) [2] فلو كان إخوة يوسف أنبياء لكانوا قد شاركوه في هذا الكرم.

سادسا: ذكر أهل السير أن يوسف وإخوته ماتوا في مصر، ولم يذكر في القرآن أن أهل مصر قد جاءهم نبي قبل موسى وهارون بعد يوسف، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ﴾ [3]

سابعا: أن يوسف أوصى بنقله إلى الشام، فنقله موسى عليه السلام، وهذا لم يحصل لاخوة يوسف عليه السلام.

ثامنا: كثرة ما نسب إليهم في سورة يوسف من حسدهم ليوسف، وتضليل أبيهم، ومن إرادتهم قتله أو طرحه أرضا، ومن إجماعهم على إلقائه في غيابة الجب، ومن ختلهم لأبيهم وحلفهم أنهم حافظون لأخيهم وناصحون ثم خلفهم هذا الوعد، ومن بكائهم كذبا وتلطيخهم القميص بالدم كذبا، ومن أنهم شر مكانا ومن قولهم:﴿ "وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴾"، وهذا جميعه يناقض مقام النبوة.

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٣-٨٧

(٢) تقدم تخريجه ص ١٥٠

(٣) سورة غافر آية ٣٤

تاسعا: رؤية يوسف لهم في الرؤيا على شكل كواكب لا تدل على كونهم هادين، وهو لا يستلزم النبوة .

عاشرا: قول الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ...﴾ [1] معنى الإنزال في هذه الآية أي أنزل فينا.

الحادي عشر: كلمة الوحي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ..... وَٱلۡأَسۡبَاطِ..﴾ [2] لا تدل على أن الموحي إليه نبي كما قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ ﴾، [3] وقوله ﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ ﴾، [4] ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ)، [5] ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴾، [6] ومعنى الوحي أنه أنزل لأجلهم ومنفعتهم.

الثاني عشر: قول الله تعالى: ﴿ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ ﴾ [7] لا دليل فيه على أن إتمام النعمة هو النبوة ولا على أن آل يعقوب أولاده الاثني عشر.

أما الذين سكتوا عن هذه المسألة:

لم أجد شيئا من الأدلة تستلزم التوقف، في هذه المسالة،ولكنني أجتهد في ذكر بعض أدلة المتوقفين، وهي:

أولا : أن النبوة أمر اعتقادي، ولا بد له من دليل صريح وصحيح يثبت هذا القول.

ثانيا: أن الصحابة رضى الله عنهم والتابعون رحمهم الله لم يتكلموا في هذا المسالة، ولم يخوضوا في نبوتهم أو عدمها، فيسعنا التوقف في هذه المسألة.

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٦

(٢) سورة النساء آية ١٦٠

(٣) سورة المائدة آية ١١١

(٤) سورة طه آية ٣٨

(٥) سورة النحل آية ٦٨

(٦) سورة الزلزلة آية ٥

(٧) سورة يوسف آية ٦٠

ثالثا: أن الأدلة التي ذكرت من الفريق القائل بنبوتهم، والفريق الذي ينفي نبوتهم متساوية، ولا يمكن الترجيح بينها إلا بدليل قوي في ذلك، ولا يوجد الدليل.

الترجيح في هذه المسالة:

بعد تتبع آراء كل من الفريقين القائلين بنبوة أبناء يعقوب جميعا والنافين لـــها، فلعـــل الراجح والله أعلم هو القول الأول، لقوة الأدلة وإمكان الرد على المخالفين والمنكريـــن بمـــا يلي:-

١- لو سلمنا ان كلمة أسباط لا تطلق على الأبناء الصلبيين، لقلنا انهم أسباط بالنسبة لإســحاق عليه السلام، وهذا هو المناسب، حيث أن القبائل حفدة إسماعيل عليه السلام، فالأسباط حفـــدة اسحاق عليه السلام، وقد مر بنا في توضيح الراجح في معنى الأسباط بانهم أبناء يعقوب عليه السلام.

٢-عداوة الشيطان عامة للناس إلا على عباد الله المخلصين، فلا يقوى الشيطان عليهم، وكـون أبناء يعقوب بحيث يمكن أن يكون الشيطان عليهم سبيل لا يمنع من كونهم صاروا بعد ذلـــك أنبياء.

٣- حكى القرآن الكريم والحديث نبوتهم، فقد قال تعـــالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ...﴾ [1] وقـــال: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [2]

وقد تقدم في صدر البحث بيان ذلك، وكذلك جاءت بعض الروايات بنبوة أولاد يعقوب عليه السلام، كما في قول جبريل ليعقوب عليه السلام:(إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة)[3]ورغم أن هذه الرواية لم تصح ولكن يستأنس بها، وقد تقدم تمـــام الحديث في أدلة القائلين بنبوتهم.

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٦

(٢) سورة النساء آية ١٦٠

(٣) سبق تخريجه ص ٤٢٠

٤- أن قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ .... الآية[١] ليست جامعة ولا مانعة، فلم تجمع كل أبناء إبراهيم عليه السلام، فأين إسماعيل عليه السلام، ولم تمنع دخول غير ذريته فيها مثل لوط عليه السلام، وإن الآيات التي ذكر فيها الأسباط لم يذكر فيها يوسف عليه السلام، فهذا يشير إلى أنه داخل فيهم، فذكرهم يغني عن ذكره.

٥- بعض الرسل أفضل من بعض، فاذا ذكر الله تعالى لبعضهم من المحامد والثناء ما هم أهله فإنما يدل ذلك على علو درجتهم بين بقية الرسل، لا أن غيرهم ليسوا بأنبياء كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ﴾[٢] وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم يذكر الله تعالى أولي العزم الخمسة تفضيلا، ثم يترك الآخرين لزيادة شرف الخمسة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾[٤] فعدم ذكرهم ليس دليلا على عدم نبوتهم.

٦- إذا كان إخوة يوسف قد ماتوا في مصر، ولم يذكر في القرآن أن أهل مصر قد جاءهم نبي قبل موسى وهارون بعد يوسف، يكون هذا دليلا على نبوة الأسباط وهم أولاد يعقوب عليه السلام، حيث لم يوجد غيرهم في تلك الفترة، كما أنه لا يوجد دليل صريح على عدم نبوتهم.

٧- ما ذكروه مما نسب إليهم في سورة يوسف لا يتعدى شيئين.

الأول: أنه قبل النبوة، والحق أنه لا عصمة قبل النبوة، وقد مر تفصيل ذلك في التمهيد.

الثاني: ، أنها لا تعدو أن تكون من الصغائر، والصغائر مختلف في عصمة الأنبياء منها بعد النبوة، والراجح أنهم غير معصومين منها .قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٣-٨٧

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٣

(٣) سورة الأحزاب آية ٧

(٤) سورة الشورى آية ١٣

(القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام وقول أكثر الأشعرية، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول) (١)

ويذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن الذين منعوا من وقوع الصغائر من الأنبياء أوردوا شبهتين.

الأولى: أن الله أمر باتباع الرسل فلو وقعت منهم معصية لوجب إتباعهم فيها، وهذا مردود بأن ذلك يكون صحيحا لو بقيت المعصية منهم خافية بحيث تختلط علينا، لكن الله تعالى ينبه أنبياءه إلى ما وقع منهم ويوفقهم إلى التوبة.

الثانية: قالوا: الذنوب تنافي الكمال، وهذا غير صحيح فإن التوبة تغفر الذنب، وثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:(أن الله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضلته ناقته بأرض فلاة وعليها طعامه وشرابه فنام فقام فوجد راحلته فوق رأسه فقال اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح) (٢) وقال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾. (٣)

فالأنبياء لا يقرون على الذنب ولا يؤخرون التوبة، وهم بعد التوبة أكمل منها قبلها،(٤) والذي حصل من أبناء يعقوب عليه السلام في التوبة من ذلك دليل على أنهم أفضل مما كانوا عليه قبل التوبة.

٨- قولهم أن رؤية يوسف لهم كواكب لا تستلزم النبوة كذلك، ونقول لهم أنها لا تنفي النبوة، وقد فهم يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا أن أبناءه سيعطون النبوة ولذا قال: ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾. (١)

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل شيخ الإسلام ابن تيميه ٣١٩/٤

(٢) رواه البخاري في كتاب الدعوات باب التوبة ٨٨/١١ ومسلم في التوبة باب الخط على التوبة برقم ٢٧٤٤ و رواه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة باب المؤمن يرى ذنبه كالجبل برقم ٢٤٩٩، ٢٥٠٠

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٢

(٤) سورة البقرة آية١٣٦

٩- قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [٢] معناها كما يقولون أنزل فينا، ولكن قوله: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ...﴾ [٣] هو أنزل عليهم بطريق الوحي المحقق للنبوة لهم، واللفظ واحد للجميع فلماذا التفريق.

١٠- إذا فسرنا الوحي إلى الحواريين وإلى النحل وإلى أم موسى بأنه وحي عن طريق الرؤيا أو الإلهام، فلا نستطيع تفسير الوحي إلى الأنبياء إلا بالنبوة، وقد عطف الأسباط على الأنبياء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ....﴾ [٤] فالوحي الذي أوحاه الله للأسباط هو من نوع الوحي للأنبياء المذكورين قبلهم.

١١- قول الله تعالى: ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾، [٥] إن لم تدل هذه الآية على أن النعمة هي النبوة وآل يعقوب هم أبناؤه الاثنا عشر، فهي لا تصلح دليلا على نفي النبوة عنهم، فضلا عن أن عددا من المفسرين والعلماء قد فسروها بما يصلح دليلا على نبوة إخوة يوسف عليه السلام.

وهكذا لم يصلح للمنكرين دليل، وبناء عليه فنحن نثبت نبوتهم. وأما المتوقفين في هذه المسألة، فنقول لهم إن الأدلة قوية وظاهرة فلا حاجة إلى التوقف والتردد في إثبات نبوة أبناء يعقوب عليه السلام، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٦

(٢) سورة النساء آية ١٦٠

(٣) سورة يوسف آية ٢٣

(٤) سورة النساء آية ١٦٣

(٥) سورة يوسف آية ٧

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تحل البركات، وبكرمه تدفع البليات، وأصلى وأسلم على من اصطفي من سائر البريات، محمد بن عبد الله عليه وعلى آله وصحبه أزكى الصلوات وأفضل التحيات أما بعد:-

وفي ختام هذا البحث المتواضع، والذي يعتبر من جهد المقل، توصلت إلى أهم النتائج أذكرها بما يلي:-

أولا : إتضاح الصورة في تحريف التوراة وما حصل عليها من تغيير وتبديل يخرجها من قدسية الكتب المنزلة من عند الله، لا سيما وأن هذا التحريف قد حصل في كل موضوعات "العهد القديم" صغيرها وكبيرها.

ثانيا: بيان هيمنة كتاب الله الكريم على سائر الكتب المنزلة، وسلامة القرآن من التحريف والتزييف الذي طرأ على الكتب السابقة، وخاصة في موضوع يعقوب عليه الصلاة والسلام وأبنائه، وذكر صفاته التي تليق بنبي من أنبياء الله المصطفين الأخيار.

ثالثا: بيان ما في العهد القديم من عرض لسيرة نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام ودعوته، حيث يتضح منها مايلي:-

(أ) وصف نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام كما مر بنا في هذه الرسالة بأنواع من الأوصاف التي تناقض مقام النبوة الرفيع، حيث وصف بالكذب والخداع والخيانة والسرقة وغيرها من الأوصاف التي لا تليق بأحد من بني البشر، فكيف بنبي من أنبياء الله.

(ب) نجد أن العهد القديم في سرده لسيرة يعقوب عليه الصلاة والسلام، لا يذكر شيئا من موقف يعقوب عليه الصلاة والسلام في حمل الدعوة إلى الله، ونشر التوحيد الخالص ورفضه للشرك وأهله كما هو مميز واضح في القرآن الكريم، بل إن التركيز في سيرته على جوانب مادية دنيوية، وكأن حمل رسالة التوحيد ليس من مهمته، مع طول السيرة له في هذا السفر من أسفار العهد القديم.

(ج) تأكيد البشارة لنبينا محمد ﷺ من نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام، وأن المقصود بـ"شيلوة" المحرفة في وصية يعقوب عليه السلام في العهد القديم هو محمد ﷺ.

(د) ذكر العهد القديم لأبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام يوسف وإخوته بأسلوب قريب جدا لمافي القرآن من حيث الإجمال، وإلا فإن هناك من الفوارق الشئ الكثير كما مر معنا.

(هـ) إثبات مسمى الأسباط لأبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام الإثني عشر، وأنهم هم الأسباط بأعيانهم، مما يثبت النبوة لهم كما مر معنا.

رابعا: بيان الفوارق بين القرآن الكريم والعهد القديم – التوراة المحرفة- في قصة يعقوب عليه الصلاة والسلام، وكذلك في قصة يوسف واخوته.

خامسا: من أهم النتائج في هذا البحث أن هناك في التوراة المحرفة بعض اللفتات والآثار الصحيحة التي تتوافق مع القرآن الكريم في قصة يعقوب عليه الصلاة والسلام ودعوته، وكذلك في قصة يوسف عليه السلام وإخوته من حيث المعني إجمالا.

هذه أهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث، والله أسال التوفيق والسداد في القول والعمل. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تحل البركات، وبكرمه تدفع البليات، وأصلى وأسلم على من اصطفي من سائر البريات، محمد بن عبد الله عليه وعلى آله وصحبه أزكى الصلوات وأفضل التحيات أما بعد:-

وأنا في ختام هذا البحث المتواضع، والذي يعتبر من جهد المقل، قد توصلت إلى أهم النتائج أذكرها بما يلي:-

أولاً : إتضاح الصورة في تحريف التوراة وما حصل عليها من تغيير وتبديل يخرجها من قدسية الكتب المنزلة من عند الله، لا سيما وأن هذا التحريف قد حصل في كل موضوعات "العهد القديم" صغيرها وكبيرها.

ثانياً: بيان هيمنة كتاب الله الكريم على سائر الكتب المنزلة، وسلامة القرآن من التحريف والتزييف الذي طرأ على الكتب السابقة، وخاصة في موضوع يعقوب عليه الصلاة والسلام وأبنائه، وذكر صفاته التي تليق بنبي من أنبياء الله المصطفين الأخيار.

ثالثاً: بيان ما في العهد القديم من عرض لسيرة نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام ودعوته، حيث يتضح منها مايلي:-

(أ) وصف نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام كما مر معنا في هذه الرسالة بأنواع من الأوصاف التي تناقض مقام النبوة الرفيع، حيث وصف بالكذب والخداع والخيانة والسرقة وغيرها من الأوصاف التي لا تليق بأحد من بني البشر، فكيف بنبي من أنبياء الله.

(ب) نجد أن العهد القديم في سرده لسيرة يعقوب عليه الصلاة والسلام، لا يذكر شيئاً من موقف يعقوب عليه الصلاة والسلام في حمل الدعوة إلى الله، ونشر التوحيد الخالص ورفضه للشرك وأهله كما هو مميز واضح في القرآن الكريم، بل إن التركيز في سيرته على جوانب مادية دنيوية، وكأن حمل رسالة التوحيد ليس من مهمته، مع طول السيرة له في هذا السفر من أسفار العهد القديم.

(ج) تأكيد البشارة لنبينا محمد ﷺ من نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام، وأن المقصود بـ"شيلوة" المحرفة في وصية يعقوب عليه السلام في العهد القديم هو محمد ﷺ.

(د) ذكر العهد القديم لأبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام يوسف وإخوته بأسلوب قريب جداً لمافي القرآن من حيث الإجمال، وإلا فإن هناك من الفوارق الشئ الكثير كما مر معنا.

(هـ) إثبات مسمى الأسباط لأبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام الإثني عشر، وأنهم هم الأسباط بأعيانهم، مما يثبت النبوة لهم كما مر معنا.

رابعاً: بيان الفوارق بين القرآن الكريم والعهد القديم – التوراة المحرفة– في قصة يعقوب عليه الصلاة والسلام، وكذلك في قصة يوسف واخوته.

خامساً: من أهم النتائج في هذا البحث أن هناك في التوراة المحرفة بعض اللفتات والآثار الصحيحة التي تتوافق مع القرآن الكريم في قصة يعقوب عليه الصلاة والسلام ودعوته، وكذلك في قصة يوسف عليه السلام وإخوته من حيث المعني إجمالاً.

هذه أهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث، والله أسال التوفيق والسداد في القول والعمل. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

١- فهرس المصادر والمراجع.
٢- فهرس الآيات القرآنية.
٣- فهرس الاحاديث والآثار.
٤- فهرس التراجم والاعلام.
٥- فهرس المدن والاماكن.
٦- فهرس الطوائف والملل.
٧- فهرس الموضوعات.

القرآن الكريم.

١-أبحاث في الفكر اليهودي، للدكتور حسن ظاظا، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، دار القلم، دمشق.

٢-الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد ابراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة.

٣- الأديان دراسة تاريخية مقارنة، للدكتور/ رشدي عليان، وسعدون الساموك، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، مطبعة جامعة بغداد، العراق.

٤- الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل د. الحاج محمد وصفي – الطبعة الاولى ١٤١٨هـ دار ابن حزم بيروت – لبنان.

٥- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، للدكتور/ على عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٦-إظهار الحق، للشيخ رحمة الله بن خليل الهندي، تحقيق ودراسة: الدكتور/ محمد احمد ملكاوي، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م دار الحديث ، القاهرة.

٧-اعلام المسلمين بعصمة النبيين للعلامة إسحاق بن عقيل عزوز الملكي الطبعة الاولى ١٤١٦هـ دار ابن حزم بيروت – لبنان

٨- الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام للدكتور: محمد البار الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م دار القلم – دمشق والدار الشامية- بيروت.

٩-أوهام التاريخ اليهودي للأستاذ/ جود السعد. الطبعة الاولى ١٩٩٨م الاهلية للنشر والتوزيع عمان- الاردن.

١٠- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود العمادي- دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

١١- الاحاديث الصحيحة من اخبار وقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام الطبعة الاولى ١٤١٦هـ دار القلم – دمشق.

١٢- اخطاء يجب ان تصحح في التاريخ للدكتور/ جمال عبد الهادي محمد سعود الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ دار الوفاء- المنصورة – مصر.
١٣- البداية والنهاية لابن كثير – الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
١٤- بذل المجهود في افحام اليهود للحكيم السموأل بن يحيى بن عباس المغربي تحقيق/ عبد الوهاب طويلة الطبعة الاولى ١٤١٠هـ دار القلم – دمشق.
١٥- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم الطبعة الثانية ١٣٩١هـ/١٩٧٢م طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٦- البرهان في تجويد القرآن لمحمد الصادق قمحاوي. طبعة عام ١٤٠٧هـ المكتبة الثقافية بيروت- لبنان.
١٧- بنو اسرائيل بين نبأ القران الكريم وخبر العهد القديم للدكتور/ صابر طعيمة – الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ دار عالم الكتب ، بيروت.
١٨- بشرية المسيح ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم في نصوص كتب العهدين للدكتور/ محمد مكاوي الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م مطابع الفرزدق التجارية – الرياض.
١٩- بنو إسرائيل للدكتور/ محمد بيومي مهران الطبعة الأولى ١٩٩٩م دار المعرفة الجامعية- القاهرة- مصر.
٢٠- تأثر اليهود بالأديان الوثنية للدكتور/ فتحي محمد الزغبي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م دار النشر للثقافة والعلوم الإسلامية – طنطا- مصر.
٢١- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي- دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان.
٢٢- تاريخ ابن خلدون للعلامة ابن خلدون- منشورات دار الكتاب اللبناني – بيروت- لبنان.

٢٣- تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم للدكتور/ محمد دروزة طبعة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت.

٢٤- تاريخ الرسل والملوك للإمام الطبري – تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم- الطبعة الرابعة – دار المعارف- القاهرة – مصر.

٢٥- تاريخ الديانة اليهودية للدكتور/ محمد خليفة حسن احمد – الطبعة الاولى ١٩٩٨م دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة – مصر.

٢٦- التاريخ اليهودي العام للدكتور/ صابر طعيمة الطبعة الثالثة ١٤١١هـ دار الجيل- بيروت.

٢٧- تاريخ الانبياء في ضوء القران الكريم والسنة النبوية للدكتور/ محمد الطيب النجار الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ مكتبة المعارف، الرياض.

٢٨- التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي للقس/ توماس ل. طومسون ترجمة صالح سوداح الطبعة الاولى ١٩٩٥م بيان للنشر والتوزيع بيروت – لبنان.

٢٩- التراث الإسرائيلي في العقد القديم وموقف القران منه لصابر طعيمة طبعة ١٣٩٩هـ دار الجيل – بيروت – لبنان.

٣٠- التفسير الحديث للكتاب المقدس (تندال) بقلم/ ديريك كونر الطبعة الاولى دار الثقافة – القاهرة

٣١- تسيير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة/ عبد الرحمن السعدي طبعة ١٤٠٨هـ دار المدنى بجدة.

٣٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية من علم التفسير للعلامة/ محمد بن علي الشوكاني الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ مطبعة البابي الحلبي بمصر.
٣٣- تفسير القرآن الكريم لابن كثير ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م دار المعرفة – بيروت – لبنان.
٣٤- تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية.
٣٥- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس. لمجموعة كبيرة واخرجته شركة ماسترميديا- القاهرة- مصر.
٣٦- التوراة تاريخها وغايتها، ترجمة وتعليق: سهيل ديب- الطبعة السادسة ١٤٠٦/١٩٨٦م دار النفائس – بيروت.
٣٧- التوراة السامرية طبع دار الأنصار- القاهرة- مصر.
٣٨- التحريف في التوراة للدكتور/ محمد علي الخولي الطبعة الاولى ١٤١٠هـ دار الفلاح للنشر والتوزيع – صويلح- الاردن.
٣٩- تاملات في حياة ا لقديسين يعقوب ويوسف للبابا شنودة الثالث ١٩٩٦م الابناروبس الاوفست بالعباسية- القاهرة.
٤٠- تنزية الانبياء عن تسفية الاغبياء للامام/ جلال الدين السيوطي الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ مكتبة المنار، الاردن
٤١- التوراة كتاب مقدس ام جمع من الاساطير ليوناكسل ترجمة د. حسان ميخائيل اسحاق الطبعة الاولى ١٩٩٤م الجندي للطباعة.
٤٢- تفسير كلمات الكتاب المقدس معجم الالفاظ العسرة للقس/ سعيد مرقص ابراهيم الطبعة الرابعة ١٩٩٩م المركز المصري للطباعة – القاهرة.

٤٣- تفسير لسفر التكوين للقديس افرام البرباني قدم له الادب بوحنا ثابت طبع ١٩٨٢م الكسليك- لبنان.

٤٤- حول ا طروحات كمال اصليبي " التوراة في اللغة والتاريخ والثقافة الشعبية" للاستاذ/ فرج الله صالح ديب الطبعة الاولى ١٩٨٩م دار الحداثة ، بيروت- لبنان.

٤٥- حياة يعقوب للقس/ ف-ب ماير طبع سنة ١٩٨٩م مكتبة المحبة – مصر.

٤٦- جامع البيان عن تأويل أي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري طبعة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م دار الفكر – بيروت – لبنان.

٤٧- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٤٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الامام/ ابن تيمية طبعة دار المدنى القاهرة –مصر.

٤٩- دائرة المعارف لبطرس البستاني طبع ١٩٥٦م المطبعة البستانية – بيروت – لبنان.

٥٠- دائرة المعارف الكتابية لمجموعة و المتحرر المسئول/ وليم وهبة بباوي الطبعة الثانية ١٩٩٦م دار الثقافة القاهرة – مصر.

٥١- دائرة المعارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي الطبعة الثالثة ١٩٧١م دار المعرفة – بيروت.

٥٢- دراسات تاريخية في القرآن الكريم للدكتور/ محمد بيومي مهران طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٥٣- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية للدكتور/ سعود الخلف- الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م مكتبة أضواء السلف- الرياض.

٥٤- دراسات في علوم القرآن للدكتور/ فهد الرومي الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م مكتبة التوبة – الرياض.

٥٥- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي الطبعة الرابعة ١٩٧٧م دار المعارف – القاهرة.
٥٦- دعوة التوحيد حقيقتها وأطوارها للأستاذ/ محمد خليل هراس الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
٥٧- الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان للدكتور/ عبد الله دراز- دار القلم – الكويت.
٥٨- رسالة التوحيد للأستاذ/ محمد عبده- الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دار إحياء العلوم- بيروت.
٥٩- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني لأبي الفضل الالوسي الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م دار إحياء التراث العربي بيروت.
٦٠- زاد المسير في علوم التفسير لابن الجوزي الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر
٦١- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية تحقيق: شعيب وعبد القادر الارنؤوط الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م مؤسسة الرسالة بيروت ومكتبة المنار الإسلامية – الكويت.
٦٢- سفر اشعياء – دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط طبعة ١٩٩٥م
٦٣- سفر التكوين – دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط طبعة ١٩٩٥م.
٦٤- السنن القويم في تفسير العهد القديم. لجمع الكنائس في الشرق الادنى الامين العام القس/ البرت استيرو طبع في المجمع سنة ١٩٧٣م بيروت- لبنان.
٦٥- سنن أبي داود المكتبة الإسلامية طباعة المكتبة العصرية بيروت – لبنان.
٦٦- سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي تحقيق/ احمد شاعر طباعة دار الحديث القاهرة – مصر.

٦٧- سنن ابن ماجه – للحافظ/ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي طباعة المكتبة الاسلامية استانبول- تركيا.

٦٨- سنن النسائى للامام الحافظ احمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي طبع سنة ١٤٠٧هـ دار الحديث القاهرة- مصر.

٦٩- شخصيات بارزة من مؤمني العهد القديم للقس/ زكريا اسكندر الطبعة الاولى ١٩٨٤ مطبعة كنيسة الاخوة- القاهرة.

٧٠- الشخصية اليهودية من خلال القران تاريخ وسمات ومصير للدكتور/ صلاح عبد الفتاح الخالدي الطبعة الاولى ١٤١٩هـ دار القلم – دمشق.

٧١- صحيح البخاري للإمام البخاري –الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض.

٧٢- صحيح مسلم للامام/ مسلم الغشيري النيسابوري طباعة دار الفكر عام ١٤٠٣هـ تحقيق/ محمد فؤاد وعبد الباقي بيروت – لبنان.

٧٣- عرائس المجالس للثعلبي دار الكتب العلمية الطبعة عام ١٩٨٥م بيروت.

٧٤- العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية للدكتور/ سعد الدين السيد صالح الطبعة الثانية ١٤١٦هـ مكتبة التابعين القاهرة مكتبة الصحابة جدة.

٧٥- علوم القران الكريم د. عبد المنعم النمر الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ دار الكتاب اللبناني – بيروت.

٧٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد بن حزم الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م دار الكتب العلمية بيروت.

٧٧- فصول في تاريخ اليهود وعقائدهم للدكتور/ محمود عبد المعطي بركات القاهرة مصر.

٧٨- فهرس الكتاب المقدس للدكتور/ جورج بوست الطبعة العاشرة ١٩٩٨م درا الثقافة – القاهرة.

٧٩- الفكر الديني اليهودي – اطواره ومذاهبه للدكتور/ حسن ظاظا الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ/١٩٩٥ دار العلم بيروت.

٨٠- بدائع الفوائد لابن القيم. تحقيق/ احمد راتب عرموش الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ دار النفائس بيروت.

٨١- في ظلال القران – سيد قطب الطبعة التاسعة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م دار الشروق القاهرة.

٨٢- في مقارنة الأديان للدكتور/ محمد عبد الله الشرقاوي الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م دار الجيل – بيروت.

٨٣- الفروقات بين القران والتوراة المفتراة " قصة يوسف" للشيخ/ خليل سليمان الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ المكتب الاسلامي عمان- الاردن.

٨٤- قاموس الكتاب المقدس. نخبة من الاساتذة اللاهويتين مثل/ الدكتور بطرس عبد الملك صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الادنى الطبعة الثانية – بيروت.

٨٥- القاموس المحيط للفيروز ابادي تحقيق/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ بيروت.

٨٦- قصص الأنبياء للأستاذ/ عبد الوهاب النجار الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي بيروت.

٨٧- قصص الأنبياء القصص الحق للشيخ عبد القادر شيبة الحمد الطبعة الاولى ١٤٢١هـ- دار المعارف – الرياض.

٨٨- قصة الحضارة – لول ديورانت- ترجمة محمد بدران- لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧١م.
٨٩- قصص الانبياء في القران الكريم مجمع البيان الحديث: سميح عاطف الزين الطبعة الخامسة ١٩٩٧م- الدار الافريقية العربية- لبنان.
٩٠- ظاهرة النبوة الإسرائيلية للدكتور/ محمد خليفة حسن محمد طبعة ١٤١٢هـ مركز الدراسات الشرقية الجيزة- مصر.
٩١- الكامل في التاريخ لابن الأثير – الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.
٩٢- الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف د. يحي محمد ربيع. الطبعة الاولى ١٤١٥هـ دار الوفاء- المنصورة – مصر.
٩٣- الكتاب المقدس – دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
٩٤- الكشاف للزمخشري تحقيق/ عبد الرزاق المهدي الطبعة الاولى ١٤١٧هـ دار ايحاء التراث العربي- بيروت.
٩٥- لسان العرب – لابن منظور – الطبعة الرابعة -دار صادر – بيروت – لبنان.
٩٦- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للعلامة محمد بن احمد السفاريني الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م المكتب الإسلامي- بيروت.
٩٧- مباحث في علوم القرآن- لمناع القطان- الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م مكتبة المعارف الرياض.
٩٨- محمد صلى الله عليه وسلم في بشارات التوراة والإنجيل للدكتور/ الشفيع الماحي. الطبعة الاولى ١٤١٦هـ مركز البحوث التربوية – جامعة الملك سعود- الرياض.
٩٩- مجلة النور عدد ١٨٨ ربيع الأول ١٤١٤

١٠٠- مجلة الهداية عدد ١٨٦ الصادرة في ١٤١٣

١٠١- مجلة الفيصل عدد (٢٠٣) الصادرة عن دار الفيصل الثقافية – الرياض في عام ١٤١٤هـ

١٠٢- مجلة الاسلام الصادرة من وزارة المعارف المصرية السنة الثالثة العدد ٣٧ والعدد ٤١

١٠٣- المجلة العربية الصادرة عام ١٤٠٨هـ شعبان.

١٠٤- مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالاحساء الصادرة عن جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية عام ١٤٠٣هـ.

١٠٥- مجموع فتاوى ابن تيمية – جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – طبع بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين. مطبعة الحكومة لعام ١٣٨٩هـ مكة المكرمة.

١٠٦- محاسن التأويل للقاسمي. تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ دار الفكر- بيروت.

١٠٧- مختار الصحاح، للرازي- دار الدعوة. طباعة عام ١٤٠٥هـ مؤسسة علوم القران – دار القبلة للثقافة الاسلامية – دمشق.

١٠٨- مدخل إلى علوم القران والتفسير للدكتور/ فاروق حمادة- الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م مكتبة المعارف – الرباط – المغرب.

١٠٩- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم للدكتور/ محمد البار الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م دار القلم- دمشق ودار الشامية – بيروت.

١١٠- المدخل لدراسة القران الكريم لأبي شهبة الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م دار اللواء للنشر والتوزيع –الرياض.

١١١-المستدرك على الصحيحين للإمام أبي عبد الله الحاكم- دار المعرفة – بيروت- لبنان.

١١٢- مسند الإمام احمد بن حنبل ، الطبعة الخامسة -دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان.

١١٣- مع الانبياء في القران الكريم للاستاذ/ عفيف عبد الفتاح طبارة الطبعة الخامسة عشر ١٩٨٥م دار العلم للملايين بيروت - لبنان

١١٤- معاني القران للامام واعرابه للامام/ ابي اسحاق ابراهيم السري المعروف بالزجاج تحقيق د. عبد الجليل شلبي الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ عالم الكتب - بيروت.

١١٥- معجم الحضارات السامية ، هنري عبودي الطبعة الثانية ١٤١١هـ/١٩٩١م دار جروس ، طرابلس.

١١٦- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين بن فارس ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ مصطفى البابي الحلبي - القاهرة.

١١٧- المعجم الوسيط ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م دار الدعوة ، استانبول، تركيا.

١١٨- معجم البلدان لياقوت الحموي. الطبعة الاولى ١٤١٧هـ لدار احياء التراث العربي بيروت - لبنان.

١١٩- المعجم الكبير للحافظ ابو القاسم سليمان بن احمد الطبراني تحقيق/ حمدي عبد المجيد السلفي الطبعة الثانية دار الزهراء الحديثة - العراق.

١٢٠- مفاتيح الغيب، للفخر الرازي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت- لبنان المعروف بالتفسير الكبير.

١٢١- المفردات في غريب القران لراغب الأصفهاني تحقيق / محمد سيد كيلاني دار المعرفة - بيروت - لبنان.

١٢٢- مفهوم العصمة.للطالب/ منصور بن راشد التميمي رسالة ماجستير في كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض.

١٢٣- مقارنة الأديان "اليهودية" للدكتور/ احمد شلبي- دار الاتحاد العربي، القاهرة، مصر.

١٢٤- ميثاق النبيين. بقلم/ عبد الوهاب عبد السلام طويلة طباعة دار القبلة للثقافة الاسلامية – جدة ١٤١٠هـ

١٢٥- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م دار المعرفة – بيروت- لبنان.

١٢٦- من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية للدكتور/ احمد السقا الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، دار الأنصار، القاهرة.

١٢٧- مناهل العرفان في علوم القران لرزقاني. تحقيق/ فواز زملي الطبعة الثانية ١٤١٧هـ لدار الكتاب العربي – بيروت.

١٢٨- منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية،لابن تيمية ، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م طبع جامعة الإمام محمد ابن سعود بالرياض.

١٢٩- الموسوعة العربية العالمية. المملكة العربية السعودية ١٤١٥هـ.

١٣٠- مقارنات الاديان القديمة للامام/ محمد ابو زهرة طبع ١٩٩١م دار الفكر العربي- القاهرة.

١٣١- الميزان في مقارنة الاديان حقائق ووثائق للاستاذ/ محمد عزت الطهطاوي الطبعة الاولى ١٤١٣هـ دار القلم- دمشق.

١٣٢- النبأ العظيم للدكتور/ عبد الله دراز الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م دار القلم الكويت.

١٣٣- النبوة والأنبياء لمحمد بن علي الصابوني، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ عالم الكتب ، بيروت.

١٣٤- نبي الإسلام بين الحقيقة والادعاء د.عبد الراضي عبد المحسن. الطعبة الاولى ١٤١٩هـ للدار العالمية للكتاب الاسلامي – الرياض.

١٣٥- النبوات لشيخ الاسلام ابن تيمية تحقيق محمد عبد الرحمن عوض الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ دار الكتاب العربي – بيروت –لبنان.

١٣٦- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيق: محمود محمد الطناجي- المكتبة الإسلامية.

١٣٧- نهاية الارب للنويري طباعة عام ١٩٣٨م المؤسسة المصرية العامة- القاهرة.

١٣٨- هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى لشيخ الاسلام ابن القيم. تحقيق/ محمد احمد الحاج الطبعة الاولى ١٤١٦هـ دار القلم- دمشق.

١٣٩- اليهود عرض تاريخي للاستاذ/ عبد الحميد عرفان. الطبعة الاولى اكتوبر دار عمان – عمان- الاردن.

١٤٠- يعقوب عليه السلام للاستاذ/ حلمي شعبان. الطبعة الاولى ١٤١١هـ دار الكتب العلمية بيروت- لبنان

١٤١- اليهودية واليهود، للدكتور/ علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة.

فهرس الآيات

الاية	السورة ورقم الاية	رقم الصفحة
﴿قال يا ادم انبأهم باسمائه ...﴾	سورة البقرة آية ٣٣	١٥٢
﴿ومن يرغب عن ملة ابراهيم...﴾	سورة البقرة آية ١٣٠	١٦٤
﴿واذ قال له ربه اسلم...﴾	سورة البقرة آية ١٣١	١٦٨
﴿ووصى بها ابراهيم بنيه...﴾	سورة البقرة آية ١٣٢ - ١٣٣	٣٦-٨٥-١٦٤-١٦٨--١٧٠-٣٢٨
﴿ان كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت...﴾	سورة البقرة آية ١٣٣	١٣٧—١٦٥- ١٦٨ -١٧٠-٢٧٩- ٨٠-٣٣٢-٣٢٨
﴿قولوا امنا بالله وما انزل الينا...﴾	سورة البقرة آية١٣٦	١٥٢-١٥٤-٢٣٦-٢٣٧-٢٣٨- ٣١٦-٣٣٤
﴿ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل...﴾	سورة البقرة آية ١٤٠	٣٢٣-٣٢٧
﴿ويسالونك عن المحيض قل هو اذى...﴾	سورة البقرة آية ٢٢٢	٢٣٨
﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض...﴾	سورة البقرة آية ٢٥٣	٢٣٦
﴿ان الدين عند الله الاسلام...﴾	سورة آل عمران آية ١٩	١٦٨
﴿فلما حس عيسى منهم الكفر...﴾	سورة آل عمران آية ٥٢	١٦٩
﴿قل امنا بالله وما انزل...﴾	سورة آل عمران آية ٨٤	١٥٢-٣٧١-٣٢٧
﴿كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل...﴾	سورة آل عمران آية ٩٣	١٧٤
﴿واتبعت ملة ابائي ابراهيم واسحاق...﴾	سورة يوسف آية رقم٣٨- ٤٠	٢٦١
﴿قال ما خطبكن...﴾	سورة يوسف آية ٥١-٥٣	٢٦٢
﴿اذهبوا بقميصي هذا فالقوه...﴾	سورة يوسف آية ٩٣- ٩٥	٢٦٤
﴿قالوا لانك لانت يوسف...﴾	سورة يوسف آية ٩٠	٢٦٩
﴿وما اكثر الناس...﴾	سورة يوسف آية ١٠٣	٢٧٩
﴿ولما دخلوا على يوسف...﴾	سورة يوسف آية ٦٩	٣٠٩
﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف...﴾	سورة يوسف آية ١٠	٣٢٩

﴿فان لم تاتوني به...﴾	سورة يوسف آية ٦٠	٣٣٥
﴿ورفع ابويه على العرش...﴾	سورة يوسف آية ١٠٠	٧٦-٧٩-١٨٢-١٨٣-٢٠٣-٢٨٢-٢٨٣-٢٨٧-٢٩٧-٢٩٨-٣٠٤-٣٢٥
﴿فلما ذهبوا به واجمعوا...﴾	سورة يوسف آية ١٥-١٨	١٥٧-١٥٨-١٦٦-١٨٣-١٨٩-٢٠٩-٢٦٤-٢٦٥-٣٠٩
﴿قالوا تالله لم اثرك...﴾	سورة يوسف آية ٩١-٩٢	١٦٤-١٧٥-٢٦٩-٢٨٣-٢٩٤-٣١٠-٣٣١
﴿وراودته التي هو في بيتها...﴾	سورة يوسف آية ٢٣	١١٦-٢٣٨-٢٤٥-٢٧٤-٢٨٠-٢٨١-٢٨٧
﴿قال ما خطبكن اذ راوتن...﴾	سورة يوسف آية ٥١	١١٠-١١٢-٢٤٩-٢٦٢-٢٦٨-٢٨٩-٢٩٥
﴿قال لا ياتيكما طعام ترزقانه...﴾	سورة يوسف آية ٣٧	٢٦٣-٢٧١-٢٧٣-٢٨٢-٢٩٣-٢٩٤
﴿واتبعت ملة ابائي...﴾	سورة يوسف آية ٣٨-٤٠	١٦٥-١٧٧-٢٧٣-٢٨٠-٢٨١-٢٨٥
﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية...﴾	سورة يوسف آية ٧٠-٧٨	١٨٦-١٩٢-٢٤٠-٢٤١-٢٦٨-٢٨٧
﴿ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني...﴾	سورة يوسف آية ٥٩	٥١-٧٦-١٦٣-٢٣٦-٢٦٨-٣٠٨
﴿اذهبوا بقميصي هذا فالقوه...﴾	سورة يوسف آية ٩٣-٩٩	٧٦-٧٩-١٧٩-٢٥٠-٢٦٤-٢٩١
﴿ربي قد ءاتيتني من الملك...﴾	سورة يوسف آية ١٠١	٢٢٧-٢٧٦-٢٨٢-٢٨٤-٢٩٤
﴿قالوا يا ايها العزيز ان له ابا...﴾	سورة يوسف آية ٧٨	٢٢٧-٢٤٠-٢٦٨-٢٨٧-٣٣٢
﴿يوسف ايها الصديق...﴾	سورة يوسف آية ٤٦	١٨٣-٢٢٢-٢٦٨-٢٨٩-٢٩٠
﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك...﴾	سورة يوسف آية ٦	١٦٢-١٧٧-٢٥٨-٢٨١-٣٢٦
﴿قال لا ياتيكما طعام...﴾	سورة يوسف آية رقم ٣٧-٤٠	١٦٥-١٧٣-٢٦٣-٢٧١-٢٧٣
﴿قالوا يا ابانا استغفر لنا...﴾	سورة يوسف آية ٩٧-٩٨	١٥١-١٨٢-٣١٠-٣٣١
﴿وكذلك مكنا ليوسف في الارض...﴾	سورة يوسف آية ٥٦-٥٧	٢٤٥-٢٩٢-٢٩٤-٢٩٦

فهرس الآيات

﴿قالت فذلكن الذي لمتنني...﴾	سورة يوسف آية ٣٢	١٤٧-٢٤٧-٢٤٨-٢٦٦
﴿وما ابرا نفسي ان...﴾	سورة يوسف آية ٥٣	١١٠-١١٢-٢٤٩-٣٢٨
﴿وقال الملك ائتوني به استخلصه...﴾	سورة يوسف آية ٥٤	٢٢١-٢٢٧-٢٣٥-٢٩٦
﴿ودخل معه السجن فتيان...﴾	سورة يوسف آية ٣٦	١١٨-٢٦٨-٢٩٥
﴿واتبعتم ملة ابائي...﴾	سورة يوسف آية ٣٨	١٦٥-٢٧٣-٢٨٥
﴿وقال الذي اشتراه من مصر...﴾	سورة يوسف آية ٢١	١١٦-٢٤٥-٢٦٤
﴿قال الملك ائتوني به...﴾	سورة يوسف آية ٥٤-٥٧	٢٢٧-٢٦٨-٢٩٢
﴿قال هي راودتني عن نفسي...﴾	سورة يوسف آية ٢٦-٢٨	١٧٩-٢٤٦-٢٤٧
﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف...﴾	سورة يوسف آية ٨٧	١٨٧-٢٤٩-٢٥٠
﴿قال المك ائتوني به فلما جاءه...﴾	سورة يوسف آية ٥٠	٢٢١-٢٤٩-٢٨٢
﴿قال يا بني لا تدخلوا من باب واحد...﴾	سورة يوسف آية ٦٧	١٧٧-٢٣٨-٢٤٩
﴿ولقت همت بي وهم بها لولا...﴾	سورة يوسف آية ٢٤	٢٤٦-٢٦٨-٢٨١
﴿يا صاحبي السجن ارباب...﴾	سورة يوسف آية رقم ٣٩-٤٠	٢٦١-٢٧٣-٢٧٨
﴿ولما بلغ اشده ائتيناه...﴾	سورة يوسف آية ٢٢	٢٤٥-٢٦٤-٢٦٨
﴿ياصاحبي السجن ارباب...﴾	سورة يوسف آية ٣٩	٢٧٨-٢٨٠-٢٨١
﴿قال ربي السجن احب الي...﴾	سورة يوسف آية ٣٣	٢٤٨-٢٤٩-٢٨١
﴿فاستجاب له ربه...﴾	سورة يوسف آية ٣٤	٢٤٨-٢٤٩-٢٨١
﴿قال ربي السجن احب الي...﴾	سورة يوسف آية رقم ٣٣-٣٤	٢٤٨-٢٤٩-٢٧٦
﴿قال يوسف لابيه يا ابتي ان رايت...﴾	سورة يوسف آية ٤	٥١-٣٠٤
﴿وجاءت سيارة فارسلوا واردهم...﴾	سورة يوسف آية ١٩	١٨٢-٢٠١-٢٠٧
﴿فلما استياسوا منه خلصوا النجيا...﴾	سورة يوسف آية ٨٠	٢٠٦-٣١٠
﴿اقتلوا يوسف او اطرحوه...﴾	سورة يوسف آية ٩	٢٤٤-٣٢٩
﴿قالوا ان يسرق فقد سرق...﴾	سورة يوسف آية ٧٧	٢٤١-٣١٠

فهرس الآيات

﴿اذ قالوا ليوسف واخوه احب...﴾	سورة يوسف آية ٨-١٠	٢٤٨-٣٠٩
﴿وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم...﴾	سورة يوسف آية ٦٢	٢٣٧-٢٨٧
﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز...﴾	سورة يوسف آية ٨٨	٢٤٢-٢٦٩
﴿قال يا بني لا تقصص رؤياك...﴾	سورة يوسف آية ٥	٣٠٩-٣٣٣
﴿ورفع ابويه على العرش...﴾	سورة يوسف آية ١٠٠	٣٨-٥١
﴿قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف...﴾	سورة يوسف آية ٨٥-٨٧	١٦٦-١٧٨
﴿وقال الملك اني ارى سبع بقرات...﴾	سورة يوسف آية ٤٣	٢٢٠-٢٢١
﴿واستبق الباب وقدت قميصه...﴾	سورة يوسف آية ٢٥	١١٧
﴿ثم بدا لهم من بعد ما راوا...﴾	سورة يوسف آية ٣٥	١١٧
﴿يا صاحبي السجن اما احدكما...﴾	سورة يوسف آية ٤١	١١٩
﴿قال لا تثريب عليكم اليوم...﴾	سورة يوسف آية٩٢	١٥١
﴿ولما فصلت العير قال ابوهم...﴾	سورة يوسف، آية رقم ٩٤	١٥٨
﴿قالوا يا ابانا مالك لا تامنا...﴾	سورة يوسف آية ١١-١٢	٢٠٥
﴿وقال للذي ظن انه ناج منهما...﴾	سورة يوسف آية ٤٢	٢٢٠
﴿قال تزروعون سبع سنين دأبا...﴾	سورة يوسف آية ٤٧	٢٢٢
﴿ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث...﴾	سورة يوسف آية ٤٩	٢٢٣
﴿قال اجعلني على خزائن الارض...﴾	سورة يوسف آية ٥٥	٢٣٥
﴿فان لم تاتوني به فلا كيل لكم...﴾	سورة يوسف آية ٦٠	٢٣٦
﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم...﴾	سورة يوسف آية ٦٥	٢٣٨
﴿قال لن ارسله معكم حتى تؤتوني...﴾	سورة يوسف آية ٦٦	٢٣٨
﴿ولما دخلوا على يوسف ءاوى اليه...﴾	سورة يوسف آية ٦٩	٢٣٩
﴿لقد كان في يوسف واخوته...﴾	سورة يوسف آية ٧	٢٣٩
﴿فلما جهزهم بجهازه جعلوا السقاية...﴾	سورة يوسف آية ٧٠	٢٤٠
﴿فبدا بعوعيتهم قبل وعاء اخيه...﴾	سورة يوسف آية ٧٦	٢٤٠

فهرس الآيات

﴿قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له...﴾	سورة يوسف آية ٧٧	٢٤١
﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز...﴾	سورة يوسف آية ٨٨	٢٤٢
﴿اذ قالوا ليوسف واخوه احب لابينا...﴾	سورة يوسف آية ٨-٩	٢٤٤
﴿فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه...﴾	سورة يوسف آية ١٥	٢٤٤
﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامراته...﴾	سورة يوسف آية ٢١	٢٤٥
﴿وكذلك مكنا ليوسف في الارض...﴾	سورة يوسف آية ٥٦	٢٤٥
﴿ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما...﴾	سورة يوسف آية ٢٢	٢٤٥
﴿فراودته التي هو في بيتها...﴾	سورة يوسف آية ٢٣	٢٤٥
﴿ولقد همت بي وهم بها...﴾	سورة يوسف آية ٢٤	٢٤٦
﴿واستبق الباب وقدت قميصه...﴾	سورة يوسف آية ٢٥-٢٦	٢٤٦
﴿وقال نسوة في المدية امراة العزيز...﴾	سورة يوسف آية ٣٠-٣٢	٢٤٧
﴿ولما جاء موسى لميقاتنا كلمه ربه...﴾	سورة الأعراف آية ١٤٣	١٥٢
﴿والى عاد اخوه هودا قال يا قوم...﴾	سورة الأعراف آية ٦٥	١٦٣
﴿والى ثمود اخوه صالحا قال يا قوم...﴾	سورة الأعراف آية ٧٣	١٦٣
﴿ومن قوم موسى امة يهدون الى الحق...﴾	سورة الأعراف آية ١٥٩-١٦٠	٣١٧
﴿قال الملا من قومه...﴾	سورة الأعراف آية ٦٠	٣٣٢
﴿ان هذه امتكم امة واحدة...﴾	سورة الأنبياء آية ٩٢-٩٣	١٦٤-١٧٥
﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة...﴾	سورة الأنبياء آية ٧٢-٧٣	٣٢-١٦٥-١٨٦-١٩٢
﴿وما ارسلنا من قبلك من رسول...﴾	سورة الأنبياء آية رقم ٢٥	١٢٣-١٦٤-٢٧٨
﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين...﴾	سورة الأنبياء آية ١٠٧	١٤٠
﴿انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح...﴾	سورة النساء آية ١٦٣	١٥٣-١٥٥-٢٣٨-٣١٧-٣٣١

فهرس الآيات

﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم...﴾	سورة النساء آية ١٦٠	٢٣٦-٣٣٤-٢٣٨
﴿يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم...﴾	سورة النساء، آية رقم ١٥٣	١٥٥
﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله...﴾	سورة مريم آية ٤٩-٥٠	٥٣-١٨٦-١٩٠
﴿الئك الذين انعم الله عليهم...﴾	سورة مريم آية ٥٨	١٤٦-١٤٨-١٧٤-١٦٨-١٩١
﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله...﴾	سورة مريم ٤٩	٣١-١٤٨
﴿يرثني ويرث من ال يعقوب...﴾	سورة مريم آية ٦	١٥٩
﴿وانذر عشيرتك الاقربين...﴾	سورة الشعراء آية ٢١٤	١٦٦-١٧٨
﴿وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا...﴾	سورة الشورى آية ٥١	١٥١-١٥٢
﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً...﴾	سورة الشورى آية ١٣	١٦٣-٢٣٧
﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس...﴾	سورة الحج آية ٧٥.	٢٢
﴿اني وجهت وجهي للذي فطر...﴾	سورة الانعام آية ٧٩	١٦٤
﴿ان علينا جمعه وقرانه...﴾	سورة القيامة آية ١٧	٤
﴿واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب...﴾	سورة ص آية ٤٥-٤٧	٣٢-١٧٦-١٨١-١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٩٣-
﴿وتلك حجتنا اتيناه على قومه...﴾	سورة الأنعام آية ٨٣-٨٧	٣١-١٨٧-٣٣٣
﴿واذا جاءتهم اية قالوا لم نؤمن حتى...﴾	سورة الأنعام آية ١٢٤	١٤٦
﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات...﴾	سورة غافر آية ٣٤	٢٧٨-٢٩٠-٣٣٤
﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه...﴾	سورة الجن آية ٢٦-٢٩	٢٥-١٥٧
﴿واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل...﴾	سورة الصف آية ٦	١٣٧
﴿والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض...﴾	سورة الأنفال آية ٦٣	١٤٠
﴿وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل...﴾	سورة الزخرف آية ٣١-٣٢	١٤٧
﴿الذي اذا ذكر الله وجلت قلوبهم...﴾	سورة الحج آية ٣٥	١٤٧
﴿قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي...﴾	سورة الكهف آية ١١٠	١٥١

فهرس الآيات

﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا...﴾	سورة العنكبوت آية ٢٧	١٦٢
﴿وابراهيم اذ قال لقومه...﴾	سورة العنكبوت آية ١٦	١٦٣
﴿فان توليم فما سالتكم من اجر...﴾	سورة يونس آية ٧٢	١٦٨
﴿وقال موسى يا قوم ان كنتم...﴾	سورة يونس آية ٨٤	١٦٨
﴿انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذرا...﴾	سورة فاطر آية ٢٤	١٦٩
﴿وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا...﴾	سورة الجاثية آية ٢٤	١٨١
﴿زعم الذين كفروا ان لا يبعثوا...﴾	سورة التغابن ٧	١٨١
﴿واذ اخذنا من النبيين مثاقهم ومنكا...﴾	سورة الأحزاب آية ٧	٢٣٧
﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات...﴾	سورة غافر آية ٣٤	٢٥٦
﴿واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي...﴾	سورة المائدة آية ١١١	٣٣٤
﴿اذ اوحينا الى امك ما يوحى...﴾	سورة طه آية ٣٨	٣٣٥
﴿واوحى ربك النحل ان اتخذي من الجبال...﴾	سورة النحل آية ٦٨	٣٣٥
﴿بان ربك اوحى لها...﴾	سورة الزلزلة آية ٥	٣٣٥

فهرس الاحاديث

م	فهرس الاحاديث	رقم الصفحة
٦	"الايمان ان تؤمن بالله...."	ت
٧	"ان الله تعالى خلق ثلاثة اشياء بيده ...."	١١
١	"إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته...."	١٣
٨	" ما نعلم ان الله ارسل رسولاً قط الا من اهل القرى...."	٣٩
٩	" سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وض في الارض...."	٤٦
١٠	"ان سليمان بن دواد عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل...."	٤٦
١١	"الخالة ام...."	٧٨
١٢	"تكثير الطعام ببركة النبي صلى الله عليه وسلم..."	١٠٧
١٣	"الدعاء هو العبادة...."	١٣١
٢	"أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي...."	١٤٠
٣	"كان ليعقوب النبي عليه السلام أخاً مؤاخياً...."	١٤٩
٤	"قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: أكرمهم أتقاهم...."	١٤٩
٥	"إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهماً...."	١٥٩
١٤	"ان الشيطان يجري في بني ادم...."	١٨٢
١٥	"والله لا أجد لي ولكم مثلا الا كما قال ابو يوسف ...."	١٨٩
١٦	"حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج...."	٢٥٢
١٧	"اعطي يوسف شرط الحسن...."	٢٦٦
١٨	"ان الكريم بن الكريم... ولو كنت في السجن ما لبث...."	٢٦٦
١٩	"عجبت لصبر اخي يوسف وكرمه..."	٢٦٧
٢٠	" استاذنوا لابن الاخيار...."	٢٧٠
٢١	"ان يوسف اوصى بني اسرائيل ان يحملوا جسد..."	٢٧١
٢٢	"قال الله تبارك وتعالى: انا اغنى الشركاء عن الشرك...."	٢٨٥
٢٣	" انه عقد مواثيقهم على النبوة..."	٣٣١
٢٤	"ان الله اشد فرحا بتوبة عبده...."	٣٣٨

فهرس التراجم

م	رقم الصفحة	المترجم
١	ت	عدي بن حاتم الطائي
٢	ت	عمر بن الخطاب
٣	٣	أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا
٤	٣	محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور
٥	٣	الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد بن فضل الراغب الأصفهاني
٦	٤	الإمام المفسر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
٧	٤	عبد الله بن عباس بن عبد المطلب
٨	٤	قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري
٩	٤	أبو زكريا بن زياد الديلمي
١٠	٧	محمد بن عمر بن الحسين ابن خطيب الري، المشهور بفخر الدين الرازي
١١	٧	الإمام أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري
١٢	٨	الإمام أبو سعيد البصري
١٣	٨	محمد بن محمد العمادي أبو السعود
١٤	٨	محمد بن إدريس الشافعي
١٥	٨	الخليل بن احمد بن عمرو أبو عبد الرحمن البصري الفراهيدي
١٦	١٢	محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشافعي
١٧	١٣	شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيميه
١٨	١٣	عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي
١٩	٢١	مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي
٢٠	٢١	الإمام النحوي إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج
٢١	٢٦	أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي
٢٢	٢٧	الإمام اسحق بن راهويه
٢٣	٢٧	تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي

٢٤	٢٧	الحسن بن هانيء بن عبد الأول بن صباح المكي بالولاء
٢٥	٢٧	أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، أبو العلاء
٢٦	٣٦	الإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري
٢٧	٣٦	محمد بن احمد أبو عبد الله الأنصاري القرطبي
٢٨	٣٧	أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري
٢٩	٣٨	إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي
٣٠	٣٩	شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي
٣١	٤٨	هو الشيخ محمد عيده حسن خير الله
٣٢	٧٤	أبو الحسن عز الدين علي بن عبد الكريم الشيباني الموصلي
٣٣	١٣٩	عز الدين سعد بن منصور بن سعد بن حسن بن هبة الله بن كمونه اليهودي
٣٤	١٤١	أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس
٣٥	١٤٦	أمية بن عبد الله بن أبي الصلط بن أبي رضيعة الثقفي
٣٦	١٤٦	عروة بن مسعود بن معتب الثقفي
٣٧	١٤٦	الوليد بن المغيرة بن عبد شمس
٣٨	١٥٩	مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي
٣٩	١٥٩	الإمام أبو سعيد البصري، الفقي
٤٠	١٦٠	إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدي
٤١	١٨٩	عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية
٤٢	٢٥٧	محمد بن الحسن بن محمد النقاش
٤٣	٢٨٨	سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي
٤٤	٢٨٨	سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري
٤٥	٢٨٨	الضحاك بن مزاحم الهلالي
٤٦	٣٢٠	الربيع بن سلمان المرادي
٤٧	٣٢٠	محمد بن عبد الله الآلوسي
٤٨	٣٢٠	أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري

٤٩	٣٢٢	خارجة ابن زيد الأنصاري المدني الفقيه
٥٠	٣٢٢	محمد بن علي الشوكاني
٥١	٣٢٤	الحسين بن مسعود محمد الفراء
٥٢	٣٢٥	الإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج القرشي التيمي
٥٣	٣٢٥	الإمام أبو الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدي النيسابوري
٥٤	٢٣١	العبرانيين
٥٥	٤٦	ابو ذر الغفاري
٥٦	٤٧	ابن القيم
٥٧	٤٨	رشيد رضا
٥٨	٥٤	ابن حزم
٥٩	١٣٨	رحمة الله الهندي
٦٠	٣١٩	محمد بن اسحاق

م	رقم الصفحة	اسم المدينة
١	ت	نجران
٢	٤٣	حاران
٣	٤٣	فدان ارام
٤	٤٧	اورشليم
٥	٤٨	بئر سبع
٦	٤٩	لوز
٧	٥٠	بيت ايل
٨	٥٧	جبل جلعاد
٩	٦٠	مدينة شكيم
١٠	٦٠	ارض كنعان
١١	٦١	محانيم
١٢	٧١	سكوت
١٣	٧٤	مزرعة جدون
١٤	٧٧	بيت لحم
١٥	٨١	ارض جاسان
١٦	٨٢	رعميس
١٧	٨٨	حضرون
١٨	١٣٥	جرار
١٩	٢٠١	دوثان
٢٠	٥٨	جلعيد
٢١	٥٩	سعير
٢٢	٦٠	يبون

فهرس الموضوعات

العنوان	رقم الصفحة
المقدمة	أ-ذ
التمهيد:	١
المبحث الأول:	٢
المطلب الأول: التعريف بالتوراة(العهد القديم)	٣-٦
المطلب الثاني: التعريف بالقران الكريم	٧-٢٠
المبحث الثاني: عصمة الأنبياء وفيه حكم استنقاصهم	٢١-٢٨
الباب الأول: وينقسم إلى فصلين:	٢٩
الفصل الأول: سيرة يعقوب منذ ولاته إلى رجوعه إلى ارض الكنعانيين.(وفيه خمسة مباحث)	٣٠
المبحث الأول: اسمه وولادته ونشأته.	٣١-٤٠
المبحث الثاني: سبب رحلته إلى العراق عند خاله لابان.	٤١-٤٥
المبحث الثالث: بنائه بيت المقدس.	٤٦-٥٠
المبحث الرابع: زواجه بـــ ليا وراحيل وجاريتيهما وذكر أبنائه منهن.	٥١-٥٥
المبحث ا لخامس: قصة رجوعه إلى ارض الكنعانيين ومافيها من أحداث.	٥٦-٦٧
الفصل الثاني:- من رجوعه إلى أرض الكنعانيين إلى وفاته في مصر ثم دفنه في فلسطين. ويشتمل على أربعة مباحث:	٦٨
المبحث الأول – استقراره في أرض الكنعانيين.	٦٩-٧٥
المبحث الثاني – ولادة بنيامين ووفاة راحيل زوجة يعقوب عليه الصـــلاة والسلام.	٧٦-٧٨
المبحث الثالث- ذهابه إلى مصر في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام.	٧٩-٨٤

م	رقم الصفحة	اسم الطائفة
١	١٤	السامرية
٢	١٤	الصوفيون
٣	١٦	البروتستانت
٤	١٦	الكاثوليك
٥	١٦	الارثوذكس
٦	٢٤	الكرامية
٧	٢٤	الرافضة
٨	٢٤	المعتزلة
٩		
١٠		
١١		
١٢		
١٣		
١٤		
١٥		
١٦		
١٧		
١٨		

المبحث الرابع – وفاته في مصر مع ذكر وصيته ودفنه في فلسطين.	٨٥-٨٩
الباب الثاني: نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام في التـــوراة والقـرآن. وينقسم إلى فصلين:	٩٠
الفصل الأول: نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام من التوراة.	٩١
المبحث الأول: إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام وما يناقضها من التـوراة وفيه مطلبان:	٩٢
المطلب الأول: إثبات نبوته من التوراة.	٩٢-١٠٩
المطلب الثاني: ما يناقض نبوته علي الصلاة والسلام من التـــوراة وفيـــه مسائل:	١١٠
المسالة الأولى: دعوى وصفه بالشرك.	١١١-١١٢
المسالة الثانية: دعوى وصفه بالزنى والدياثه.	١١٣-١١٤
المسالة الثالثة: دعوى وصفه بالسرقة.	١١٥
المسالة الرابعة: دعوى وصفه بالكذب.	١١٦-١١٧
المسالة الخامسة: دعوى وصفه بالمكر والخديعة والغش.	١١٨-١٢٠
المسالة السادسة: دعوى وصفه بالخوف والجبن.	١٢١-١٢٣
المبحث الثاني: دعوة يعقوب عليه الصلاة والسلام إلى التوحيد من التوراة	١٢٤-١٣٧
المبحث الثالث: بشارة يعقوب عليه الصلاة والسلام بخاتم الأنبياء	١٣٨-١٤٥
الفصل الثاني: نبوة يعقوب عليه الصلاة والسلام من خلال القرآن	١٤٦-١٤٨
- المبحث الأول: إثبات نبوته من القرآن وأقوال العلماء فيها.	١٤٩-١٦٨
المبحث الثاني: دعوة يعقوب عليه الصلاة والسلام للتوحيد مع ذكر وصيته عند وفاته.	١٦٩-١٨٦
- المبحث الثالث: صفات النبي يعقوب عليه الصلاة والسلام من القرآن.	١٨٧-١٩٧

الباب الثالث: بنو يعقوب عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن ويشمل على فصلين:	١٩٨-١٩٩
الفصل الأول: يوسف عليه الصلاة والسلام في التوراة والقرآن.	٢٠٠
المبحث الأول: قصة يوسف عليه الصلاة والسلام من التوراة والقرآن إجمالا مع عقد المقارنة بينهما.	٢٠١-٢٥٨
المبحث الثاني: نبوة يوسف عليه الصلاة والسلام ودعوته إلى التوحيد من التوراة والقرآن.	٢٥٩-٣٠٢
الفصل الثاني: اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام من التوراة والقرآن.	٣٠٣
المبحث الأول: ويشمل أسمائهم وعددهم وأنسابهم وسيرتهم.	٣٠٤-٣١٩
المبحث الثاني: اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام ودعوى الأسباط دراسة وتحقيق.	٣٢٠-٣٤٤
الخاتمة: وفيها أهم النتائج في البحث.	٣٤٥-٣٤٦
فهرس المصادر	٣٤٧-٣٥٩
فهرس الآيات	٣٦٠-٣٦٦
فهرس الأحاديث	٣٦٧
فهرس الاعلام والتراجم	٣٦٨-٣٧٠
فهرس المدن	٣٧١
فهرس الطوائف والملل	٣٧٢
فهرس الموضوعات	٢٧٣-٣٧٥